# فكر المؤامرة

## عقيدة وحقيقة لا خيال

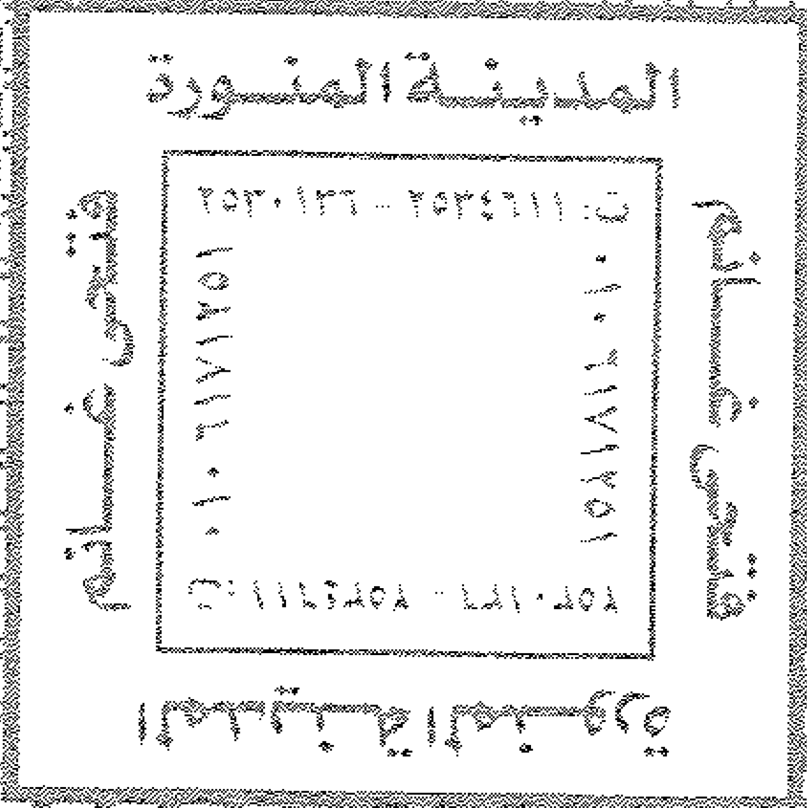


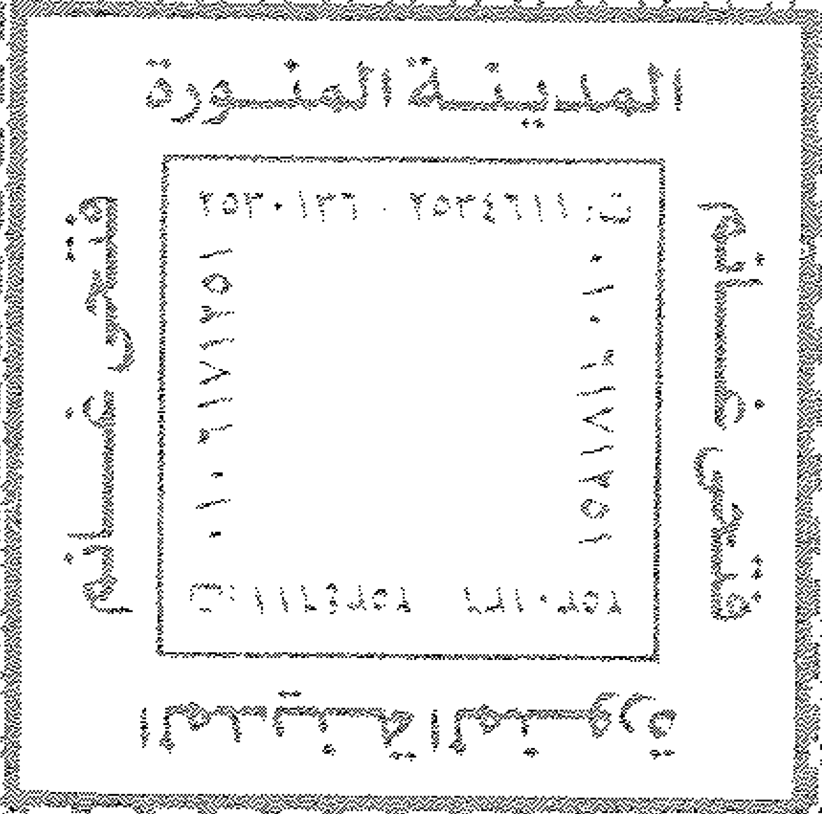

FEKR ELMOAMRA



بقلم
السيد مراد سلامة




المدينة المنورة
فتحي غانم
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦
٠١٠٠٦١١٧٢٥١


المدينة المنورة
فتحي غانم
فتحي غانم

# فِكرُ المُؤامَرة

## عَقِيدَة وَحَقِيقَة لَا خَيَال



حقوق الطبع محفوظة
الدار العالمية للنشر والتوزيع

# فكر المؤامرة
عقيدة وحقيقة لأجيال


الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢١٩٤٤/٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6326-52-1





الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

*E-mail: alamia_misr@hotmail.com*

# فكر المؤامرة

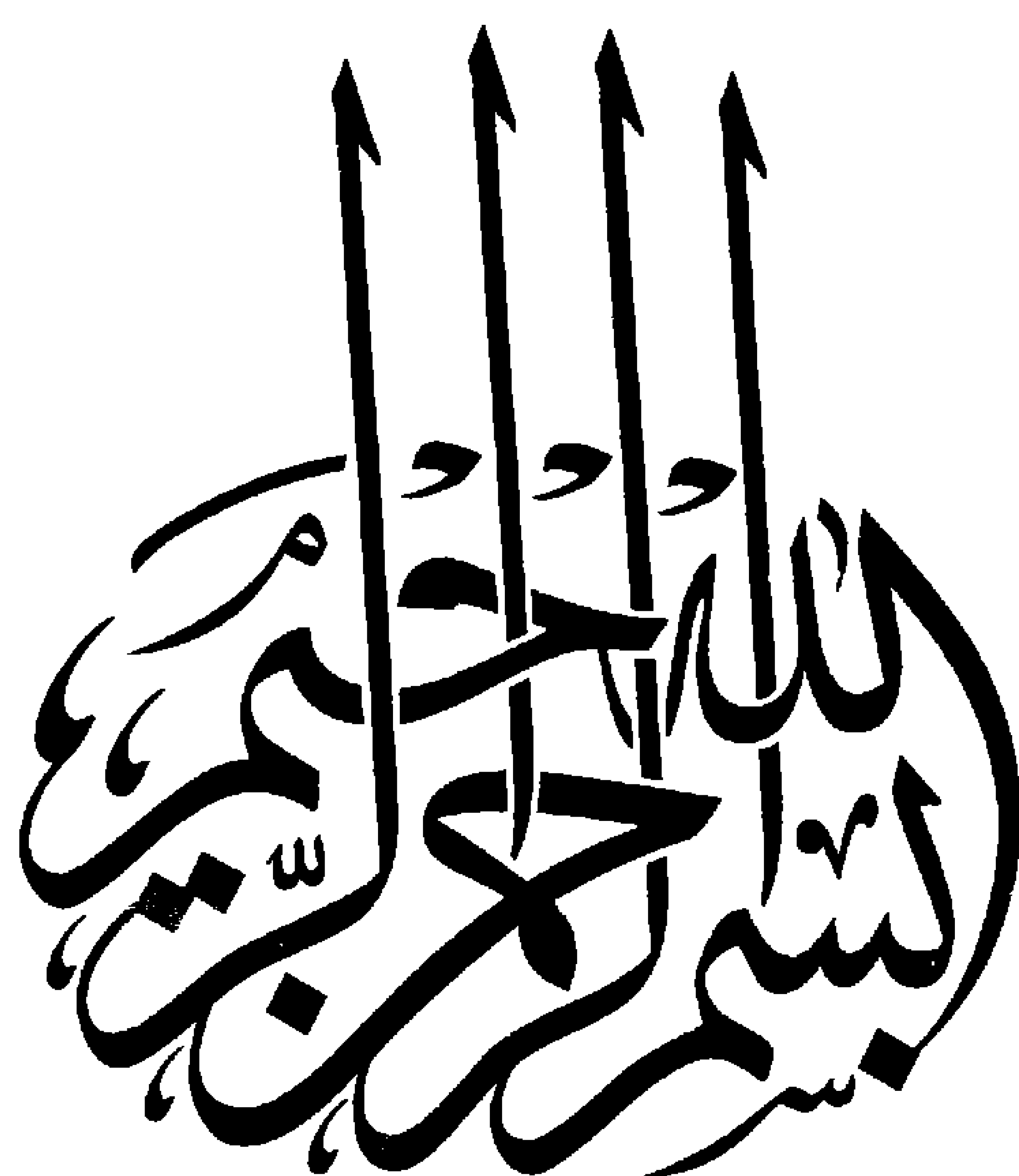
## عقيدة وحقيقة لا خيال

بقلم

السيد مراد سلامة



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار وبعد.

فهذه رسالة تَكلمتُ فيها عن حقيقة يُنكِّرها كثير من المذكرين على الساحة الإسلامية ألا وهي: حقيقة المؤامرة التي خطط لها أعداء الأمة الإسلامية في القديم والحديث، وأوضحتُ فيها أنَّ المؤامرة عقيدة يدينُ بها المسلم لربه سبحانه وتعالى لأن الله هو الذي حدثنا عنها في كتابه، وأخبرنا عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ وجاءتْ الرسالة في عشرة فصول وخاتمة.

**الفصل الأول:** المؤامرة كما يُصورها القرآن الكريم والسنة المطهرة.

**الفصل الثاني**: المؤامرة عبر التاريخ وتحدثتُ فيه عن المؤامرة منذ نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عهد النبوة.

**الفصل الثالث**: المؤامرة في عهد الخلفاء، وبينتُ كيف تآمر العرب والعجم على المسلمين بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد ارتدتْ قبائل العرب وأعلنتْ الحرب على الروم، ولولا فضل الله على عباده لهلك المسلمون.

**الفصل الرابع**: الحروب الصليبية، والحرب على الإسلام والمسلمين، وأوضحتُ فيه المطامع الصليبية والأهداف السياسية التي جعلتْ الغرب عن بكرة أبيهم تُعلن عن تلك الحرب المقدسة كما يزعمون.

**الفصل الخامس**: المؤامرة التترية على الإسلام والمسلمين.

**الفصل السادس**: المؤامرة ضد المسلمين في بلاد الأندلس.

**الفصل السابع**: المؤامرة على الخلافة العثمانية والعالم الإسلامي.

**الفصل الثامن**: المؤامرة في الحروب الصليبية الجديدة.

**الفصل التاسع**: الشيعة ودورهم في تنفيذ المؤامرة على الإسلام.

**الفصل العاشر**: وسائل النجاء من مؤامرات الأشقياء.

وبينتُ في هذا الفصل أنَّ فكر المؤامرة لا يُمثِّل عائق عند أهل الإيمان؛ بل إنه سبب من أسباب الانتصار على الأعداء، وبينتُ أن سبيل المواجهة يتمثل في عدة عناصر وهي:

- إحياء عقيدة الولاء والبراء.
- التمسك بالكتاب والسنة.
- إعداد العُدة.
- أخذ الحذر والحيطة.
- الصبر والمصابرة.

فعندما تُحقق الأمة هذه الأشياء فإنه لا يضرهم كيد الكائدين، ولا مكر الماكرين وصدق الله إذ يقول ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فالنصر لا يكون إلا مع الصبر على الأذى.

ثم خاتمة الرسالة وأوضحتُ فيها خلاصة ما جاء في البحث.. وفي النهاية ذكرتُ المصادر والمراجع التي استعنتُ بها في هذا البحث.. ثم ذكرتُ فهرسًا يحتوي على محتويات الرسالة، فاللهم اجعلْ هذا العمل لوجهك خالصًا، واجعله زادًا لي ولكل مسلم يرجو النجاة والتمكين، والنصر لأمته.

أبو همام

**الشيخ/ السيد مراد سلامة**

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

محافظة البحيرة / مركز شبرا خيت / قرية فرنوى

ت / ٠٤٥٣٨٤١٨٨١ / محمول / ٠١٦٩٨٣٥٢٦٨

## أسباب كتابة هذا المبحث

إن من الأسباب التي دعتني لكتابة هذه الرسالة ما كنتُ قرأته في مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤٢٤ لسنة ١٤٢٠هـ تحت عنوان. «فكر المؤامرة أكبر عائق للنهوض العربي» فقال كاتب المقال «محمد علي وهبة» في حديثه مع قناة لبنان الفضائية في أواخر شهر ربيع الثاني من العام ١٤٢١هـ: «أَرجَعَ الدكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء أسباب تخلف العرب عن باقي أمم العالم فكر وفلسفة «المؤامرة » التي توارثها الأجيال في شتى بلدان الوطن العربي منذ عشرات السنين، وقال « إن هذا الفكر أصابنا بالعجز فأصبحنا متخلفين عن باقي شعوب العام بمئات السنين، وقال: إنَّ مشروعه العلمي الحالي يتمثل في وضع العرب على خريطة التقدم التكنولوجي الحقيقى، الذي تُقاس به قدرة وقوة الأمم الآن يجوب بالبلدان العربية من مشرقها إلى مغربها، وأضاف أنَّ هذا المشروع إذا لم تبتعد عنه براثن التعقيدات والعقول المتحجرة، ويظهر للنور خلال عام من الآن سأعود إلى أمريكا حزينًا بلا عودة» ثم يقول كاتب المقال: «ويقصد بفكر المؤامرة الذي أشار إليه د/ زويل : «أن العقلية العربية قد اعتادتْ منذ عقود عدة إلى اعتناق أيديولوجية فكرية تخاذلية نكوصية يمكن تسميتها بـــ« أيديولوجية التأمري للأحداث».

حيث مقتضى هذا الفكر أنَّ كل ما يموج به عالمنا العربي من نكبات وعثرات وعجز عن الحركة والانطلاق، إنما سببه ما يحكيه الغربيون من مؤامرات ضد العرب إلى درجة أنه أصبح يُمكن القول: أنه لو أنَّ نملة ماتت في بلد عربي، قال العرب: إنَّ الغرب قد تآمر على قتل هذه النملة......»(١).

وفى موقع منتديات الوسطية يشطح أحدهم ويَهرفُ بما لا يعرف فيقول:

(١) «مجلة الوعي الإسلامي» عدد [٤٢٤] (ص ٥٠).

ماذا قالوا: عن «**نظرية المؤامرة**» قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ترى لماذا نحن مِنْ دون الأمم كلها، تستهوينا نظرية المؤامرة اليهودية وراء الأحداث؟

لماذا تزدهر شجرة التآمر في أرضنا وتجد أنصارًا يستظلون بها؟

لماذا نظل أسرى نظريات حتى بعد تبيُّن زيفها؟

**ومنها أيضًا**: ما كتبه أحمد بشارة الكاتب الكويتي القبس ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٢ إذ يُفسِّر أسباب تمكن هذه النظرية من العقلية العربية إلى عدة أمور: **منها**: الشك المتأصل في الغير، شيوع ثقافة السمع، تراجع مكانة القراءة والاطلاع والبحث، تغلغل الفكر الغيبي، ضعف الثقافة العلمية، وتسييد دعاة الأيديولوجيات على الإعلام.

**ومنها**: ما كتبه: الذايدي الشرق الأوسط ١٤ / ٩ حيث يقول: «هذه الطريقة في استقبال الأحداث واستيعابها تنبئ عن خلل نفسي جماعي، ربما كان مبررًا، بسبب عجز المسلمين عن قبول الحقيقة، ومحاولة تبرئة الذات من مغبة عمل ضخم كهذا، وهي تحمل في نفس اللحظة، انتقاصًا ذاتيًابالغًا، فأولادنا لا يفعلون ذلك، فهم أقل من الصعود إلى هذه الجدارة.

في تصوري أنَّ للنظرية جذورًا أعمق تمتد إلى جوانب عقدية، وعوامل تاريخية وظروف سياسية، **منها**: ما يُحدِّثنا القرآن الكريم عن مكائد بني إسرائيل ضد أنبيائهم وضد الأمم الأخرى، وما تُؤكده السيرة النبوية من دور كيدي خطير ومنذ الوقت المبكر على الإسلام ورسوله ﷺ وعلى المسلمين ودولتهم الوليدة.

ما تحفل به كتب التراث وبخاصة العقائد والملل والنحل والتاريخ مِنْ وراء الفتنة الكبرى، فتنة اليهودي «عبد الله بن سبأ» تلك الفتنة التي قصمت ظهر المسلمين، ولذلك

نحرص في مناهجنا الدراسية على تلقين طلابنا كجزء من العقيدة والإيمان أنَّ ما شجر بين الصحابة من خلافات سياسية ونزاعات مسلحة على السلطة والحكم، نسكت عنه! ونتجاوزها فكلهم مجتهدون وكلهم مخلصون وكلهم مصيبون، وتلك الفتنة ما حصلتْ إلا بدسائس ابن سبأ اليهودي فهو المسئول والمتهم، علمًا بأن التحقيق التاريخي أثبت أن ابن سبأ هذا شخصية أسطورية، وعلى صحة وجوده فلا يعقل أن يكون لفرد مهما بلغ دهاؤه هذا الدور الخطير المبالغ فيه، لأننا بذلك نفترض غفلة وسذاجة الصحابة -رضوان الله عليهم- حتى يخدعهم يهودي واحد، وكأننا بذلك نثبت لليهود عبقرية فوق البشر.

ما ترسّخه ثقافتنا في نفسية وذهنية المسلمين من اعتقادهم أن اليهود مصدر شرور العالم، ولعلنا الأمة الوحيدة التي ما زالت تعتبر «بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة مع أنها من صنع المخابرات الروسية للتنكيل بيهود روسيا أيام القياصرة».

[راجع العميد الدراسات اليهودية عبد الوهاب المسيري موسوعته الشهيرة]

ما تُرسيه أحاديث آخر الزمان، والفتن من الصراع الأبدي بين العرب واليهود حتى تقوم القيامة فيختبئ اليهودي وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله، تلك الأحاديث تجعل المسلم متوجسًا يُفسر كل حدث بأن وراءه يهوديًا، ولهذا لم يستبعد الشيخ فضل الله وغيره من أن يكون لليهود دور في حادثة مدرسة بيسلان المأسوية.

تلك هي الجذر العميقة التي تحكمنا، وتتحكم في تصوراتنا للعالم من حولنا، فهل من سبيل إلى تجاوزها من أجل فهم أفضل، ومن أجل تشخيص أدق لما جرى ويجري في عالمنا المعقد؟(١)

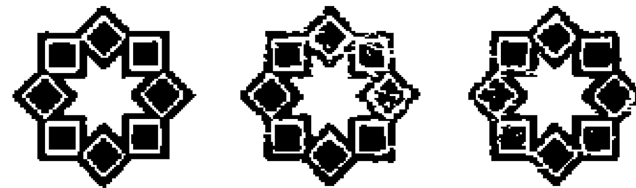
---

(١) http:// www.alwatan. com. kw/ default.a...=5 & topic = 2 8 4 44 2 2

ويوجد جم غفير من المفكرين على شبكات الإنترنت مَنْ يُردِد مثل هذه المقولة، وبعضهم يقول: إنَّ العرب لديهم مرض يُسمَّى بالمؤامرة، نقرأ على تلك الشبكات مَنْ يقول «رد: نظرية المؤامرة والنظرية السببية في العقلية العربية» ويقول بعضهم: «فكرة المؤامرة أصبحت كالموجة تتسم بطابع وبائي شعبي وتنتشر بين قادة الرأي من الصحفيين والاعلاميين وأساتذة الجامعات».

تلك هي أقوال المتحدثين عن الفكر التآمري عند العرب، والداعيين للبحث بالنظرية السببية «بمعنى أن التآمر لم يكن يومًا بسبب، وأن كل قضية لها أسباب داخلية أو خارجية أخرى....».

لذا كان لزامًا أن أُبيِّن حقيقة المؤامرة كما يُصورها القرآن، وكما أوضحتها السنة المطهرة، وكما جاءتْ في خططهم وظهرتْ على فلتات ألسنتهم، والله المستعان.



الفصل الأول

# المؤامرة كما يُصورها القرآن الكريم والسنة المطهرة

**تنازع البقاء من سنن الله في خلقه:**

أخي المسلم إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله التي بنى عليها ذلك الكون .

فلله عَزَّ وَجَلَّ في ملكوته العظيم، وكونه الفسيح سننُ لا تتبدل، ونواميس لا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للناس ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ ومن تلك السنن الربانية: سنة التدافع بين الحق والباطل.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث لتُبرِز من خلال النص القصير حكمة الله العليا في الأرض من صراع القوى وتنافس الطاقات، وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاخب الموار. وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات.. ومن ورائها جميعًا، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء، في نهاية المطاف.

لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض. ولولا أنَّ في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنطلِق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة، وتظل أبدًا يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض، مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة.

وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء.. يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة. تعرف الحق الذي بيَّنه الله لها. وتعرف طريقها إليه واضحًا. وتعرف أنها مُكلَّفة بدفع الباطل، وإقرار الحق في الأرض. وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل، وإلا أن تحتمل في سبيله ما تحتمل في الأرض لله وابتغاء لرضاه.

وهنا يمضي الله أمره، وينفذ قدره، ويجعل كلمة الحق والخير والصلاح هي العليا، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس، والتدافع في يد القوة الخيرة البانية، التي استجاش الصراع أنبل ما فيها وأكرمه. وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة.

ومن هنا كانتْ الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله تغلب في النهاية وتنتصر. ذلك أنها تُمثِّل إدارة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض، وتمكين الصلاح في الحياة. إنها تنتصر؛ لأنها تُمثِّل غاية عليا تستحق الانتصار[1].

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥١]. أي: لولا أنَّ الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد بأهل الإصلاح فيها؛ لغلب أهل الباطل والإفساد في الأرض، وبغوا على الصالحين، وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم، فتفسد الأرض بفسادهم

فكان من فضل الله على العالمين وإحسانه إلى الناس أجمعين أن أذن لأهل دينه الحق المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة المعتدين، فأهل الحق حرب أهل الباطل في كل زمان، والله ناصرهم ما نصروا الدين، وأرادوا الإصلاح في الأرض[2].

(١) «في ظلال القران» (جـ ١) (ص ٢٥٣).

(٢) «تفسير المنار» (جـ٢) (ص٤٩١)

فهذا إرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحق، وأنه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل.

وهو ملموسٌ ومقرر على صفحات التاريخ، وخاصَّة منذ بزوغ فجر الإسلام؛ حيث نجد العديد من صور ذلك التدافع، ونلحظ له آثارًا كبيرة نتج عنها العديد من التغيرات الجذرية في تسييد الأرض واستغلال ثرواتها واكتشاف خيراتها، بل وفرض الأفكار والمعتقدات على سكانها في كثير من الأوقات بالحديد والنار، وخاصَّة من قبل العقائد المخالفة للإسلام، وتحدث تلك التغيرات عند حدوث نقطة تقاطع بين الحضارات، وتأثر إحداهما بالأخرى أو اضمحلالها مع الأيام.

وها هو الحكيم الخبير يُخبرنا عن حقيقة المؤامرة، وأنها مترسخة في نفوس اليهود النصارى وأنه لا يرضيهم إلا الكفر بالله واتباع ملتهم.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تلك هي العلة الأصلية. ليس الذي ينقصهم هو البرهان؛ وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على حق، وأن الذي جاءك من ربك الحق. ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت.. لن يرضيهم من هذا كله شيء، إلا أنْ تتبعَ ملتهم وتتركَ ما معك من الحق.

إنها العقيدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان.. إنها هي العقيدة. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة.. إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما؛ وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين!.

إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها. ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان عليها أعلامًا شتى، في خبث ومكر وتورية. إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة. ومن ثَمَّ استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة.. لم يُعلنوها حربًا باسم العقيدة على حقيقتها خوفًا من حماسة العقيدة وجيشانها. إنما أعلنوا باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة، والمراكز العسكرية.. وما إليها. وألقوا في روع رايتها، وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها.. بينما هم في قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية بإضافة الشيوعية العالمية جميعًا يخوضون المعركة أولًا وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلًا، فأدمتهم جميعًا!!!.

إنها معركة العقيدة، إنها ليست معركة الأرض ولا الغلة، ولا المراكز العسكرية، ولا هذه الرايات المزيفة كلها، إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين. ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا، ونحن نبعد توجيه الله لنبيه ﷺ ولأمته، وهو سبحانه أصدق القائلين:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه. وما سواه فمرفوض ومردود!.

ولكن الأمر الحازم، والتوجيه الصادق: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.

على سبيل القصر والحصر. هدى الله هو الهدى. وما عداه ليس بهدى. فلا براحَ منه، ولا فكاكَ عنه، ولا محاولة فيه، ولا ترضيةً على حسابه، ولا مساومة في شيء منه قليل أو كثير، ومَنْ شاء فليؤمن، ومَنْ شاء فليكفر. وحذارِ أنْ تميلَ بك الرغبة في هدايتهم

وإيمانهم، أو صداقتهم ومودتهم عن هذا الصراط الدقيق. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(1) [البقرة: ١٢٠].

وفي موضع آخر يُخبرنا سبحانه وتعالى عما تكن صدورهم، وما تحمله بين طياتها من حسدٍ وحقدٍ دفين ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

يقول سيد قطب: «وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس.. الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون.. لماذا؟ لا لأنَّ هذه النفوس الشريرة لا تعلم. ولكنها لأنها تعلم! ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضتْ به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالتْ تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها، وما تزال وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم؛ وردِّهم بعد ذلك إلى الكفر الذي فيه، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان، وخصَّهم بهذا بأعظم الفضل وأجلِّ النعمة التي تحسدهم عليها يهود!.

وهنا في اللحظة التي تتجلى فيها هذه الحقيقة، وتنكشف فيها النية السيئة والحسد اللئيم هنا يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد، والشر بالشر، ويدعوهم إلى الصفح والعفو حتى يأتي الله بأمره، وقتما يُريد:

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[البقرة: ١٠٩]

---

(١) «في ظلال القران» (جـ ١) (ص: ٨٢)

وامضوا في طريقكم التي اختارهم الله لكم، واعبدوا ربكم وادخروا عنده حسناتكم.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

وهكذا.. يُوقظ السياق القرآني وعي الجماعة المسلمة، ويُركزه على مصدر الخطر، ومكمن الدسيسة، ويعبئ مشاعر المسلمين تجاه النوايا السيئة والكيد اللئيم والحسد الذميم.. ثم يأخذهم بهذه الطاقة المعبأة المشحونة كلها إلى جناب الله، ينتظرون أمره، ويُعلقون تصرفهم بإذنه.. وإلى أن يحين هذا الأمر يدعوهم إلى العفو والسماحة، لينقذ قلوبهم من نتن الحقد والضغينة. ويدعها طيبة في انتظار الأمر من صاحب الأمر والمشيئة(١).

في هذه الآية يُبيّن سبحانه لعباده استمرارية المؤامرة، وأنَّها دائمة لا تنقطع فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ... ﴾: وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم؛ بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم. وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل..

---

(١) «في ظلال القران» (جـ ١) (ص: ٧٦)

إنَّ وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين؛ ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين، إنَّ الإسلام بذاته يُؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم. فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد. إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم.. إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد. ومن ثَمَّ لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون. ومن ثَمَّ يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويُردوهم كفارًا في صورة من صور الكفر الكثيرة.

ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تُؤمن بهذا الدين،وتتبع هذا المنهج، وتعيش بهذا النظام.

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتًا.

أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا. وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحًا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها.. والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يُحذِّر الجماعة المسلمة من الاستسلام، ويُنبهها إلى الخطر؛ ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب،وإلا فهي خسارة في الدنيا والآخرة؛ والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر.

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧].

والحبوط مأخوذ من حبطتْ الناقة إذا رعت مرعى خبيثًا فانتفختْ ثم نفقتْ.. والقرآن يُعبر بهذا عن حبوط العمل، فيتطابق المدلول الحسي والمدلول المعنوي.. يتطابق تضخم العمل الباطل وانتفاخ مظهره، وهلاكه في النهاية وبواره.. مع تضخم حجم الناقة وانتفاخها، ثم هلاكها في النهاية بهذا الانتفاخ!.

ومَنْ يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه؛ تحت مطارق الأذى والفتنة مهما بلغتْ هذا مصيره الذي قرره الله له.. حبوط العمل في الدنيا والآخرة. ثم ملازمة العذاب في النار خلودًا، إنَّ القلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه، لا يمكن أن يرتد عنه ارتدادًا حقيقيًا أبدًا. إلا إذا فسد فسادًا لا صلاح له. وهذا أمر غير التقية من الأذى البالغ الذي يتجاوز الطاقة. فالله رحيم. رخَّص للمسلم حين يتجاوز العذاب طاقته أن يقي نفسه بالتظاهر، مع بقاء قلبه ثابتًا على الإسلام مطمئنًا بالإيمان. ولكنه لم يُرخص له في الكفر الحقيقي، وفي الارتداد الحقيقي، بحيث يموت وهو كافر.. والعياذ بالله وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان.. ليس عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه ويقينه، ويرتد عن إيمانه وإسلامه، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه.. وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات حتى يأذن الله. والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيرًا: إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة(١).

ويقول العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ وإن أشعر أن قتالهم موجود فالمراد به أسباب القتال، وهو الأذى وإضمار القتال كذلك، وأنّهم إن شرعوا فيه لا ينقطعون عنه، على أنه صريح لا يزال الدلالة على أن هذا يدوم في المستقبل، و﴿حَتَّىٰ﴾ للغاية وهي هنا غاية تعليلية(٢).

ويقول سيد طنطاوي في «تفسيره» وقوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البَقَرَة:٢١٧]. بيان لشدة عداوة الكفار للمؤمنين ودوامها.

أي: ولا يزال المشركون يقاتلونكم أيها المؤمنون، ويضمرون لكم السوء ويداومون على إيذائكم لكي يرجعوكم عن دين الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك وقدروا عليه.

---

(١) «في ظلال القران» (ج: ١) (ص: ٢٠٧)

(٢) «التحرير والتنوير» (ج: ٢) (ص: ٢٦٨)

والتعبير بقوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ المفيد للدوام والاستمرار للإشعار بأن عداوة المشركين للمسلمين لا تنقطع، وأنهم لن يكفوا عن الإعداد لقتالهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، فعلى المؤمنين ألا يغفلوا عن الدفاع عن أنفسهم. و﴿حَتَّىٰ﴾ للتعليل أي: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ لكي ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أو بمعنى إلى، أي: إلى أن يردوكم عن دينكم. والرد: الصرف عن الشيء والإرجاع إلى ما كان عليه قبل ذلك: فغاية المشركين أن يردوا المسلمين بعد إيمانهم كافرين.

وقوله:﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ يدل كما يقول الزمخشري على استبعاد استطاعتهم رد المسلمين عن دينهم، وذلك كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تبق عليَّ[(١)].

ويقول فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومعنى:﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: يدومون على ذلك الفعل؛ لأنَّ الزوال يُفيد النفي فإذا أدخلت عليه: ما، كان ذلك نفيًا للنفي فيكون دليلًا على الثبوت الدائم والمعنى: أنَّ فتنتهم وقتالهم يدوم إلى أن يحصل غرضهم وهو أن يردوكم عن دينكم[(٢)].

فهل بعد قول الله تعالى قول أو اجتهاد؟ وهل بعد هذا البيان من أهل القرآن اجتهاد؟

✿ وفي آية أخرى يُوضح سبحانه أن الهدف من وراء تلك المؤامرات إنما هو إخراج المسلم عن دينه وجعله مسخًا إمعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

---

(١) «الوسيط لسيد طنطاوي» (ج ١) (ص ٣٧٧)

(٢) «تفسير الرازي» (ج ٣) (ص ٢٦٩)

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

لله وحده متميز متفرد ظاهر. لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله، لتُؤدى في حياة البشر دورًا خاصًا لا ينهض به سواها. لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة، تترجم فيها النصوص إلى حركات وأعمال، ومشاعر وأخلاق، وأوضاع وارتباطات.

وهي لا تُحقق غاية وجودها، ولا تستقيم على طريقها، ولا تنشئ في الأرض هذه الصورة الوضيئة الفريدة من الحياة الواقعية الخاصة المتميزة، إلا إذا تلقت من الله وحده، وإلا إذا تولت قيادة البشرية بما تتلقاه من الله وحده. قيادة البشرية.. لا التلقي من أحد من البشر ولا اتباع أحد من البشر، ولا طاعة أحد من البشر.. إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف هذا ما يُؤكده القرآن ويُكرره في شتى المناسبات. وهذا ما يُقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنحت الفرصة.. وهنا موضع من هذه المواضع، مناسبته هي المناظرة مع أهل الكتاب، ومواجهة كيدهم وتآمرهم على الجماعة المسلمة في المدينة.. ولكنه ليس محدودًا بحدود هذه المناسبة، فهو التوجيه الدائم لهذه الأمة، في كل جيل من أجيالها؛ لأنه هو قاعدة حياتها، بل قاعدة وجودها.

لقد وجدت هذه الأمة لقيادة البشرية. فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها ولتصلها بالله، ولتقودها بمنهج الله؟ وحين تتخلى عن مهمة القيادة فما وجودها إذن، وليس لوجودها في هذه الحال من غاية؟!.

لقد وجدت للقيادة: قيادة التصور الصحيح. والاعتقاد الصحيح. والشعور الصحيح والخلق الصحيح. والنظام الصحيح. والتنظيم الصحيح.. وفي ظل هذه الأوضاع

الصحيحة يمكن أن تنمو العقول، وأن تتفتح، وأن تتعرف إلى هذا الكون، وأن تعرف أسراره، وأن تُسخر قواه وطاقاته ومدخراته. ولكن القيادة الأساسية التي تسمح بهذا كله، وتسيطر على هذا كله وتوجهه لخير البشر لا لتهديدهم بالخراب والدمار، ولا لتسخيره في المآرب والشهوات.. ينبغي أن تكون للإيمان، وأن تقوم عليها الجماعة المسلمة، مهتدية فيها بتوجيه الله. لا بتوجيه أحد من عبيد الله.

وهنا في هذا الدرس يُحذِّر الأمة المسلمة من اتباع غيرها، ويبين لها كذلك طريقها لإنشاء الأوضاع الصحيحة وصيانتها. ويبدأ بتحذيرها من اتباع أهل الكتاب، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا مناص.

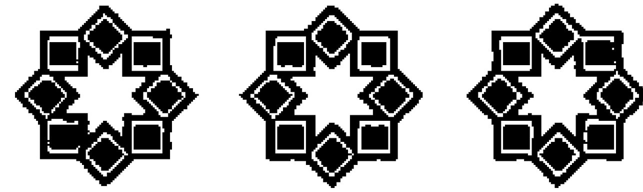
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

إنَّ طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعدًا في طريق النماء والارتقاء. وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به، ولا ترى خطره القريب.

هذا من المسلمين. فأما من الجانب الأخر، فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. فهذه العقيدة هي صخرة النجاة؛ وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. وأعداؤه يعرفون هذا جيدًا. يعرفونه قديمًا ويعرفونه حديثًا، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة ومن قوة كذلك وعُدة. وحين يعجزهم أن يُحاربوا هذه العقيدة ظاهرين

يدسون لها ماكرين. وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم وحده، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون زورًا للإسلام، جنودًا مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعًا غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها.. فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعًا واتباعًا، فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال. ومن ثَمَّ كان هذا التحذير الحاسم المخيف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

ما كان يفزع المسلم حينذاك ما يفزعه أن يرى نفسه منتسكًا إلى الكفر بعد الإيمان. وراجعًا إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة. وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان ومن ثَمَّ يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطًا يُلهب الضمير، ويُوقظه بشدة لصوت النذير.. ومع هذا فإن السياق يُتابع التحذير والتذكير.. فيا له من منكر أن يكفر الذين آمنوا بعد إيمانهم، وآيات الله تُتلى عليهم، ورسوله فيهم(١).



(١) «في ظلال القرآن» (جـ ١) (ص: ٤٠٦)

## المؤامرة كما تصورها السنة

أخي المسلم بعد أن تقرر لدينا حقيقة المؤامرة من خلال القرآن الكريم، وأنها باقية إلى قيام الساعة هيا لنلقي الضوء على سنة الصادق المصدوق ﷺ وهو يوضح لنا أن الصراع بيننا وبين الكفار باق إلى قيام الساعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه، دُلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة...**»[1].

يقول الإمام النووي: وَقَدْ وُجِدُوا فِي زَمَانِنَا هَكَذَا، وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: «**حُمْر الْوُجُوه**» أَيْ: بيض الْوُجُوه مَشُوبَة بِحُمْرَة. وفِي هَذِهِ الرِّوَايَة «**صِغَار الْأَعْيُن**» وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم، والحماية، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يُوحى[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حورًا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**»، وأخرجه الجماعة سوى النسائي.

يقول ابن كثير رحمه الله « والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة،

---

(١) « صحيح البخاري» (جـ ١١) (ص: ٤٢٣)

(٢) «شرح النووي على مسلم» (جـ٩) (ص:٢٩٥).

فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريبًا فقد يكون هذا أيضًا واقعًا مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أنْ تكونَ بين يديها قريبًا منها فإنها تكون مما يقع في الحملة ولو تقدَّم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب كما سترى ذلك قريبًا إن شاء الله تعالى[(١)].

وهذه إشارة نبوية إلى ما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين استضعافًا لهم وطمعًا فيهم مع كثرة المسلمين ووفرة عددهم حينئذٍ. قال الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لثوبان: «**كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**». فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمن قلة بنا؟ قال: «**لا بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكن يلقي في قلوبكم الوهن**»، قال: وما الوهن يارسول الله؟ قال:«**حُبُّكم الدنيا وكراهيَتُكم القتال**»[(٢)] وهكذا بيَّن لنا رسولنا ﷺ سبب ضعفنا، وسبب تكالب الأمم علينا وأن العدو لنا بالمرصاد، وقال الإمام أحمد: عن عبد الله بن عمر وسُئِلَ أي المدينتين تُفتح القسطنطينية أو رومية؟. قال: فدعا عبد الله بصندوق له حلق فأخرج منه كتابًا قال: فقال عبد الله: بينا نحن حول رسول الله ﷺ أي المدينتين نفتح أولًا القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله: «**مَدِينة هرَقل تُفْتَحَ أَولًا يعني القسطنطينية**»[(٣)].

ويُخبر النبي ﷺ عن تلك الحرب التي ستكون بين المسلمين والروم وإن الخيانة والغدر سيكون من الروم، قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر رجل من

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» (جـ ١) (ص: ٤).

(٢) رواه أبو داود والبيهقي وقال الألباني: صحيح، «المشكاة» (٥٣٦٩)، «الصحيحة» (٩٥٨).

(٣) «صحيح البخاري» (ح: ١٠) (ص: ٤٤٣).

أصحاب النبي ﷺ فأتيناه فسأله جبير عن الهدنة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستصالحون الروم صلحًا آمنًا فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج** -المرج الموضع ترعى فيه الدواب- **ذي تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة»**(١).

عن عوف بن مالك رضي الله عنه يقول: أتيتُ رسول الله ﷺ وهو في غزوة تبوك وهو في قبة أدم فقال: **«اعدُدْ سِتًّا بين يَدَى الساعةِ موتي، ثم فَتْحُ بيتِ المقدس، ثم مُوتَانٌ يأخذكم كقعاص الغنم، ثم استِفاضةُ المال حتى يُعطَى الرجلُ مائةَ دينار فَيَظَلُّ ساخِطًا، ثم فِتنةٌ لا تُبْقِي بَيْتًا من العَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْه، ثم هُدنةٌ تكون بَيْنَكم وبين بني الأصفرِ فيَغْمُون فيأتونكم تحت ثمانين رايَة تحت كل رايةٍ اثنا عشر أَلْفًا»**(٢).

إشارة نبوية إلى ما سيكون من فتح المسلمين لبعض الجزر البحرية ولبلاد الروم وبلاد فارس.

ومن انتصار حقهم على باطل الدجال، عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عليهم ثِيَابُ الصُّوفِ فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهُ ﷺ قاعِدٌ قال فَقَالَتْ لِي نَفْسِي ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَه لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ.

---

(١) «سنن أبي داود» (جزء٢) (صفحة ٥١٢) وابن حبان، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) رواه البخاري (ح ٣٠٠٥).

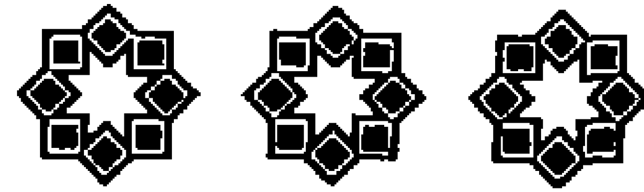
أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي قَالَ: «**تَغْزُونَ جَزِيرةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّوم فَيَفْتَحُهَا الله، ثم تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفتَحُهُ الله**»، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابرُ لَا نَرىَ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ(١).

وهذه إشارة نبوية إلى المسلمين سيُقاتلون اليهود، وينتصرون عليهم حتى إن اليهودى لا يجد له مخبأ يحميه من سيف المسلم.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**»(٢).

عنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرائِي فَاقْتُلْهُ**»(٣).

وبهذا البيان النبوي الشريف يتضح لكل مسلم أَنَّ المؤامرة قائمة إلى أن يرث الله الأرض، ومَنْ عليها فالحرب على أشدها بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل إنَّ اليهود يعتقدون ذلك، ويستعدون لهذه الحرب التي ستكون في أخر الزمان التي حدثتهم عنها كتبهم، فهل يليق بعاقل بعد ذلك أن يقول: إن المؤامرة خيال لا حقيقة ومرض مستوطن في نفوس المسلمين؟!.



(١) صحيح مسلم (جـ١٤) (ص ٩٢).

(٢) «صحيح البخاري» (ج١٠) (ص ٧١)

(٣) «صحيح مسلم» (ج١٤) (ص ١٣٩)

الفصل الثاني

# المؤامرة عبر التاريخ

بعد أن تبيَّن لكل ذي عينين أنَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة قد أوضحنا لنا العداء المترسخ في قلوب الأعداء من الكفرة والملحدين واليهود والنصارى، وأن الحرب قائمة على قدمٍ وساق إلى قيام الساعة، فلا يليق بمسلم أن يقول: إنَّ فكر المؤامرة خيال لا أصل له، وفي الصفحات التالية نتعرف على المؤامرة عبر العصور واختلاف الأمم والشعوب فالحق واحد لا يتغير بتغير الزمان والمكان، والكفر كله ملة واحدة يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

يقول سيد قطب رحمه الله: فهي جبلة واحدة، وطبيعة واحدة للمكذبين؛ وهو استقبال واحد للحق والرسل يستقبلهم به المنحرفون: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢] كما يقول هؤلاء المشركون! كأنما تواصوا بهذا الاستقبال على مدار القرون! وما تواصوا بشيء إنما هي طبيعة الطغيان، وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين!

والنتيجة الطبيعية التي تترتب على هذا الموقف المكرر، الذي كأنما تواصى به الطاغون على مدار القرون، ألا يحفل الرسول صلى الله عليه وسلم تكذيب المشركين. فهو غير ملوم على ضلالهم، ولا مقصر في هدايتهم: ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾.. إنما هو مُذكِّر، فعليه أن يذكر، وأن تمضي في التذكير، مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.. ولا تنفع غيرهم من الجاحدين. والتذكير هو وظيفة الرسل. والهدى والضلال خارجان عن هذه الوظيفة، والأمر فيهما إلى الله وحده. الذي خلق الناس لأمر يريده.

هنا يجئ الإيقاع الأخير في السورة. ويتضح معنى الفرار إلى الله، والتخلص من الأوهاق والأثقال، لأداء الوظيفة التي خلق الله العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها(١).

## المؤامرة على نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

**اعلم علمني الله وإياك:** أن فكر المؤامرة قديم منذ أن خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو صراع بين الهدى والضلال، بين الحق وحملته والباطل ودعاته... فهاهم قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يتآمرون على قتله أو إخراجه من بلده ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٢٢].

يقول الطنطاوي في (تفسيره): «أي: إذا لم تكف يا نوح عن مجادلتك لنا، ومن دعواتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا، لتكونن من المرجومين بالحجارة حتى تموت. وهكذا الطغاة يلجأون إلى القوة والتهديد والوعيد، عندما يجدون أنفسهم وقد حاصرهم أصحاب الحق من كل جوانبهم، بالحجة الواضحة، وبالرأي السديد.

ويئس نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ من إيمان قومه، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبعد أن سمع منهم مايدل على رسوخهم في الكفر والضلال، تضرع إلى ربه ﴿قَالَ رَبِّ

(١) «في ظلال القرآن» (ج٧) (ص ٣٧)

﴿إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ واستمروا على هذا التكذيب تلك القرون المتطاولة ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨]. أي: فاحكم بقدرتك العادلة بيني وبينهم حكمًا من عندك، تُنجي به أهل الحق، وتمحق به أهل الباطل وسُمِيَ الحكم فتحًا، لما فيه من إزالة الإشكال في الأمر، كما أن فتح الشيء المغلق يؤدي إلى إزالة هذا الإغلاق. ولذا قيل للحاكم فاتح لفتحه أغلاق الحق. ثم حكى - سبحانه - أنه قد استجاب لنوح دعاءه فقال: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾(١) [الشعراء: ١١٩-١٢٠].

يقول الحق -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٣-٢٦].

## المؤامرة ضد صالح عليه السلام

وها هم قوم صالح عليه السلام يتآمرون على قتله يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

---

(١) «سيد طنطاوي» (ج:١) (ص: ٣١٧٢)

﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[ النمل :٤٥-٥٣ ].

وقد تعاهد هؤلاء التسعة. وأكدوا ما تعاهدوا عليه بالأيمان المغلظة. على أن يُباغتوا نبيهم وأهله ليلًا، فيقتلوهم جميعًا، ثم ليقولن بعد جريمتهم الشنعاء لأقارب صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما حضرنا هلاك أهله وهلاك صالح معهم، ولا علم عندنا بما حلَّ بهم وبه من قتل، وإنا لصادقون في كل ما قلناه. وهكذا المفسدون في الأرض، يرتكبون أبشع الجرائم وأشنعها، ثم يبررونها بالحيل الساذجة الذميمة ثم بعد ذلك يحلفون بأغلظ الأيمان أنهم بريئون من تلك الجرائم. ومن العجيب أنَّ هؤلاء المجرمين الغادرين يقولون فيما بينهم: ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: احلفوا بالله، على أن تنفذوا ما اتفقنا عليه من قتل صالح وأهله ليلًا غيلةً وغدرًا. فهم يُؤكدون إصرارهم على الإجرام بالحلف بالله، مع أنَّ الله تعالى بريء منهم ومن غدرهم. وقولهم: ﴿ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾ نفي منهم لحضور قتلهم، فضلًا عن مباشرة قتلهم، كأنهم أرادوا بهذه الجملة الإتيان بحيلة يبررون بها المكر السيء، والتحليل القبيح قد أبطله الله تعالى وجعله يحيق بهم وبأشياعهم، فقد قال تعالى﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا ﴾ أي: ودبرونا لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ولمن آمن به، تدبيرًا محمودًا محكمًا أي: وهم لا يشعرون بتدبيرنا الحكيم، حيث أنجينا صالحًا ومَنْ معه من المؤمنين، وأهلكنا أعداءه أجمعين(١).

فهذا هو دأب الطغاة والظلمة في كل عصر ومصر يُدبرون ويمكرون بالدعاة والدعوة، ولكن الله -سبحانه وتعالى- غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) «الوسيط» لسيدطنطاوي (ج:١) ( ص: ٣٢٢٣)

## المؤامرة ضد خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

وتمر الأيام ويأتي خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدعو قومه إلى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الحجة بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر فماذا يكون ردهم عليه؟؟ إنها المؤامرة التي مازالت مستمرة وها هو الله -سبحانه وتعالى- يقص علينا نبأ تلك المؤامرة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ٥١-٧١].

يقول العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما غلبهم بالحجة القاهرة لم يجدوا مخلصًا إلا بإهلاكه. وكذلك المبطل إذا قرعت باطلَه حجة فساده غضب على المحقّ، ولم يبق له مفزع إلا مناصبته والتشفّي منه، كما فعل المشركون من قريش مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

حين عجزوا عن المعارضة. واختار قوم إبراهيم أن يكون إهلاكه بالإحراق؛ لأنَّ النار أهول ما يُعاقب به وأفظعه.

**والتحريق**: مبالغة في الحرق، أي: حرقًا متلفًا، وأسند قول الأمر بإحراقه إلى جميعهم، لأنهم قبلوا هذا القول وسألوا ملِكهم، وهو« النمروذ»، إحراق إبراهيم فأمر بإحراقه؛ لأن العقاب بإتلاف النفوس لا يملكه إلا ولاة أمور الأقوام. قيل: الذي أشار بالرأي بإحراق إبراهيم رجل من القوم كُردي اسمه «هينون»، واستحسن القومُ ذلك، والذي أمر بالإحراق« نمروذ»، فالأمر في قولهم «حرقوه مستعمل في المشاورة».

ويظهر أنَّ هذا القول كان مؤامرة سرية بينهم دون حضرة إبراهيم، وأنهم دبّروه ليبغتوه به خشيةَ هروبه لقوله تعالى:﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا ﴾[الأنبياء:٧٠].

ونمروذ هذا يقولون: إنه ابن«كوش» بن حَام بن نوح، ولا يصح ذلك لبعد ما بين زمن إبراهيم وزمن«كوش». فالصواب أن« نمروذ» من نسِل«كوش». ويحتمل أن تكون كلمة« نمروذ» لقبًا لملك«الكلدان» وليست عَلَمًا. والمقدر في التاريخ أن مَلك مدينة«أور» في زمن إبراهيم هو«ألغى بن أورخ» وهو الذي تقدم ذكره عند قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[البقرة:٢٥٨].

ونصر الآلهة بإتلاف عدوّها.

ومعنى﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ إن كنتم فاعلين النصر، وهذا تحريض وتلهيب لحميتهم.

وجملة﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الأنبياء:٦٩ ].

مفصولة عن التي قبلها إما لأنها وقعت كالجواب عن قولهم﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ فأشبهتْ جمل المحاورة، وإما لأنها استئناف عن سؤال ينشأ عن قصة التآمر على الإحراق. وبذلك يتعين تقدير جملة أخرى، أي: فألقوه في النار قلنا: يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم.

وقد أظهر الله ذلك معجزة لإبراهيم إذ وجَّه إلى النار تعلق الإرادة بسلب قوة الإحراق، وأن تكون بردًا وسلامًا إن كان الكلام على الحقيقة، أو أزال عن مزاج إبراهيم التأثر بحرارة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ، أي: كوني كبرد في عدم تحريق الملقَى فيك بحَرّك.

وأما كونها سلامًا فهو حقيقة لا محالة، وذِكر ﴿ وَسَلَٰمًا ﴾ بعد ذكر البرد كالاحتراس لأنَّ البرد مؤذ بدوامه ربما إذا اشتد، فعُقب ذكره بذكر السلام لذلك. وعن ابن عباس: لو لم يقلْ ذلك لأهلكته ببَردها. وإنما ذكر ﴿ بَرۡدًا ﴾ ثم أتبع بـ﴿وَسَلَٰمًا ﴾ ولم يقتصر على ﴿ بَرۡدًا ﴾ لإظهار عجيب صنع القدرة إذ صير النار بردًا. و﴿ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ يتنازعه ﴿ بَرۡدًا وَسَلَٰمًا ﴾. وهو أشد مبالغة في حصول نفعها له، ويجوز أن يتعلق بفعل الكون. تسمية عزمهم على إحراقه كيْدًا يقتضى أنهم دبروا ذلك خفية منه. ولعلّ قصدهم من ذلك أن لا يفرّ من البلد فلا يتم الانتصار لآلهتهم.

والأخسر: مبالغة في الخاسر، فهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة.

وتعريف جزأي الجملة يُفيد القصر، وهو قصرٌ للمبالغة كأنّ خسارتهم لا تدانيها خسارة وكأنهم انفردوا بوصف الأخسرين فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم. والمراد بالخسارة: الخيبة. وسُميت خيبتُهم خسارةً على طريقة الاستعارة تشبيهًا لخيبة قصدهم إحراقَه بخيبة التاجر في تجارته، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدًا ﴾، أي: فخابوا خيبة عظيمة. وذلك أنَّ خيبتهم جُمع لهم بها سلامةُ إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعَدوه للعقاب معجزة وتأييدًا لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلَّط الله عليهم عذابًا كما دلّ عليه قوله في سورة [الحج: ٤٤]. ﴿ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ وقد عَدّ فيهم قومَ إبراهيم، ولم أرَ من فسر ذلك الأخذ بوجه مقبول. والظاهر أن الله سلّط عليهم الأشوريين فأخذوا بلادهم، وانقرض ملكهم

وخلفهم الأشوريون، وقد أثبت التاريخ أن العيلاميين من أهل السوس تسلّطوا على بلاد الكلدان في حياة إبراهيم في حدود سنة ٢٢٨٦ قبل المسيح.

إنهم تآمروا على قتله بأبشع أنواع القتل ألا وهو الإحراق حيًا فدى تلك النار التي جمعوا لها من الحطب كل ما يقدرون عليه فكان عاقبة أمرهم خسرًا(١).

## المؤامرة ضد موسى كليم الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهاهو فرعون وجنده يتآمرون على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقد عانى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أهل مصر ومن قومه عناءً شديدًا ولقد تآمر به فرعون وقومه لقتله ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلما قتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ القبطي خطأ شاع الخبر في أرجاء المدينة، ووصل الخبر إلى الطاغية وأعوانه فقرروا دون نظر لملبسات القضية قتل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:٢٠-٢١] يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لقد عرف الملأ من قوم فرعون، -وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه- أنها فعلة موسى. وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر. فهي فعلة طابعها الثورة والتمرد، والانتصار لبني إسرائيل. وإذن فهي ظاهرة خطيرة تستحق التآمر. ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحقت أن يشتغل بها فرعون والملأ والكبراء. فانتدبت يد القدرة واحدًا من الملأ. الأرجح أنه الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه، والذي جاء ذكره في سورة [غافر]. انتدبته ليسعى إلى موسى«من أقصى المدينة» في جد واهتمام

(١) «التحرير والتنوير» (ج:٩) (ص: ١٨٢-١٨٣)

ومسارعة، ليبلغه قبل أن يبلغه رجال الملك:﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(١) [القصص: ٢٠].

وتلك مؤامرة أخرى يحيك خيوطها فرعون وقومه يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ
ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ۖ
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ
مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾
فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ
لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ
رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ
مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ
وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن
تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[الأعراف: ١٠٩-١٣٠]. وهكذا يتآمر فرعون اللعين وقومه

---

(١) «في ظلال القرآن» (ج:٥) (ص: ٤١٧)

على موسى الكليم وقومه فيصدرون قرارهم الظالم بقتل الأبناء، واستحياء النساء، وإذلال بني إسرائيل.

﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. ولكن هل يستسلم فرعون وملؤه لهذه الدعوى الخطيرة؟ هل يستسلمون لربوبية رب العالمين؟ إذن يقوم عرش فرعون وتاجه وملكه وحكمه؟ وعلام يقوم الملأ من قومه ومراكزهم التي هي من عطاء فرعون ورسمه وحكمه؟

علام يقوم هذا كله إن كان الله هو﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؟

إنه إن كان الله هو﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فلا حكم إلا لشريعة الله، ولا طاعة إلا لأمر الله.. فأين يذهب شرع فرعون وأمره إذن، وهو لا يقوم على شريعة الله ولا يرتكن إلى أمره؟.. إنَّ الناس لا يكون لهم﴿ رَبِّ ﴾ آخره يعبدهم لحكمه وشرعه وأمره، إن كان الله هو ربهم.. إنما يخضع الناس لشرع فرعون وأمره حين يكون ربهم هو فرعون. فالحاكم بأمره وشرعه هو رب الناس. وهم في دينه أيًا كان!

كلا! إن الطاغوت لا يستسلم هكذا من قريب. ولا يسلم ببطلان حكمه، وعدم شرعية سلطانه بمثل هذه السهولة!

وفرعون وملؤه لا يخطئون فهم مدلول هذه الحقيقة الهائلة التي يُعلنها موسى. بل إنهم ليعلنونها صريحة.

ولكن مع تحويل الأنظار عن دلالتها الخطيرة، باتهام موسى بأنه ساحر عليم: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ ﴾.

إنهم يُصرحون بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة. إنَّها الخروج من الأرض.. إنها ذهاب السلطان.. إنها إبطال شرعية الحكم.. أو.. محاولة قلب نظام الحكم!.. بالتعبير العصري الحديث!

إن الأرض لله. والعباد لله. فإذا ردت الحاكمية في أرض الله، فقد خرج منها الطغاة، الحاكمون بغير شرع الله! أو خرج منها الأرباب المتألهون الذين يُزاولون خصائص الألوهية بتعبيد الناس لشريعتهم وأمرهم.

وخرج منها الملأ الذين يُوليهم الأرباب المناصب والوظائف الكبرى، فيعبدون الناس لهذه الأرباب!

هكذا أدرك فرعون وملؤه خطورة هذه الدعوة.. وكذلك يدركها الطواغيت في كل مرة.. لقد قال الرجل العربي بفطرته وسليقته حين سمع رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: «هذا أمر تكرهه الملوك!». وقال له رجل آخر من العرب بفطرته وسليقته: «إذن تُحاربك العرب والعجم».. لقد كان هذا العربي وذاك يفهم مدلولات لغته. كان يفهم أن شهادة أن لا إله إلا الله ثورة على الحاكمين بغير شرع الله عربًا كانوا أم عجمًا! كانت لشهادة أن لا إله إلا الله جديتها في حسن هؤلاء العرب، لأنهم كانوا يفهمون مدلول لغتهم جيدًا. فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن تجتمع في قلب واحد، ولا في أرض واحدة، شهادة أن لا إله إلا الله، مع الحكم بغير شرع الله! فيكون هناك آلهة مع الله! ما كان أحد منهم يفهم شهادة أن لا إله إلا الله كما يفهمها اليوم مَنْ يدعون أنفسهم «مسلمين». ذلك الفهم الباهت التافه الهزيل! وهكذا قال الملأ من قوم فرعون، يتشاورون مع فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ ﴾.. واستقر رأيهم على أمرٍ: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[الأعراف: ١١١-١١٢]

وكانت أرض مصر تموج بالكهنة في شتى المعابد. وكان الكهنة هم الذين يزاولون أعمال السحر. ففي الوثنيات كلها تقريبًا يقترن الدين بالسحر؛ ويزاول السحر كهنة الديانات وسدنة الآلهة! وهذه الظاهرة هي التي يلتقطها «علماء الأديان!» فيتحدث بعضهم عن السحر كمرحلة من مراحل تطور العقيدة! ويقول الملحدون منهم: إنَّ الدِّين سيبطل كما بطل السحر! وإنَّ العلم سينهي عهد الدين كما أنهى عهد السحر!.. إلى آخر هذا الخبط الذي يسمونه «العلم»! وقد استقر رأي الملأ من قوم فرعون، على أن يرجيء فرعون موسى إلى موعد. وأن يُرسل في أنحاء البلاد مَنْ يجمع له كبار السحرة. ذلك ليواجهوا «سحر موسى» بزعمهم بسحر مثله. وعلى كلٍّ ما عرف من طغيان فرعون، فقد كان في تصرفه هذا أقل طغيانًا من طواغيت كثيرة في القرن العشرين؛ في مواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية رب العالمين! وتهديد السلطان الباطل بهذه الدعوة الخطيرة! ويطوي السياق القرآني إجراء فرعون وملئه في جمع السحرة من المدائن؛ ويسدل الستار على المشهد الأول، ليرفعه على المشهد التالي.. وذلك من بدائع العرض القرآني للقصص، كأنه واقع منظور، لا حكاية تروى! ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤].

إنهم محترفون... يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين! وكلما انحرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده سبحانه بالحاكمية؛ وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله، احتاج الطاغية إلى هؤلاء المحترفين، وكافأهم على الاحتراف، وتبادل وإياهم الصفقة: هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين! ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القربى منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعًا على بذل غاية الجهد.. وهو وهم لا يعلمون أن الموقف ليس موقف الاحتراف والبراعة والتضليل؛ إنما هو موقف

المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة، التي لا يقف لها الساحرون ولا المتجبرون! ولقد اطمأن السحرة على الأجر، واشرأبت أعناقهم إلى القربى من فرعون، واستعدوا للحلبة.. ثم ها هم ؟أولاء يتوجهون إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتحدي(١).

فماذا كانت نتيجة هذا المكر وتلك المواجهة؟

كانت النتيجة الحاسمة للطائفة المؤمنة، وردَّ الله كيد فرعون وملأه في نحرهم، وأغرق فرعون وجنده.

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[يونس: ٩٠-٩٣].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب. والسياق يُعرضه مختصرًا مجملًا، لأنَّ الغرض من سياقة هذه الحلقة من القصة في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة

بيان رعاية الله وحمايته لأوليائه، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه، الذين يُغلفون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة(٢).

وهو مصداق ما سبق في السورة من وعيد للمكذبين في قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن

(١) «في ظلال القرآن» (ج:٣) (ص: ٢٦٩)

(٢) «في ظلال القرآن» (جـ ٤) (ص: ١٨٠).

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[يونس:٤٧-٥١].

**فهنا يأتي القصص لصدق ذلك الوعيد:**

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾.

بقيادتنا وهدايتنا ورعايتنا. ولهذا الإسناد في هذا الموضع دلالته.

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾.. لا اهتداء وإيمانًا، ولا دفاعًا مشروعًا. ولكن:

﴿ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾.. وتجاوزًا للحد وطغيانًا، ومن مشهد البغي والعدو مباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾.

وعاين الموت، ولم يعد يملك نجاة.

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[يونس:٩٠].

لقد سقطتْ عن فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغي.. كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة، ولقد تضاءل وتصاغر واستخذى. فهو لا يكتفي بأن يُعلن إيمانه بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فيزيد في استسلام..﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾! ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.. الآن حيث لا اختيار ولا فرار؟ الآن وقد سبق العصيان والاستكبار؟ الآن؟!

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾.. لا تأكله الأسماك، ولا يذهب منكرًا مع التيار لا يعرف للناس. ذلك ليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك:﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾.. يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب:﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾.

لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم.

ويسدل الستار على المشهد النهائى في المأساة. مأساة البغي والفساد والتحدي والعصيان.. ويعقب السياق بلمحة سريعة عن مآل بني إسرائيل بعدها، تستغرق ما حدث في أجيال:

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس:٩٣].

**والمبوأ**: مكان الإقامة الأمين. وإضافته إلى الصدق تزيده أمانًا وثباتًا واستقرارًا كثبات الصدق الذي لا يضطرب، ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء. ولقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة، لا يذكرها السياق هنا، لأنها ليست من مقاصده، وتمتعوا بطيبات من الرزق حلال، حتى فسقوا عن أمر الله فحرمت عليهم. والسياق لا يذكر هنا إلا اختلافهم بعد وفاق. اختلافهم في دينهم ودنياهم، لا على جهل ولكن بعد أن جاءهم العلم، وبسبب هذا العلم، واستخدمه في التأويلات الباطلة(١).

## المؤامرة اليهودية ضد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

ولقد تآمر اليهود على قتل نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقصَّ الله تعالى علينا خيوط تلك المؤامرة ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٤) (ص: ١٧٩)

بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩].

وكان من خبر اليهود -عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه- أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يُبرئ بها الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصور من الطين طائرًا يشاهَدُ طيرانه بإذن الله، عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسَعَوْا في أذاه بكل ما امكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا يُساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلًا مشركًا من عبدة الكواكب، وكان يُقال لأهل ملته: اليونان وأنهوا إليه: أن ببيت المقدس رجلًا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس. فلما وصل الكتاب امتثل مُتَوَلِّي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر وقيل: سبعة عشر نفرًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هنالك. فلما أحس بهم، وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يُلْقَى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتَدَب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يَنْتَدِبُ إلا ذلك الشاب فقال: أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفُتِحَت رَوْزَنَة من سقف البيت، وأخذت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فلما رفع خرج أولئك النفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا مَنْ كان في البيت مع المسيح،فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظنَّ اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلستْ تحت ذلك المصلوب وبكتْ، ويُقال: إنه خاطبها، والله أعلم[1].

## المؤامرة ضد رسول الله ﷺ

ثم جاء الرحمة المهداة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالهدى ودين الحق فتآمر عليه الكفار واليهود، وحاولوا قتله ﷺ فما نجحوا وما فلحوا؛ بل خابوا وخسروا، وهاك طرف من مخططاتهم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

عن ابن عباس قال: وحدثني الكلبي، عن زاذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس: أنَّ نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعتُ أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأيٌ ونصحٌ. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يُواثبكم في أموركم بأمره.

قال: فقال قائل: احبسوه في وَثاق، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدوُّ الله الشيخ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ ٢) ( ص ٤٤٨)

النجدي فقال: والله، ما هذا لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا، قال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم استعرض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأيًا غير هذا! قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره! قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا وَسيطًا شابًا نَهْدًا، ثم يُعطَى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها، فإنهم رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه.

فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القولُ ما قال الفتى، لا أرى غيره! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمعون له، قال: فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذِن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة «الأنفال»، يُذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ، وأنزل في قولهم: ﴿ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ حتى يهلك كما هلك مَنْ كان قبله من الشعراء: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠]. وكان يُسمَّى ذلك اليوم: «يوم الزحمة» للذي اجتمعوا عليه من الرأي.[١]، وقال ابن اسحاق: فحدثني مَنْ لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبير أبي الحجاج، وغيره

(١) «الأثر» [١٥٩٦٥]- سيرة ابن هشام (٢: ١٢٤- ١٢٨).

ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ساق الخبر بغير هذا اللفظ. ومما اعترض به على هذا الخبر أن آية [الطور]، آية مكية، نزلتْ قبل الهجرة بزمان، وسياق ابن إسحاق للآية بعد الخبر، يُوهِم أنَّها نزلتْ ليلة الهجرة، أوبعد الهجرة، وهذا لا يكاد يصح.

## مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب الجمحي

عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش وكان ممن يُؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عناء أذاهم بمكة، وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر قال: فذكروا أصحاب القليب بمصابهم فقال: والله إنَّ في العيش خير بعدهم فقال عمير بن وهب: صدقت والله لولا دين عليَّ ليس عندي قضاؤه وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني عندهم أسير في أيديهم قال: فاغتنمها صفوان فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا لا نسعهم بعجز عنهم قال عمير: أكتم عني شأني وشأنك قال: أفعل ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسم، ثم انطلق إلى المدينة فبينما عمر رضي الله عنه بالمدينة في نفر من المسلمين يتذاكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم إذ نظر إلى عمير بن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشح السيف.

فقال: هذا الكلب والله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله! هذا عمير بن وهب قد جاء متوشح بالسيف قال: «**فادخله**» فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال عمر لرجال من الأنصار ممن كان معه: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده وخذوا هذا الكلب عليه فإنه غير مأمون ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم به وعمر آخذ بحمالة سيف فقال: «**أرسله ياعمر أدن يا عمير**» فدنا فقال: أنعموا صباحًا

وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله ﷺ: **«قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير السلام تحية أهل الجنة»** فقال: أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهدٍ بها قال: **«فما جاء بك؟»** قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسبه قال: **«فما بال السيف في عنقك؟»**.

قال: قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئًا قال: **«أصدقني ما الذي جئت له»** قال: ما جئت إلا لهذا قال: **«بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش»** فقلت: لولا دين عليَّ وعيالي لخرجتُ حتى أقتل محمدًا، فتحمل صفوان لك بدينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بينك وبين ذلك» قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نُكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: **«فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره»** ثم قال: يارسول الله! إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم ولا أؤذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش: أبشروا بوقعة تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بنفع أبدًا فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي مَنْ خالفه أذى شديدًا فأسلم على يديه ناس كثير(١).

---

(١) «مجمع الزوائد» و«منبع الفوائد» - (ج: ٤) (ص: ٣٠) رواه الطبراني مرسلًا وإسناده جيد.

## مؤامرة بني النضير

ومن بين تلك المؤامرة التي خطط لها اليهود تلك المؤامرة التي لا تصدر إلا من نفس خبيثة غادرة ماكرة، إنها مؤامرة بني النضير ضد سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ وإليك أحداثها قال ابن إسحاق (ص: ١٩٠): خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِير يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِك الْقَتِيلَيْن مِنْ بَنِي عَامِرٍ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيّ، لِلْجِوَار الَّذِى كَانَ رَسُولُ الله ﷺ عَقَدَ لَهُمَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ.

فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِك الْقَتِيلَيْن قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ نُعِينُك عَلَى مَا أَحْبَبْت، مِمَّا اسْتَعَنْت بنَا عَلَيْهِ ثُمّ خَلَا بَعْضُهُمْ ببَعْضٍ فَقَالُوا: إنّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرّجُلَ عَلَى مِثْل حَالِهِ هَذِهِ وَرَسُولُ الله ﷺ إلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيُلْقِى عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلكَ عَمْرُو بْنُ جَحّاشِ بْنِ كَعْبٍ، أَحَدُهُمْ فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ فَصَعِدَ لِيُلْقِى عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ وَرَسُولُ الله ﷺ أَتَاهُ الْخَبَرُ مِنْ السّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَامَ وَخَرجَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ. فَلَمّا اسْتَلْبَثَ النّبِيّ ﷺ أَصْحَابُهُ قَامُوا فِي طَلَبه فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبلًا مِنْ الْمدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ فَقَالَ: رَأَيْته دَاخِلًا الْمدِينَةَ. فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ حَتىّ انْتَهَوْا إلَيْه ﷺ فَأَخْبرَهُمْ الْخَبَرَ، بمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنْ الْغَدْرِ بِهِ وَأَمَرَ الله ﷺ بالتّهَيّؤِ لحَربِهِمْ وَالسّيْرِ إلَيْهِمْ. قَالَ ابْن هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[1].

---

(١) «سيرة ابن هشام» (ج: ٢) (ص: ١٨٩).

## مؤامرة يهود خيبر

ومن تلك المؤامرات التي قام بها اليهود وقتلت الأنبياء ما حدث في غزوة خيبر:
ومن تلك المؤامرة التي حاك خيوطها اليهود تلك المؤامرة الخبيثة التي أقدموا عليها لما قوض الله تعالى ملكهم فجعلهم أذلة صاغرين يوم أن فتح الله تعالى على رسوله والمؤمنين آخر معقل لليهود في جزيرة العرب يوم خيبر.

وإليك أحداث تلك المؤامرة، وكيف نجى الله نبيه ﷺ منها «لمَّا فُتِحَتْ خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سم فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا إلى من كان ها هنا من يهود**» فجمعوا له فقال: «**إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟**» فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم بل أبوكم فلان**» قالوا: صدقت، قال: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: «**من أهل النار؟**» قالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدًا**» ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟**» قالوا: نعم، قال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًا لم يضرك[(١)]

يقول الحافظ ابن حجر: في الحديث إخباره ﷺ عن الغيب وتكليم الجماد لهُ، ومعاندة اليهود لاعترافهم بصدقه فيما أخبر به عن اسم أبيهم، وبما وقع منهم دسيسة السم: ومع ذلك فعاندوا واستمروا على تكذيبه[(٢)]

---

(١) «صحيح البخاري» (ج: ١٠) (ص: ٤٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «فتح الباري» لابن حجر (ج: ١٦) (ص: ٣١٥).

## مؤامرة المنافقين في غزوة تبوك

أخي المسلم.. إن أعداء الإسلام للأمة بالمرصاد في كل زمان، ويحاولون جاهدين في تحقيق أهدافهم بشتى الطرق وبشتى أنواع الوسائل فعندهم الغاية تبرر الوسيلة فإذا لم يستطعيوا أن يحققوا أهدافهم بأنفسهم لجئوا إلى سلاح آخر وهو سلاح المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، وهذا السلاح من أخطر الأسلحة التي يستخدمها العدو مع عدوه، والذي يقرأ التاريخ يرى أنَّ المصائب والويلات التي حلَّت بالأمة كان ورائها عصابة مارقة من المنافقين، وهذا ما سيظهر لنا من خلال تلك الدراسة إن شاء الله تعالى.

عن أبي الطفيل قال: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديًا فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة، ويسوق به عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: **«قد»** حتى هبط رسول الله ﷺ فلما: هبط رسول الله ﷺ نزل ورجع عمار فقال: **«يا عمار! هل عرفت القوم؟»** فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال: **«هل تدري ما أرادوا؟»** قال: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه قال: فسأل عمار رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة فقال: أربعة عشر فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عَشر فعدد رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم فقال عمار: أشهد أنَّ الاثنى عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، قال الوليد: وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس، وذكر له أنَّ في الماء قلة فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى: أن لا يرد

الماء أحد قبل رسول الله ﷺ فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطًا قد وردوه قبله فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذٍ».

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الحادثة تكشف عن دخيلة القوم. وسواء كانت هي أو شيء مثلها هي الذي تعنيه الآية، فإنه ليبدو عجيبًا أن تنطوي صدور القوم على مثل هذ الخيانة والنفر يعجب هنا منهم:

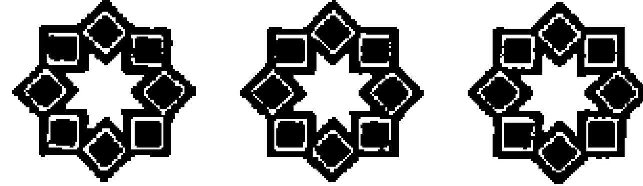
﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤].

فما من سيئة قدّمها الإسلام لهم ينقمون عليه هذه النقمة من أجلها، اللهم إلا يكون الغني الذي غمرهم بعد الإسلام، والرخاء الذي أصابهم بسببه هو ما ينقمون!

ثم يعقب على هذا التعجب من أمرهم، بعد كشف خبيئاتهم بالحكم الفاصل:

﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

بعد هذا كله يظل باب التوبة مفتوحًا على مصراعيه، فمَنْ شاء لنفسه الخير فليذلف إلى الباب المفتوح(١).



(١) «في ظلال القرآن» (ج: ٤) (ص: ٥١)

## الفصل الثالث

# المؤامرة في عهد الخلفاء

ما إن فارق النبي ﷺ الحياة حتى أطلتْ الفتنة برأسها، وأظهرت القلوب ما كانت تُخفي وارتدت قبائل العرب، وأحاطوا بالإسلام والمسلمين من كل جانب وبدأ العالم كله يكيد للإسلام والمسلمين فقبائل العرب كلها ارتدت، والفرس والروم قد أعدوا لهم العدة.

يقول د/ سفر الحوالي: «وحدثتْ المؤامرة وبرزتْ رءوسها من جديد بوفاته ﷺ ، إذ حصلتْ ردة جماعية، ونجم النفاق والكفر، وظهر من جديد في جزيرة العرب، ولم يبق على الإسلام إلا المدينة ومكة والطائف وبنو عبد القيس في البحرين وبعض القبائل ، وظهر المتنبئون الكذابون، وظهرتْ العداوات والأحقاد الكامنة في قلوب كثير من الناس، والضغائن التي لم يُخفها إلا الخوف من قوة الإسلام وبطشه» .

وقاد الصديق رضي الله عنه الحرب من جديد، وخرج أصحاب محمد ﷺ من المدينة بجيوش متعددة، كل منها إلى جهة من الجهات، ونصرها الله عزَّ وجلَّ وأخضعت تلك القبائل والمناطق جميعًا، ولم تقفْ عند ذلك، بل انطلقتْ شرقًا إلى الإمبراطورية الفارسية، وغربًا إلى الإمبراطورية الرومانية[(١)] .

يقول الدكتور / على محمد الصلابي رحمه الله: موقف الصديق من المرتدين:

لما كانت الردة قام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قدرت حبله، وخلق ثوبه، وضلَّ أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يُعطيهم خيرًا لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شرًا لشر عندهم، وقد

---

(١) «المؤامرة على الإسلام» (ص: ٦)

غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله، لا يعبدونه، ولا يدعونه، فأجهدهم عيشًا، وأظلهم دينًا في ظلف الأرض مع ما فيه من سحاب، فختمهم الله بحمده وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إن من حولكم من الأعراب قد منعوا شاتهم، وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على متقدم من بركة نبيكم، وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالًا فهداه، وعائلًا فأغناه ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل مَنْ قُتِلَ شهيدًا من أهل الجنة، ويبقى منها خليفته وذريته في أرضه قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلفَ له ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] [النور: ٥٥].

وقد أشار بعض الصحابة ومنهم عمر على الصديق بأن يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتى يتمكّن الإيمان من قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق عن ذلك وأباه[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه.

---

(١) «البداية والنهاية» (٦ / ٣١٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٦ / ٣١٥).

قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر، وكفر مَنْ كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه**(١)**، وحسابه على الله»**؟، فقال أبو بكر: والله لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا(٢) كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، وفي رواية: والله لو منعوني عقالًا(٣)، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفتُ أنه الحق(٤)، ثم قال عمر بعد ذلك: والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعًا في قتال أهل الردة(٥)، وبذلك يكون أبو بكر قد كشف لعمر «وهو يُناقشه» عن ناحية فقهية مهمة أجلاها له، وكانت قد غابت عنه وهي أن جملة جاءت في الحديث النبوى الشريف الذي احتج به عمر هي الدليل على وجوب محاربة مَنْ منع الزكاة حتى وإن نطق بالشهادتين وهي قول النبي ﷺ: **«فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم»**.

إلا بحقها(٦)، وفعلًا كان رأي أبو بكر في حرب المرتدين رأيًا ملهمًا، وهو الرأى الذي تُمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأي موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة، والرجوع إلى الجاهلية، لولا القرار الحاسم من أبي بكر لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادتْ الجاهلية تعيث في الأرض فسادًا(٧).

---

(١) **بحقه**: حق الإسلام.

(٢) **عناقًا**: الأنثى من ولد المعز.

(٣) **عقالًا**: هو الحبل الذي يعقل به البعير

(٤) «البخاري» (رقم ٦٩٢٤) (مسلم رقم ٢٠).

(٥) «حروب الردة، محمد أحمد باشميل» (ص: ٢٤).

(٦) مسلم رقم [٢١].

(٧) «الشورى بين الأصالة والمعاصرة» (ص:٨٦).

لقد تجلى فهمه الدقيق للإسلام، وشدة غيرته على هذا الدين، وبقائه على ما كان عليه في عهد نبيه في الكلمة التي فاض بها لسانه ونطق بها جنانه، وهي الكلمة التي تُساوي خطبة بليغة طويلة وكتابًا حافلًا، وهي قوله: عندما امتنع كثير من قبائل العرب أن يدفعوا الزكاة إلى بيت المال، أو منعوها مطلقًا وأنكروا فرضيتها: قد انقطع الوحى وتمَّ الدين، أينقص وأنا حي[(١)] وفي رواية قال عمر: فقلت: يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبّار في الجاهلية خوَّار في الإسلام، قد انقطع الوحي، وتمَّ الدين أينقص وأنا حي[(٢)].

لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأي فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر رضي الله عنه هذا الخليفة العظيم في حياته كلها[(٣)]، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه، ورجعوا إلى قوله واستصوبوه.

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه أبعد الصحابة نظرًا، وأحقهم فهمًا، وأربطهم جنانًا في هذه الطامة العظيمة[(٤)]، والمفاجئة المذهلة، ومن هنا أتى قول سعيد بن المسيب رحمه الله: وكان أفقهم، يعني الصحابة، وأمثلهم رأيًا[(٥)].

إن أبا بكر كان أنفذ بصيرة من جميع من حوله؛ لأنه فهم بإيمانه الذي فاق إيمانهم جميعًا، أن الزكاة لا تنفصل عن الشهادتين؛ فمَنْ أقر لله بالوحدانية لابد أن يقر له بما يفرض من حق في ماله الذي هو مال الله أصلًا «وأن لا إله إلا الله بغير زكاة لا وزن لها

(١) «المرتضى» لأبي الحسن الندوي (ص: ٧٠).
(٢) «مشكاة المصابيح، كتاب المناقب» (رقم: ٦٠٣٤).
(٣) "الشورى بين الأصالة والمعاصرة» (ص: ٨٧).
(٤) «حركة الردة» (ص: ١٦٥).
(٥) «البدر والتاريخ» للمقدسي (٥ / ١٥٣).

في حياة الشعوب، وأن السيف يُشرع دفاعًا عن أدائها تمامًا كما يُشرع دفاعًا عن لا إله إلا الله، تمامًا هذه كتلك. هذا هو الإسلام وغير هذا ليس من الإسلام[1]، فقد توعد الله أولئك الذين يُؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

كان موقف أبي بكر رضي الله عنه الذي لا هوادة فيه، ولا مساومة فيه ولا تنازل، موقفًا ملهمًا من الله، يرجع إليه الفضل الأكبر بعد الله تعالى في سلامة هذا الدين ونقائه وصفائه وأصالته، وقد أقرَّ الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية، ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر حقها، واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها[2] [3].

## المؤامرة ضد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما منَّ الله تعالى على المسلمين وفتحوا بلاد فارس والروم في عهد الفاروق عمر، ظنَّ أعداء الإسلام من الفرس والروم واليهود والنصارى والمجوس، وجميع تلك النحل والملل أنه إذا قتل الفاروق انتهى أمر الدين، وتلك نظرية كثير من أعداء الحق فهم يحاربون كل مَنْ يرونه يحمل لواء الدين ولواء السنة، ويظنون أنه إذا حُورب في ذاته انتهى الأمر، ونحن نعلم جميعًا أن هذه النظرية نظرية خاطئة تمامًا، إن الدين دين الله وهو ناصر دينه عز وجل وما هؤلاء الرجال إلا أناس اصطفاهم الله تعالى بالقيام بأمر

(١) «حياة أبي بكر» محمود شلبي (ص ١٢٣).
(٢) «المرتضى» للندوي (ص: ٧٢).
(٣) «أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره».

دينه، فهم ينالون الشهادة، ويخلف الله بعدهم مَنْ يقوم بهذا الدين، لأنه قد وعد سبحانه وتعالى أهل دينه، وتوعد أعداءه بأن يظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون.. ولو كره الكافرون. يقول الحق سبحانه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣].

فقد مات رسول الله ﷺ فهل انتهى الدِّين بموته؟

كلا بل هيئ الله سبحانه للأمة من بعده خلفاء راشدين مهديين أقاموا دينه ونشروا شريعته، وكم من داعية كان انتصار دعوته بموته فدخل الناس في دين الله أفواجًا لذا وجب على الأمة عندما تشتد بها الأزمات، ويحيط بها الأعداء إن يزدادوا إيمانًا مع إيمانهم يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

## مقتل الفاروق عمر رضي الله عنه

كيف كانت نهاية تلك الحياة الحافلة بالبذل والعطاء والجهاد في سبيل الله؟

الثابت في مقتله: أنه كان بمؤامرة مجوسية نصرانية، ويُقال: إنَّ لليهود ضلعًا في ذلك، ذكر الإمام الذهبي عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر -ولم تجرب عليه كذبة قط- قال: انتهيتُ إلى الهرمزان وجفنية وأبي لؤلؤة وهم نجى فتبعتهم، وسقط بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فقال عبد الرحمن: فانظروا بم قتل عمر، فنظروا فوجدوه خنجرًا على تلك الصفة، فخرج عبيد الله بن عمربن الخطاب مشتملًا على السيف حتى أتى الهرمزان فقال: اصحبني ننظر فرسًا لى وكان بصيرًا بالخيل فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حد السيف قال: لا إله إلا الله فقتله. ثم أتى جفنية وكان نصرانيًا، فلما أشرف له علاه

بالسيف فضرب بين عينيه.ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة تُدعى الإسلام فقتلها، وأظلمت الأرض يؤمئذٍ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتًا في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبيًا إلا قتله وغيرهم، كأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له: ألق السيف، فأبى، ويهابونه أن يقربوا منه، حتى أتاه عمرو ابن العاص فقال: أعطني السيف يابن أخي. فأعطاه إياه ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا حتى حجز الناس بينهما.

فلما ولى عثمان قال: أشيروا عليَّ في هذا فتق في الإسلام ما فتق، فأشار المهاجرون بقتله، وقال جماعة الناس: قتل عمر بالأمس ويتبعونه ابنه اليوم! أبعد الله الهرمزان وجفنية، فقال عمرو: إن الله فد أعفاك أن كون هذا الأمر في ولايتك فاصفح عنه، فتفرق الناس على قول عمرو، وودي عثمان الرجلين والجارية(١).

التنبيه على الحقد الذي انطوتْ عليه قلوب الكافرين ضد المؤمنين: يقول الدكتور على الصلابي: ويدل على ذلك قتل المجوسي أبي لؤلؤة لعمر رضي الله عنه، وتلك هي طبيعة الكفار في كل زمان ومكان، قلوب لا تضمر للمسلمين إلا الحقد والحسد والبغضاء، ونفوس لا تكن للمؤمنين إلا الشر والهلاك والتلف، ولا يتمنون شيئًا أكثر من ردة المسلمين عن دينهم وكفرهم بعد إسلامهم(٢)، وإن الذي ينظر جيدًا في قصة مقتل عمر رضي الله عنه، وما فعله المجوسي الحاقد أبو لؤلؤة يستنبط منها أمرين مهمين، يكشفان الحقد الذي أضمره هذا الكافر في قلبه تجاه عمر، وتجاه المسلمين، وهما:

(أ) أنه قد ثبت في (الطبقات الكبرى) لابن سعد بسند صحيح إلى الزهري(٣)، أنَّ عمر رضي الله عنه قال لهذا المجوسي ذات يوم: ألم أُحدّث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي (ج:١) (ص: ٤١٨).

(٢) «سير الشهداء دروس وعبر» عبد الحميد السحيباني (ص: ٣٦).

(٣) «الطبقات» (٣ / ٣٤٥) إسناده صحيح.

تطحن بالريح؟، فالتفت إليه المجوسي عابسًا، لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على مَنْ معه، توعدني العبد.

( ب ) الأمر الثاني الذي يدل على الحقد الذي امتلأ به صدر هذا المجوسي أنه لمّا طعن عمر رضي الله عنه، طعن معه ثلاثة عشر صحابيًا استشهد منهم سبعة جاء في رواية الإمام البخاري قوله: فطار العلج[(١)] بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا، مات منهم سبعة[(٢)]، ولو كان عمر رضي الله عنه ظالمًا له فما ذنب بقية الصحابة الذين اعتدى عليهم؟!، ومعاذ الله تعالى أن يكون عمر ظالمًا له، إذ قد ثبت في رواية البخاري أنه لما طعن رضي الله عنه قال: يا ابن عباس! انظر من قتلني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ أي: الصانع، قال نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام[(٣)]، وهذا المجوسي أبو لؤلؤة قام أحبابه أعداء الإسلام ببناء مشهد تذكاري له على التنبيه على مدينة كاشان الإيرانية، في منطقة تسمى «باغى فين» مشهدًا على غرار الجندى المجهول، فيه قبر وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي، قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربية «مرقد بابا شجاع الدين»، وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي: «مرك بر أبو بكر، مرك بر عمر، مرك بر عثمان» ومعناه بالعربية: الموت لأبي بكر، الموت لعمر، الموت لعثمان وهذا المشهد يُزار من قبل الشيعة الإيرانيين، وتُلقى فيه الأموال، والتبرعات، وقد رأيت هذا المشهد بنفسي، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة على المشهد على كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب[(٤)].

---

(١) **العلج**: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج وهو يعني أبا لؤلؤة.

(٢) البخاري، «ك فضائل الصحابة» رقم [٣٧٠٤].

(٣) البخاري، «ك فضائل الصحابة» رقم [٣٧٠٤].

(٤) «لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأطهار» (ص: ٩٤).

## المؤامرة ضد عثمان رضي الله عنه

لما قتل عمر بن الخطاب بتلك المؤامرة الخبيثة ظنَّ الأعداء أنهم بذلك قضوا على الإسلام وعلى حركة الفتوح الإسلامية التي اتجه صوب بلاد الفرس والروم وأخذ تتهاوى أمامها القلاع والحصون.. ولكن هيهات هيهات أن يصلوا إلى هدفهم فقد تولى الخلافة من بعده ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه مَنْ أوقف ماله ونفسه لرفع راية الإسلام.

إنَّ عهد عثمان رضي الله عنه شهد ركوب المسلمين البحر للمرة الأولى فأصبحوا يُجاهدون المشركين في البر والبحر معًا.

«أمام هذا الفشل الذريع الذي حصده أعداء الإسلام في صراعهم مع المسلمين نجدهم يتجهون إلى تفعيل سلاحهم المفرق للصفوف والجماعات ألا وهو سلاح النفاق، حيث قامتْ طائفة منهم بزعامة اليهودي عبد الله بن سبأ، بادعاء الإسلام من أجل هدمه من الداخل، وهي الخطة نفسها التي طبقها اليهودي «بولس» من قبل مع أتباع عيسى عليه السلام، وملخص ذلك: أنه عن طريق الغلو في عيسى عليه السلام تمكن اليهودي «بولس» «الذي انتحل النصرانية، من إدخال الشرك على أتباع عيسى عليه السلام بعد أن رفعه الله سبحانه وتعالى إليه، وبذلك تمكَّن من إفساد عقيدتهم، وحرفهم عن ملة التوحيد. هذا المخطط حاول ابن سبأ تطبيقه مع المسلمين، وذلك عن طريق الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكونه زوج فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ووالد الحسن والحسين حفيدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا مدخل مهم لتنفيذ مخطط ابن سبأ.

### ما حقيقة شخصية عبد الله بن سبأ وما دوره في إشعال نار الفتنة؟

رجل يُقال له عبد الله بن سبأ: وشهرته ابن السوداء؛ لأن أمه كانت سوداء من الحبشيات. وهو من صنعاء وكان يهوديًا من يهود اليمن. أظهر الإسلام وباطنه الكفر، ثم انتهج التشيع لعلي رضي الله عنه، وهو الذي تُنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية

علي وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة منهم تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب (الصحاح) و(السنن) و(المساند)[١].

فلما رأى هذا الرجل أن أمر الإسلام بدأ ينتشر بهذه الصورة وبدأ يظهر، رأى أنَّ هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، وكان بمنتهى الخبث، فأول ما بدأ، بدأ بالمدينة، وكانت المدينة يومها ملأى بالعلماء، فدُحر بالعلم، كلما رمى شبهة رُد عليها، فمَنْ شبهه أنه أظهر بعض العقائد اليهودية، مثل بالرجعة؛ -أي رجعة الرسول صلى الله عليه وسلم - واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، وذكر تعجبه للناس ممن يصدق برجعة عيسى عليه السلام ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان قوله هذا إلا وسيلة للوصول إلى ما هو أكبر من ذلك، حيث قال بعد ذلك برجعة علي رضي الله عنه وأنه سيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا.

لما رأى ابن سبأ لم يستطع أن يكسب شخصًا واحدًا توجه نحو الشام، وكانت الشام وقتها يحكمها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلما توجه إليها لم يستطع أن يكسب ولو رجلًا واحدًا إلى صفه، فترك الشام وتوجه نحو الكوفة وإذ هي تموج بالفتن، ومكانًا خصبًا لبث شبهاته. لذلك كان عمر رضي الله عنه ولى عليها المغيرة بن شعبة رضي الله عنه حيث كان من أشد الناس، ففي أيام عمر ما استطاعت أن تبرز في الكوفة فتنة، ولما تولى عثمان الخلافة عزل المغيرة وعيَّن بدلًا عنه سعيد بن العاص رضي الله عنه، وكان من بني أمية فأهل الكوفة اعتبروا ذلك استغلالًا للمنصب؛ فكثرت الفتن فيها، فعبد الله بن سبأ وجد أرضًا خصبة للفتن، فاستطاع أن يجمع حوله جماعة، ثم انتقل إلى البصرة فجمع فيها جماعة أخرى، وكان عددهم على أقل تقدير عند المؤرخين ستمائة رجل، وأقصاها ألف رجل،

---

(١) «المحبَّر لابن حبيب» (ص:٣٠٨). «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٤٠). و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٩/ ٣) و«كتاب ابن سبأ حقيقة لا خيال» لسعدي مهدي الهاشمي، و«كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام» لسليمان العودة.

ثم انتقل إلى مصر واستطاع أن يجمع ما بين ستمائة إلى الألف من الرجال(١)، واستخدم ابن سبأ كذلك الأعراب، فذهب إليهم وبدأ يُثير عندهم الأكاذيب حول عثمان، ويستدل على قوله بكتب مزيفة كتبها هو وأعوانه على ألسنة طلحة والزبير وعائشة، فيها التذمر على سياسة عثمان في الحكم، فصار الأعراب وهم الذين لا يفقهون من دين الله الشيء الكثير، يتأثرون بهذه الأكاذيب ويصدقونها فمُلئتْ قلوبهم على عثمان رضي الله عنه(٢).

بعد ذلك اتجه ابن سبأ إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم فقال لهم: إن عثمان أخذ الأمر بغير حق وهذا وصي الرسول صلى الله عليه وسلم، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن في أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر(٣).

ويظهر من هذا النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يُوقع في أعين الناس بين اثنين من الصحابة حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصبًا وهو عثمان.

ثم إنه أخذ يحضّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مِصرهم إلى بقية الأمصار، فيتخيل أهل البصرة مثلًا أنَّ حال أهل مصر أسوأ ما يكون من قبل واليهم، ويتخيل أهل مصر أن حال أهل الكوفة أسوأ ما يكون من قبل واليهم، وكان أهل المدينة يتلقّون الكتب من الأمصار بحالها وسوئها من أتباع ابن سبأ، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أنَّ الحال من السوء مالا مزيد عليه، والمستفيد من هذا الحال هم السبئية، لأنَّ تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي.

---

(١) «استشهاد عثمان» و «وقعة الجمل» من مرويات سيف بن عمر لخالد الغيث (ص: ٤٢-٨٦).

(٢) «استشهاد عثمان» (ص ٨٧-٩٩).(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٤٣).

(٣) تاريخ الطبري (٤ / ٣٤١)، من طريق سيف بن عمر.

هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئًا ما يُحاك في الأمصار، وأنَّ الأمة تمخض بشرّ فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها(١).

والذي حصل أن أهل الفتنة أخذوا يتراسلون فيما بينهم، فلما رأوا أنَّ عددهم قد كثر تواعدوا على أن يلتقون عند المدينة في شوال من سنة(٣٥هـ) في صفة الحجاج، فخرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المقلّل يقول: ستمائة والمكثر يقول: ألف.. ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب، وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء.. وخرج أهل الكوفة في عدد كعدد أهل مصر، وكذا أهل البصرة، ولما اقتربوا من المدينة شرعوا في تنفيذ مرحلة أخرى من خطتهم، فقد اتفق أمرهم أن يبعثوا اثنين منهم ليطلعا على أخبار المدينة، ويعرفا أحوال أهلها، ذهب الرجلان فلقيا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليًا وطلحة والزبير، فأبى الصحابة، وقال علي رضي الله عنه: لا آمركم بالإقدام على عثمان فإن أبيتم فبيض سيفرخ(٢)

## مؤامرة وتهمة الرسائل

تظاهر القوم بالرجوع وهم يُبطنون أمرًا لا يعلمه الناس، فوصلتْ الأنباء إلى أهل المدينة بانصراف أهل الفتنة فهدأ الناس، وفي الليل فوجئ أهل المدينة بأهل الفتنة يدخلون المدينة من كل مكان فتجمعوا في الشوارع وهم يكبرون، فجاء علي بن أبي طالب وقال: ما شأنكم؟ لماذا عدتم؟ فرد عليه الغافقي بأن عثمان غدر بهم، قال كيف؟ قال: قبضنا على رسول ومعه كتاب من عثمان يأمر فيه الأمراء بقتلنا، فقال على لأهل الكوفة والبصرة: وكيف علمتم بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا، هذا والله أمر أبرم بالمدينة، وكان أمر الكتاب الذي زوّر على لسان عثمان رضي الله عنه اتخذوه ذريعة ليستحلوا دمه، ويحاصروه في داره إلى أن قتلوه رضي الله عنه.

---

(١) الطبري (٤/ ٣٤٩-٣٥٠)، من طريق سيف بن عمر.

(٢) الطبري (٤/ ٣٥١).

ومع هذا كله فالثائرون يُفصحون عن هدفهم ويقولون: ضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا ونحن نعتزله [من طريق سيف بن عمر].

وعلاوة على ذلك هناك ما يُؤكد تزوير هذا الكتاب، إذ ليس هو الكتاب الوحيد الذي يُزوّر على لسان الصحابة، فهذه عائشة ﵂، تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوادًا في بياض حتى جلست مجلسي هذا[1].

وما تلك اليد الخفية التي كانت تخط وراء الستار لتوقيع الفرقة بين المسلمين، وتضع في سبيل ذلك الكتب على لسان الصحابة، وتدبر مكيدة الكتاب المرسل إلى عامل عثمان على مصر، وتستغل الأمور لتقع الفتنة بالفعل إلا يد ذلك اليهودي الخبيث وأتباعه، فهم المحركون للفتنة.

## موقف الخليفة المظلوم ﵁ لما رأى عثمان ﵁

تلك الفتنة المظلمة أراد أن يطفئ هذه الفتنة فماذا صنع ﵁؟

هنا استشار عثمان كبار الصحابة في أمر التخلي عن الخلافة لتهدأ الفتنة، وكان المغيرة بن الأخنس قد أشار عليه بالخلع لئلا يقتله الخارجون عليه، وقد سأل عثمان ابن عمر عن رأي المغيرة؟ فنصحه بأن لا يخلع نفسه وقال له: فلا أرى لك أن تخلع قميصًا قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو أميرهم قتلوه[2].

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ١٩٥) وانظر ما رواه الطبري من استنكار كبار الصحابة أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات (٤/ ٣٥٥).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٦٦) بإسناد صحيح ورجاله رجال الشيخين، و«تاريخ خليفة» (ص:١٧٠) بإسناد حسن.

## موقف عثمان رضي الله عنه من مطالب زعماء الفتنة:

لما استشار عثمان الصحابة، ورأى أنَّ المصلحة تقتضي الصبر أمام تلك المحنة وقف عثمان رضي الله عنه موقفا آخر أشد صلابة، وهو عدم إجابته الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة؛ فلو أجابهم إلى ما يُريدون لسنّ سنّة، وهي كلما كره قوم أميرهم خلعوه، ومما لا شك فيه أن هذا الصنيع من عثمان كان أعظم وأقوى ما يستطيع أن يفعله، إذ لجأ إلى أهون الشرين وأخف الضررين ليدعم بهذا الفداء نظام الخلافة.

كان الخارجون عليه يطلبون منه ثلاثة أمور كما جاء ذلك عند ابن سعد في (الطبقات) (٣/ ٧٢-٧٣)، قال عثمان للأشتر: يا أشتر ما يريد الناس مني؟ قال: ثلاث ليس لك من إحداهن بدّ، قال: ما هن؟ قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فتقول: هذا أمركم فاختاروا مَنْ شئتم، وبين أن تقصّ من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك. قال: أما ما مِنْ إحداهن بدّ؟.

قال: لا، ما مِنْ إحداهن بدّ. قال: أما أن أخلع لهم أمرهم، والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض، وأما أن أقص من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يديّ قد كان يُعاقبان وما يقوم بدّ من القصاص، وأما أن تقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تحابّون بعدي أبدًا، ولا تصلون بعدي جميعًا أبدًا، ولا تقاتلون بعدي عدوًا جميعًا أبدًا.

ولهذا احتج عثمان رضي الله عنه على المحاصرين بقوله: إن وجدتم في كتاب الله، وفي رواية: في الحق أن تضعوا رجليَّ فضعوها[١].

وها هو عثمان رضي الله عنه يبرئ نفسه من تلك التهم التي يدعيها هؤلاء المتآمرين.

---

(١) «تاريخ خليفة» (ص١٧١) وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٩٢) قال المحقق: إسناده صحيح، وانظر: «الطبقات» (٣/ ٦٩-٧٠) بلفظ قريب.

«عن أبي أمامة بن سهل قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار وكان في الدار مدخل مَنْ دخله سمع كلام من على البلاط فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفًا قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين قال: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إسلام أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس**» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلًا منذ هداني الله، ولا قتلت نفسًا فبم يقتلونني؟ قال أبو داود: عثمان وأبو بكر رضي الله عنه تركا الخمر في الجاهلية»[١].

## عثمان رضي الله عنه يحقن دماء الأمة

لقد تقدم كثير من الصحابة لنصرة عثمان اتخذ موقفًا حاسمًا، وقرر عدم مقاتلة هؤلاء الثوار وألزم الصحابة بضبط النفس والتحلي بالحلم والأناة.

« فقال: أعزم على كل مَنْ رأى عليه سمعًا وطاعة إلا كفّ يده وسلاحه، فخرج كل من الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وأصر عبد الله بن الزبير على البقاء ومعه مروان بن الحكم.

عن قتادة أن ابن ثابت قال لعثمان: هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال. لا حاجة لي في ذلك كفوا[٢].

عن نافع أو غيره: أن ابن عمر كان يومئذٍ متقلدًا سيفه حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن بقتل.

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قلتُ لعثمان: اليوم طاب الضرب معك.

قال: أعزم عليك لتخرجن.

(١) «تاريخ خنيفة» (ج:١) (ص: ١٢٩)

(٢) «تاريخ خليفة » (ج:١) (ص :١٢٩)

عن محمد بن سيرين قال: انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان وكلهم شاكٍ في السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فخرج ابن عمر والحسن والحسين، فقال ابن الزبير ومروان: ونحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح[(١)].

## موقف أم حبيبة رضي الله عنها

واستمر الحصار عليه رضي الله عنه حتى إنهم منعوا عنه الماء، فوصل الخبر إلى أمهات المؤمنين فتحركتْ أم حبيبة رضي الله عنها وكانت من أقارب عثمان، فأخذتْ الماء وجعلته تحت ثوبها، وركبتْ البغل واتجهت نحو دار عثمان، فدار بينها وبين أهل الفتنة كلام فقال الأشتر كذبت بل معك الماء ورفع الثوب فرأى الماء فغضب وشقَّ الماء، قال كنانة مولى صفية: كنتُ أقود بصفية لتردَّ عن عثمان فلقيها الأشتر فضرب وجه بغلتها حتى مالت فقالت: ردوني، ولا يفضحني هذا الكلب[(٢)].

وفى رواية عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة من طريق الحسن البصري قال: لما اشتد أمرهم يوم الدار، قال: قالوا: فمن، فمن؟ قال: فبعثوا إلى أم حبيبة فجاؤوا بها على بغلة بيضاء وملحفة قد سترت، فلما دنت من الباب قالوا: ما هذا؟ قالوا: أم حبيبة، قالوا: والله لا تدخل، فردوها[(٣)].

ليلة مقتل عثمان رضي الله عنه وها هي آخر ليلة قضاها عثمان رضي الله عنه فماذا رأى؟

(١) «تاريخ خليفة» (ج:١) (ص: ١٢٩).

(٢) «فضائل الصحابة» (١/ ٤٩٢). وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٣) «المستدرك» (٣/ ٩٩) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في «فضائل الصحابة» من طريق آخر (١/ ٤٩٧) قال المحقق: إسناده حسن، وورد بلفظ آخر عند ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ٢٩١) قال المحقق: قال البوصيري: رواه البزار وأبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٣٢) وصححه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٣) وذكره ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٥).

روى الحاكم بإسناد صحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن عثمان أصبح يُحدث الناس قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا عثمان! أفطر عندنا، فأصبح صائمًا وقتل من يومه(١).

## كيف قُتل عثمان رضي الله عنه؟

عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: فتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه، فدخل عليه رجل فقال: بيني وبينك كتاب الله، فخرج وتركه، ثم دخل عليه آخر فقال: بيني وبينك كتاب الله، فأهوى إليه بالسيف، فاتقاه بيده فقطعها، فلا أدري أبانها أم قطعها ولم يبنها، فقال: والله إنها لأول كف خطت المفصل.

هذا ما ورد عن كيفية دخول الثوار على عثمان رضي الله عنه، وتتوزع سيوفهم دماءه الطاهرة، فأخذ الغافقي حديدة ونزل بها على عثمان رضي الله عنه فضربه بها ورَكَسَ المصحف برجله فطار المصحف، واستدار ورجع في حضن عثمان، وسال الدم فنزل عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٨]، هنا أرادت نائلة زوجة عثمان أن تحميه فرفع سودان السيف يريد أن يضرب عثمان فوضعت يدها فقطع أصابعها فولت صارخة تطلب النجدة فضربها في مؤخرتها، وضرب عثمان على كتفه فشقه ثم نزل عليه بخنجر فضربه تسع ضربات وهو يقول: ثلاث لله وست لما في الصدور، ثم قام قتيرة فوقف عليه بالسيف ثم اتكأ على السيف فأدخله في صدره ثم قام أشقاهم، وأخذ يقفز على صدره حتى كسّر أضلاعه، هنا قام غلمان عثمان بالدفاع عنه، واستطاعوا أن يقتلوا كل من سودان وقتيرة، لكن أهل الفتنة قتلوا الغلمان جميعًا وتركوا جثثهم داخل الدار، ثم قام جماعة من الصحابة وذهبوا إلى داره وخرجوا به ودفنوه رضي الله عنه بليل في حش كوكب، وكانت مقبرة لليهود فاشتراها عثمان، وهي في ظهر البقيع فدفن فيها ولم يدفن في البقيع

---

(١) «تاريخ خليفة» ابن خياط (ص: ١٧٤).

لعدم إذن أهل الفتنة، ثم إنه في عهد معاوية وسع البقيع، وأدخل فيه المكان فصار قبر عثمان داخل البقيع[١].

## المؤامرة على قتل علي رضي الله عنه

### طرف من فضائل ومناقبه رضي الله عنه:

أخي المسلم... بعد مقتل عثمان رضي الله عنه تولى علي رضي الله عنه الخلافة بعده وهو أحق المسلمين بها لمكانته من النبي صلى الله عليه وسلم ولمناقبه الكثيرة التي تُؤهله للخلافة وهاك طرفًا من مناقبه رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يُرد في الحق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[٢]، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي: آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه، وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة مَنْ كان يبينها من الصحابة ردًا على مَنْ خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذين في نفس الأمر أنَّ لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلًا[٣]، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبًا[٤]، وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه، وإتمامًا للفائدة نُشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

---

(١) «معجم البلدان» (٢ / ٢٦٢)، انظر هذا الخبر في الطبرى (٤ / ٤١٢). وانظر خبر دمه على المصحف في «فضائل الصحابة» عند أحمد (١ / ٤٧٠-٤٧٣) بإسناد صحيح و«تاريخ خليفة» (ص ١٨٨-١٩٠) و«المطالب العالية» (٤ / ٢٨٦) و«موارد الظمآن» (٧/ ١٢٨). وكتاب «صدق النبأ في حقيقة عبد الله بن سبأ».

(٢) «فتح الباري» (٧ / ٧١).

(٣) المراد ترتيبهم في الفضل وهو حسب ترتيبهم في الخلافة، «فتح الباري» (٧ / ٧١).

(٤) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٩).

- عن زر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي: « أن لا يُحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»(١).

- عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد علي بدرًا؟ قال: بارز وظاهر(٢).

- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»(٣).

- قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أُسمي العاشر»(٤).

- قالت أم سلمة :سمعت رسول الله يقول: «مَنْ سبَّ عليًا فقد سبني»(٥).

- جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن على فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل! قال فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك(٦).

---

(١) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» (ص:١١١).

(٢) ظاهر: أي: لبس درعًا على درع، «الصحيح المسند» (ص: ١١٢).

(٣) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» (ص: ١١٧).

(٤) «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» (ص: ١١٧).

(٥) «الصحيح المسند» (ص: ١٢١).

(٦) المصدر السابق (ص: ١٤٠)

**هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه ، وأما صفاته رضي الله عنه : فقد كان له صفاته** القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور، ونركز على بعضها بالتفصيل، **فمن أهم هذه الصفات:** سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإدارة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرتْ للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه .

## المؤامرة الآثمة

«وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي، وقيل اسم البرك: الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليًا، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان، وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتى ابن ملجم الكوفة، فلقى أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره، ورأى يومًا أصحابًا له من تيم الرباب، وكان عليُ قد منهم يوم النهر عدة، فتذاكروا قتلى النهر، ولقي معهم أمرأة من تيم الرباب اسمها قطام. وقد أبوها وأخوها يوم النهر،

وكانتُ فائقة الجمال. فلما رآها أخذت قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي. فقال: وما تريدين؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبدًا وقينةً علي. فقال: أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدينني. قالت: بلى، التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: والله ما جاء بى إلا قتل علي، فلك ما سألت. قالت: سأطلب لك مَنْ يشد ظهرك ويساعدك. وبعثتُ إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته، فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلًا من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وماذا؟ قال: قتل علي. قال شبيب: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إدًا! كيف تقدر على قتله؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا فقد شفينا أنفسنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غير علي كان أهون، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام، وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى. قال: فنقتله بمَنْ قتل من أصحابنا. فأجابه.

فلما كان ليلة الجمعة، وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو، أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان، وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة، فلما خرج علي نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة. فضربه شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك! وهرب وردان فدخل منزله، فأتاه رجل من أهله، فأخبره وردان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله، وهرب شبيب في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضر موت يقال له: عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجلس عليه، فلما رأى الحضرمي الناس قد أقلبوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا، وهرب شبيب في غمار الناس.

ولما ضرب ابن ملجم عليًا قال: لا يفوتنكم الرجل. فشدَّ الناس عليه فأخذوه، وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة، وهو ابن أخته أم هانئ، يصلي بالناس الغداة، وقال علي: أحضروا الرجل عندي. فأدخل عليه. فقال: أي عدو الله! ألم أحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا وسألتُ الله أن يقتل به شر خلقه. فقال علي: لا أراك مقتولًا به ولا أراك إلا من شر خلق الله. ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيتُ فيه رأيي، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن إلا قاتلي، انظر يا حسن إن أنا مت مَنْ ضربني هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثلنَّ بالرجل، فإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «**إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**».

هذا كله وابن ملجم مكتوف. فقالت له أم كلثوم ابنة علي: أي عدو الله! لا بأس على أبي، والله مخزيك! قال: فعلى مَنْ تبكين؟ والله إن سيفي اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقى منهم أحد[1]. ودخل جندب بن عبد الله على علي فقال: إن فقدناك، ولا نفقدك، فنبايع الحسن؟ قال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيمًا، وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك فأتبع أمرهما ولا تقطع أمرًا دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه. وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهوره، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم

(١) «الكامل في التاريخ» (ص ١٠٢)

الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش.

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا لا إله إلا الله، حتى مات، رضي الله عنه وأرضاه.

وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكُفِنَ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبَّر عليه الحسن سبع تكبيرات.

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجم فأحضره، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله قد أعطيت الله عهدًا أن لا أعاهد عهدًا إلا وفيت به، وإني عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليًا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه فلك الله على إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: لا والله حتى تُعاين النار. ثم قدمه فقتله، وأخذه الناس فأدرجوه في بواري وأحرقوه بالنار.

قال عمرو بن الأصم: قلتُ للحسن بن علي: إنَّ هذه الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل القيامة! فقال: كذب والله هؤلاء الشيعة، لو علمنا أنه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله، أما قوله: هذه الشيعة، فلا شك أنه يعني طائفة منها، فإن كل شيعة لا تقول هذا إنما تقوله طائفة يسيرة منهم، ومن مشهوري هذه الطائفة: جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، وقد انقرض بهذه المقاتلة فيما نعلمه.

وأما البرك بن عبد الله فإنه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضرب فيها علي، فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شدَّ عليه بالسيف، فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال: إن عندي خبرًا أسرك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم. قال: إن أخًا لي قد قتل عليًا هذه الليلة.

قال: فلعله لم يقدر على ذلك. قال: بلى، إن عليًا ليس معه أحد يحرسه. فأمر به معاوية فقتل. وبعث معاوية إلى الساعدي، وكان طبيبًا، فلما نظر إليه قال: اختر إما أن

أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة. فقال معاوية: أما النار فلا صبر لى عليها، وأما الولد فإنَّ في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة فبرأ ولم يولد له بعدها. وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد، وهو أول من عملها في الإسلام. وقيل: إن معاوية لم يقتل البرك وإنما أمر فقطعت يده ورجله وبقي إلى أن ولي زياد البصرة، وكان البرك قد صار إليها وولد له، فقال له زياد: يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له؟ فقتله وصلبه.

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن أبي حبيبة، وكان صاحب شرطته، وهو من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي بالناس، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص، فضربه فقتله، فأخذه الناس إلى عمرو فسلموا عليه بالإمرة. فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة. قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك! فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة. فقدمه عمرو فقتله[(١)].

## غلبة الهوى والجهل على كثير من مدعى الإصلاح

تأملْ أخي قول هؤلاء الخوارج الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، يقولون في علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين حينما تآمروا «اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد!».

---

(١) «الكامل في الحديث» (جـ ٢/ ص ١٠٣).

هؤلاء الخوارج لو أنفق أحدهم مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مد واحد من هؤلاء الثلاثة ولا نصيفه، ووالله للحظة واحدة منهم مع رسول الله ﷺ خير من الدنيا وما فيها، ولكن أهل الباطل والهوى انقلبت عندهم الموازين فأضحى الحق باطلًا والباطل حقًا، فالذين يُحاربون السنة ويصفون أهلها بالتشدد والتطرف هم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، والذين يُحاربون الحجاب ويُضيقون الخناق على المسلمات يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، والذين يظلمون رعاياهم ويقترون عليهم في معايشهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولما لا وقدوتهم في ذلك فرعون اللعين حيث قال في موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

فهل هناك أطرف من أنْ يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟.

إنه منطق واحد. يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر. والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة مكررة تعرض بين الحين والحين.

فأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فالتجأ إلى الركن الركين والحصن الحصين، ولاذ بالجناب الذي يحمي اللائذين، ويُجير المستجيرين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قالها. واطمأن. وسلَّم أمره إلى المستعلي على كل متكبر،

القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين. وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد. كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب. فما يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب، وهو يتصور موقفه يومئذٍ حاسرًا خاشعًا خاضعًا ذليلًا، مجردًا من كل قوة، ما له من حميم ولا شفيع يطاع[١].

رغم الخلاف الذي كان بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه إلا أنهم كانوا متحابين في الله سبحانه وتعالى، وإليك الدليل على ذلك أثر مقتل علي على معاوية رضي الله عنهما ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[٢]، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك[٣]، وقد طلب معاوية، رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصدائي أن يصف له عليًا، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه، قال: أما إذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلًا[٤]، ويحكم عدلًا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العَبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أني قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله[٥]، وغارت نجومه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول:

---

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٦/ ص ٢٥٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٣).

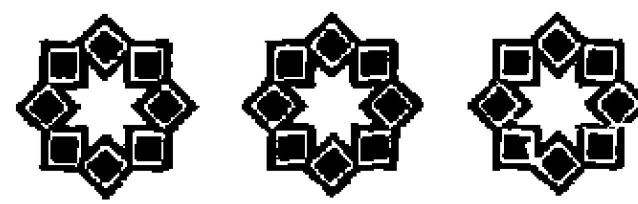
(٣) «الاستيعاب» (٣ / ١١٠٨).

(٤) المصدر نفسه (٣ / ١١٠٧).

(٥) **سدوله:** سدلته.

يادنيا غري غيري، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوفت! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن مَنْ ذبح ولدها وهو في حجرها(١).

عن هبيرة بن يريم، قال: «سمعتُ الحسن بن علي، قام، فخطب الناس، فقال:«يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه المبعث، فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادمًا»(٢).



---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٨).

(٢) رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه» (جـ٢٨/ ٤١٤) وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٢٤٩٦].

## الفصل الرابع

# الحروب الصليبية

# والمؤامرة على الإسلام والمسلمين

أخي المسلم بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على المؤامرة على الإسلام عبر العصور نطوي التاريخ طيًا لنُشاهد تلك المؤامرة التي قام بها النصارى في حروبهم التي لا تحمل إلا العنف وإراقة الدماء والاستيلاء على الثروات وفرض العقيدة النصرانية على الشعوب.

«شهد نهاية القرن الحادي عشر ما أطلق عليه بالحملات الصليبية، وهي غزوات استعمارية شنتها أوربا في الشرق، حيث قامتْ هناك بتأسيس كيانات ودول إقطاعية مؤقتة هناك حسب النموذج الأوربي، ولكن ما لبث الأقطار العربية في المشرق أنْ واجهتها وخاضتْ ضدها نضالًا متحدًا وقاومتها.

من أجل« تحرير القبور المقدسة» في القدس، كما جاء ذلك في نداء البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٦ في بلدة مونت كلير الفرنسية، تحركت مجموعات ضخمة من جيوش للإقطاع الأوربية ومن الفرسان، ومن جماع من المتدينين« كنائسيين» وكذلك من الشخصيات المعتبرة، ومن الفلاحين العبيد« المملوكين» والمغامرين ومقطوعي الجذور. وإذا لم يكن ممكنًا هنا أن نورد الأسباب المختلفة لحركة الغزوات الصليبية في أوربا،«وبنفس المعنى كانت تدور الحملات ضد العرب في أسبانيا« الأستعادة» «Reconquista»، في توسع للإقلاع نحو الشرق، ولكن ليس من العسير أن نثبت بأن المصالح السياسية والاقتصادية لمختلف الطبقات والفئات والمؤسسات كانت كامنة ومستترة خلف الشعارات الدينية.

وقد بنى غالبية الإقطاعيين الصغار والمتوسطين وكذلك الفرسان، آمالهم وعولوا على كسب أراضي واسعة وعلى غنائم وفيرة. أما الفلاحون المملوكون كانوا يأملون

بأنهم ربما سينجحون في سحق الإقطاعيين، كما كانت الكنيسة البابوية تسعى إلى توسيع سلطاتها وتثبيت موقعها القيادي لمسيحي الشرق الذين ينتمون إلى مختلف الطوائف والمذاهب المسيحية. فيما كان التجار الأوربيون يسعون في المدن الإيطالية مثل: جنوه، بيزا، البندقية، من خلال الدعم لحركة الغزوات الصليبية، وتقوية مواقعهم بكل السبل في منطقة شرق البحر المتوسط في وجه المنافسة البيزنطية والمصرية الحاسمة.

وكانت المقدمات الأساسية لنجاح الحملات الصليبية تمثلتْ في سقوط مركزية الدولة الواحدة، السلجوقية في الشرق العربي، بالإضافة إلى الشلل السريع المتنامي للدولة الفاطمية في مصر على الصعيد السياسي والعسكري، وبما يُقارب ذلك في المدن السورية وفي بلاد ما بين النهرين، حيث كان السلاجقة الأتابكيون والأمراء وزعماء القبائل في الصراع شديد فيما بينهم. وأخيرًا في المساعدة الطبيعية لهم من جيوش الدولة البيزنطية التي كانت تنتظر هذه المناسبة منذ أجيال.

أما الخليفة العباسي في بغداد فكان منهمكًا في النضال من أجل استعادة ورفع مكانة وهيبة مؤسسة الخلافة ضد السلاجقة في العراق، فلم يكن يمتلك النية ولا الوسائل لإعلان الجهاد«الحرب المقدسة» للمسلمين ضد غير المؤمنين«الكفار». كما استغل الحكام الفاطميون في مصر من جانبهم الانتصارات الصليبية الأولى في المعارك ضد السلاجقة في آسيا الصغرى وشمال سورية، في الأراضي الفلسطينية، فأفصحوا عن نواياهم ورؤيتهم باقتراحاتهم تقسيم سورية وفلسطين فيما بينهم وتشكيل جبهة موحدة ضد السلاجقة.

وكانت الأقسام المختلفة للحملة الصليبية قد اتحدت عام ١٠٩٧م في القسطنطينية، وبدأت الزحف عبر آسيا الصغرى، حيث استولت على المقر الرئيسي للسلاجقة في نيسا «Nicaa» ثم أتخذت طريقها عبر كليكيا الأرمينية باتجاه سورية على الرغم من أنَّ الظروف المناخية كانت قاسية بصفة خاصة على الفرسان المثقلين بالدروع مما زاد في حجم

الصعوبات سواء للعربات «كان الكثير من الفرسان قد اصطحبوا عائلاتهم وخدمهم معهم» أو من الهجمات الخفيفة المستمرة، وقد تمكنت القطعات السلجوقية المتحركة بفاعلية من إعاقة تقدم الجيوش الصليبية التي بدأتْ تتقدم ببطء في جبهة دفاع مغلقة. وبعد ذلك تمكنتْ القوات الصليبية من احتلال مدينة أديسا «Edessa» الإستراتيجية المهمة، حيث أسس هناك بالدوين فون بولون «Balduin Von Boullon» دوقية فيها. وثم سقطتْ مدينة أنطاكية بسبب خيانة ضابط أرمني بعد حصار دام ثمانية أشهر.

وهكذا جرى احتلال هذه المدينة التي شهدت مذابح للمسلمين، كما قام المسيحيون بنهب وسلب السكان المحليين. وبصرف النظر عن التنازل الشكلي الذي قدمه قيصر بيزنطة أسس نورمان بوموند فون تارنت «Norman Bohemund Von Tarent» في أنطاكية أيضًا إمارة.

وبهاتين الإمارتين مكث الكثير من قادة الحرب الصليبية في المناطق المحتلة دون أن يظهروا أي اهتمام باحتلال القدس(١).

ثم إن الجيوش الجرارة التي لا تحمل في صدرها إلا البغض للإسلام وأهله واصلتْ الزحف نحو البلاد الإسلامية..« تعرض الوطن العربي في العصور الوسطى لأحد أهم إفرازات المجتمع الأوربي آنذاك، وهي الحركة الصليبية، حيث أقام البابا أربان الثاني بالدعوة للحركة الصليبية أثناء انعقاد مجمع كلير مونت بفرنسا عام ١٠٩٩م. وبعد أن انتهى البابا من إلقاء خطبته على جموع المسيحيين هناك، والتي انطوت على الكثير من المحاور التي ألهبت مشاعرهم، من ذلك الوعد بغفران خطايا كل مَنْ يذهب لتحرير

---

(١) كتاب «تاريخ العرب منذ البدايات وحتى العصر الراهن» فريق من المستشرقين برئاسة بروفسور دكتور لوثر راتمان، نقلًا عن «موقع التاريخ».

https:// secure. 2 5 nocdirect. com/ altareek/ doc

القبر المقدس في بيت القدس، علاوة على إغرائهم بما تتميز به فلسطين من خيرات، وقام بتذكيرهم بكلام الكتاب المقدس الذي وصفها بأنها «بلاد اللبن والعسل».

وبعد أن انتهى البابا من خطبته الملتهبة، كانت مشاعر مستمعيه قد وصلت إلى ذروتها، وصاحوا جميعًا «Deus Volt» أي «أنها إرادة الرب». وقام كل منهم بتمزيق جزء من ملابسه من أجل صناعة صليب من القماش ثم وضعه على الصدر، لكي يعبر عن حامله باعتباره من «جند الرب» الذين سيتوجهون إلى الشرق من أجل انتزاع القبر المقدس من أيدي المسلمين.

ويمكن للباحثين المتخصصين في تاريخ أوربا في العصور الوسطى إدراك الدوافع الحقيقية للبابوية وراء الدعوة للحركة الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. فقد اعتقدت البابوية وكان معها الكثير من الحق أن الدعوة للحركة الصليبية هي منزلة المفتاح السحري الذي يمكنه فك رموز العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نشبت في أوربا في العصور الوسطى.

ففى إطار النزاع الديني العلماني بين الكنيسة «بيت الرب» والملوك والأمراء العلمانيين، وجدت البابوية في الدعوة الصليبية خطوة لكسب خطوات جديدة في مواجهة العلمانيين، الذين لم يكن بوسع معارضة الدعوة، أو حتى التقاعس عنها في مواجهة عقوبة الحرمان الكنسي التي أنذر بها البابا الرافضين والمتقاعسين عن نصرة «جيش الرب».

وكان النظام الإقطاعي هو المهيمن على مقدرات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أوربا في العصور الوسطى، على الرغم من أختلاف آلياته من منطقة لأخرى، وبشكل عام اعتمد النظام الإقطاعي على رابطتي السيادة والتبعية، وظهر الكثير من العيوب بداخله، أبرزها وراثه الابن الأكبر فقط لإقطاع أبيه، مما أوجد حالة من الفراغ لدى الفرسان الآخرين الذين حاولوا إيجاد إقطاعات جديدة لهم عن طريق القيام بعمليات السلب والنهب لإقطاعات الآخرين، مما أدى في النهاية إلى غرق الغرب الأوربي في

فوضى النزاعات، وإلى نشوب القتال بشكل شبه يومي بين الفرسان، وجدت آنذاك ما اصطلح على تسميته بحالة «الجوع إلى الأرض».

وفكر البابا أربان في إيجاد سريع لإيقاف نزيف الدماء المسيحية، وقامت الكنيسة بإيجاد عدة صيغ لوقف القتال مثل «سلام الرب» و«هدنة الرب»، تحظر على الفرسان ممارسة عمليات القتل في أشهر معينة من السنة، ثم في أيام معينة من الأسبوع.

وعلى الرغم من هذا فقد فشلتْ قرارات الكنيسة في الحد من عمليات القتل المتبادلة بين الفرسان المسيحيين من أجل الحصول على أراضي جديدة، مما دعا البابا إلى محاولة حل المشكلة عن طريق تصديرها نحو العالم الإسلامي، ليُحقق للبابوية أكثر من مكسب، ولتظل هي الأعلى كعبًا في إطار الصراع الديني العلماني في أوربا، والذي نشب منذ اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية.

ويُمكن تخيل المجتمع الأوربي آنذاك على هيئة مثلث، يمثل الذين يصلون «رجال الكنيسة» والذين يملكون «السادة الإقطاعيون» ضعليه، بينما يمثل الذين يعملون «الفلاحون والأقنان» قاعته.

ولعل هذا ما يُفسر لنا أن ردة الفعل المباشرة إزاء دعوة البابا أربان في التوجه نحو فلسطين «أرض اللبن والعسل» جاءت من الفلاحين والأقنان، الذين استغلوا خطبة البابا للتخلص من نير عبوديتهم، والتوجه نحو إقامة حياة جديدة في الشرق العربي.

وبالفعل خرج الفلاحون مباشر نحو الشرق بعد خطبة البابا أربان مباشرة. وعرفتْ حملتهم بحملة الفلاحين أو الحملة الصليبية الشعبية، ووصلتْ إلى القسطنطينية حيث العداء المذهبي بين بيزنطة والغرب الأوربي، ثم قام الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس بنقلهم إلى آسيا الصغرى، لتتلقفهم سيوف الأتراك السلاجقة محترفي القتال، وتقوم بحصدهم جميعًا إلا ما ندر.

وفي الوقت الذي وصلت فيه حملة الفلاحين إلى نهايتها المروعة كان أمراء الغرب الأوربي وعلى رأسهم جودفري البوايواني دوق اللورين، وريموند كونت تولوز، وروبرت كونت نورماندي، بالإضافة إلى بوهيموند النورماني قد استعدوا للقيام بحملتهم العسكرية التي عرفت بالحملة الصليبية الأولى، وقام الإمبراطور البيزنطي بمساعدتهم ونقلهم إلى آسيا الصغرى، حيث تمكنوا من هزيمة الأتراك السلاجقة عام ١٠٩٧م، ثم واصلوا تقدمهم نحو الشام فاستولوا على أنطاكية عام ١٠٩٨م. وأخذوا في زحفهم حتى وصلوا إلى أسوار مدينة القدس في يونيو ١٠٩٩م.

وقبل وصول الصليبيين مباشرة قام المسلمون بطمر آبار المياه حول القدس وتغيير مجرى الينابيع، بحيث لم يجد الصليبيون سوى بعض المياه من بئر عند سفح جبل صهيون، وكانت تُنفذ بسرعة لشدة تزاحم عليها، لدرجة أنهم كانوا يدفعون بعضهم بعضًا داخلها، مما أدى إلى معاناة الصليبيين إلى محاولة إيجاد مصدر آخر للمياه عبر الممرات الخطيرة في التلال المجاورة للقدس، وهو ما استغله المسلمون فنصبوا لهم العديد من الكمائن، وقتلوا منهم الكثير.

كما عمل المسلمون أيضًا على نقل الأمراض إلى المعسكر الصليبي عن طريق إفساد وتسميم مياه العيون القريبة. كما قام البدو المسلمون خارج القدس بجمع كل ما يملكونه من حصاد وماشية، وتخبئته في الكهوف والمغارات حتى لا يقع في أيدي الصليبيين.

وأدى هذا الأسلوب من المقاومة إلى انتشار الجيش الصليبي كله في مناطق الريف المجاور لمدينة القدس، من أجل جمع المؤن وضمان إمدادات المياه، وهو الأمر الذي أدى إلى انشغالهم، بحيث تأخروا في صناعة آلات الحصار الخشبية، وضاع من وقتهم الكثير قبل التأهب لأقتحام مدينة القدس.

وظل الصليبيون شهرًا تحت أسوار بيت المقدس، في الاستعداد لاقتحامها، واستغلوا حصارهم لها في بناء آلات الحصار، وبعد ذلك بدأتْ المحاولات الصليبية الجدية لاقتحام

أسوار المدينة، فحاصر الدوق جودفرى وكونت الفلاندر وكونت نورماندي القدس من الجانب الشمالي، بينما عسكر الكونت ريموند غربي المدينة، وفرضوا حصارهم عليها من معسكر الدوق وحتى جبل صهيون.

بعد أن قام الصليبيون بتشييد العديد من آلات الحصار الخشبية، وبدأوا بتشديد هجومهم على القدس، أجبر المسلمون على التقهقر نحو الأسوار الداخلية، لكن المسلمين تداركوا أمرهم، ونجحوا في رد الصليبيين على أعقابهم، ونجحوا في تكبيدهم العديد من القتلى.

## هجوم متواصل

وقام المسلمون بهجوم مضاد من أجل إحراق آلات الحصار الخشبية، التي نجحتْ في هدم أجزاء كبيرة من سور مدينة القدس، فأخذوا في رميها بالسهام والأحجار، كما عمدوا إلى قذفها بجرار هشة مليئة بالنار والكبريت والقطران والزيت، وكذلك الدهون والشمع والخشب اليابس، وكل ما يصلح أن يكون وقودًا يُذكي النار اشتعالًا. مما أسفر عن حدوث خسائر فادحة للصليبيين.

وبدأ اليأس يتسلل إلى نفوس الصليبيين بعدما رأوا التدمير التام الذي طال بعض آلات الحصار، والدخان المنبعث من آلات الحصار، والدخان المنبعث من الآلات الأخرى، ولم يجد الصليبيون بدًا من سحب تلك الآلات إلى الخلف من أجل إصلاحها، ثم معاودة الهجوم في اليوم التالي، أما المسلمون فقد ارتفعت معنوياتهم، وبدأوا يشعرون باقتراب النصر.

وإزاء ازدياد موقف الصليبيين حرجًا، أمر جودفري البوايواني رجاله بالعودة مرة أخرى إلى ساحة القتال، وبدأوا في الهجوم من جديد على أسوار القدس الشمالية. وفى الوقت نفسه كان كونت تولوز ورجاله يُهاجمون أسوار القدس من ناحية الجنوب بنفس الضراوة، وظلوا يعملون لمدة ثلاثة أيام في ردم الخندق المجاور لسور المدينة، ثم نجحوا

في تثبيت إحدى آلات الحصار بالسور، وجعلوها في وضع يجل كلا من المدافع المسلم الموجودة داخل الأبراج، والصليبي الموجودة في آلة الحصار قادرًا على أن يطول الواحد منهما الآخر برمحه فيصيبه، وعمت الحماسة أرجاء المعسكر الصليبي.

ونتيجة للهجوم الصليبي الكبير، نجح فرسان الدوق جودفري في تحطيم التحصينات الخارجية الشمالية للقدس، وعلى حين أُصيب المسلمون بخسائر فادحة، ونالهم الإرهاق الكبير، اقترب الجنود الصليبيون من الأسوار، واقتصر المسلمون على مهاجمتهم من المنافذ الصغيرة بالأسوار.

وأمر جودفري جنوده في أعلى آلات الحصار بإضرام النيران في ركائب القش والحشايا القطنية، ثم هبتْ رياح الشمال فزادت اللهب ضرامًا، وأنعقدت سحابة من الدخان الكثيف ساقتها الريح نحو المدينة، حتى أن الذين كانوا يحاولون الدفاع عن السور عجزوا عن فتح أفواههم أو عيونهم، فأصابهم الأضطراب، وأختلط عليهم الأمر جراء سحب الدخان الأسود.

وعندما رأى جنود الحملة الصليبية الأولى استيلاء الدوق جودفرى على أبراج مدينة القدس، بادروا إلى نصب ما لديهم من سلالم على الأسوار، واندفع الكثيرون نحو ارتقاء الأسوار واللحاق بجودفري، الذي أمر بسرعة النزول داخل المدينة والاتجاه نحو الباب الشمالي الذي كان يعرف باسم باب القديس ستيفن، لفتحه أمام الجنود الصليبيين.

ولم يدرك كونت تولوز ورفاقه حتى ذلك الوقت أن جودفري قد نجح في اقتحام مدينة القدس، غير أن هتافات الصليبيين العالية وهم يدخلون المدينة، أشعرت المسلمين أن الصليبيين نجحوا في اقتحامها عنوة، فتخلوا عن الأبراج والحصون، واعتصموا بقلعة القدس، لأنها كانت أقرب المواقع إليهم.

## السقوط الفاجع

ودخل الصليبيون مدينة القدس دون مقاومة من جانب المسلمين الذين أخذتهم المفاجأة، وما كاد الصليبيون يرون أنفسهم داخل المدينة حتى قاموا بفتح الباب الجنوبي للقدس على مصراعيه، وأدخلوا باقي جنود الحملة الصليبية الأولى، وعلى رأسهم ريموند كونت تولوز، والعديد من النبلاء والأساقفة، ثم سارت هذه الجموع وهي مسلحة تمام التسليح وانتشرت في كل ناحية من نواحى القدس، وليس لها من هدف سوى بث الدمار والرعب في أوساط المسلمين الذين اضطروا إلى الهرب إلى أطراف المدينة. وشهدتْ أرجاء القدس مذبحة فظيعة وشنيعة، وكان الدم المسفوك مخيفًا، حتى أن المنتصرين أنفسهم ساورهم الإحساس بالخوف وشعروا بالتقزز.

وحاول المسلمون أنفسهم في المنطقة القريبة من جبل صهيون إبداء المقاومة، وقاتلوا قوات ريموند بشراسة، كما لو كانت الهزيمة لم تُدركهم بعد، ولكن بلا جدوى، وسفك الدوق جودفرى والكونت ريموندوتانكرد النورماني كمية لا تصدق من دماء المسلمين، وأنزل رفاقهم آلاما شديدة بهم، وعلى حد قول المؤرخ ريموند الأجويلري الذي كان مصاحبًا للحملة الصليبية الأولى أنه «بعد سقوط بيت المقدس تم قطع رءوس بعض المسلمين، بينما اخترقتْ السهام رؤوس الآخرين، وعذِّب آخرون لوقت طويل، ثم أحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج، وتكدستْ الرؤوس والأيادي والأقدام، في الطرقات والبيوت، وكان الفرسان الصليبيون يجرون جيئة وذهابًا فوق الجثث».

وارتكب الصليبيون لدى اقتحامهم مدينة القدس يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو ١٠٩٩م مذبحة من أبشع المذابح التي ارتكبت في تاريخ الإنسانية، عبروا من خلالها عن حقدهم الدفين تجاه المسلمين، وكذلك عبروا أيضًا من خلالها عن استمرارية تعطش البرابرة الجرمان «أجدادهم» للدماء، وعن السلوك البربري الذي سيطر على جنود الحملة الصليبية لدى خروجهم من الغرب الأوربي وحتى اقتحامهم لمدينة القدس.

ويذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري: أنَّ المسلمين قد لجئوا إلى الاحتماء بمسجد عمر بن الخطاب من هول الكارثة، لكن الصليبين انطلقوا وراءهم، وأعملوا القتل فيهم، ولم تأخذهم رحمة بأحد حتى النساء والأطفال والشيوخ، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا.

كما يذكر أيضًا المؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري المعاصر لاقتحام القدس تفاصيل تلك المذبحة المروعة التي جرت في مسجد عمر بن الخطاب، فيذكر ذبح الصليبيين لعشرة آلاف مسلم حول المسجد وبداخله، فيقول: «ولو أنك كنت موجودًا هناك لغاصت قدماك حتى النساء والأطفال»، وهو ما يؤكد عليه أيضًا المؤرخ ريموند الإجويلري الذي كان شاهد عيان أيضًا فيكتب.. «خاض الصليبيون في رواق مسجد عمر بخيولهم، حتى وصلت دماء المسلمين إلى ركبهم، وإلى سروج خيولهم..».

وأجمع مؤرخو الحملة الصليبية الأولى: فوشيه الشارتري والمؤرخ المجهول، وريموند الإجويلري، وبطرس توديبود على بشاعة المذبحة التي قام بها الصليبيون تجاه مسلمي القدس في مسجد عمر بن الخطاب.

***الصليبيون يقومون بالذبح:***

ولم يكتف الصليبيون بذلك، بل انطلقوا للبحث عن المسلمين المختبئين من أجل الإجهاز عليهم فالتجأ بعض المسلمين إلى أعلى مسجد عمر، وفضلوا إلقاء أنفسهم من عليه بدلًا من الاستسلام لسيوف الصليبيين. وصدرت الأوامر بعد ذلك بطرح جثث المسلمين خارج القدس، وأمر الصليبيون بعض المسلمين الذين قيضت لهم الحياة بسحب الجثث خارج المدينة وطرحها أمام الأبواب، ثم إشعال النيران بها. وبلغ من كثرة عدد جثث المسلمين أن المؤرخ وليم الصورى ذكر أن أكوام الجثث قد حاذتْ البيوت ارتفاعًا، وما تأتى لأحد أن سمع أو رأى مذبحة كهذه.

ويذكر المؤرخ فوشيه الشارتري مدى جشع الصليبيين ولا إنسانيتهم، فيكتب: «قام الفرسان والمشاة الصليبيون بشق بطون القتلى المسلمين، لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم أحياء..».

وبعد أن انتهى الصليبيون من تلك المذبحة المروعة، اقتحموا بيوت المسلمين بالقدس، واستولوا عليها وعلى كل ما بداخلها، ومضى مغتصب كل منزل يُدعى أنَّ المنزل الذي اقتحمه إنما هو ملك خاص له بكل ما أحتواه، لا يُنازعه فيه أحد. ويرجع هذا السابق اتفاق الصليبيين قبيل غزو مدينة القدس على أن مَنْ يُسرع بامتلاك أحد المنازل أولًا، يجب ألا ينازعه فيه أحد، لذلك سارعت جموع الصليبيين بإستيلاء على منازل المسلمين بالقدس، وكان كلُّ صليبي يقوم بتعليق سلاحه على المنزل الذي اغتصبه حتى لا يتوقف بالمكان أحد، بل عليه أن يتجاوزه فقد صار ملكًا لغيره، وهكذا اتفق الصليبيون على هذا النمط من حقوق الملكية بالقدس.

ومنذ الساعات الأولى لسقوط القدس، قرر الصليبيون تشديد الحراسة على الأبراج والأبواب خوفًا من قيام المسلمين خارج المدينة بهجوم مباغت، واتفقوا على أن تظل هذه الحراسة لحين انتخاب حاكم صليبي لمدينة القدس.

وعندما شعر الصليبيون باستتباب الأمور لهم بالقدس، وضعوا السلاح جانبًا، وتجمعوا مرتدين نظيف ثيابهم، وساروا حفاة في خشوع ومذلة يطوفون بالأماكن الطاهرة التي مشى عليها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وراحوا يُقبلون تلك البقاع قبلات ممزوجة بالزفرات والدموع، والتقى الجميع بكنيسة القيامة، حيث أخذوا ينشدون الأناشيد الدينية، ويُرتلون الأغاني المقدسة، ويحملون الصلبان وآثار القديسين.

وأخذ الكثير من الصليبيين يبكون وهم يعترفون بآثامهم للسيد المسيح، ويقطعون العهد على أنفسهم بعدم تكرارها. ثم قام الأساقفة والقساوسة بعد ذلك بإقامة الاحتفالات بالقداس في الكنائس، وقاموا بتقديم الشكر للرب على مساعدته لهم في اقتحام القدس.

وظلت مدينة القدس في أيدى الصليبيين منذ يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو عام ١٠٩٩م، الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٢هـ، حتى نجح صلاح الدين الأيوبي في استردادها بعد انتصاره على الصليبيين في موقعة حطين ١١٨٤م، حيث دخلها فاتحًا ومستردًا، ويوم الجمعة أيضًا ٢ أكتوبر عام ١١٨٧م، ٢٧ رجب ٥٨٣هـ، في ليلة الإسراء والمعراج، وضرب صلاح الدين المثل الواضح والكبير في الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، فعلى حين خاض الصليبيون حتى أعقابهم في دماء المسلمين، فإنَّ المجاهد المسلم صلاح الدين أرسل رجاله للمناداة في شوارع القدس بعدم الأعتداء على الصليبيين العزل، وعدم الاعتداء على منازلهم، وكذلك عدم اغتصاب ممتلكاتهم، وحضَّ المسلمين على شراء ممتلكاتهم منهم.

كذلك أمر صلاح الدين الأيوبي، بدفع فدية عمن لا يستطيع افتداء نفسه من الصليبيين، وبلغتْ سماحة صلاح الدين مداها حين تغاضى في النهاية عن حمل الصليبيين معهم لثرواتهم، وللذهب والفضة والأحجار الكريمة والتحف التي امتلأت بها كنائس القدس وبيوت الصليبيين، فأمر بعدم مصادرتها أو التعرض لها، مبديًا روحًا تسامحية أدهشت الصليبيين والمسلمين، ومظهر الفارق الضخم بين سماحة وكرم ونصاعة الإسلام، مقابل بربرية الغرب الأوربي في العصور الوسطى[1].

## دوافع الحروب الصليبية وعوامل نجاحها

كان العالم الإسلامي قُبيل فترة الحروب الصليبية يُعاني من الفرقة والانقسام، ويعيش وضعًا سياسيًا واقتصاديًا وأمنيًا صعبًا، تتوزع مناطقه الولاءات ما بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، والخلافة الأموية في الأندلس، فيما عاشت عدة مدن ومناطق في بلاد الشام تحت حكم عدد من الأمراء الضعفاء، أو الأمراء

(١) https :// secure 22 5 nocdirect. com/ ~ altreek / doc

شديدي الدهاء، ممن لا يعرفون إلا مصالحهم الخاصة، بل لعله من أسوأ ما حدث في هذا الشأن، هو تحالف بعض أمراء الأقطار الإسلامية مع الغزاة الفرنجة وهم في طريقهم نحو احتلال أراضي العرب والمسلمين، فضلًا عن العوامل المذهبية التي كان لها دور بارز في زيادة حدة التوتر والانقسامات، والمساهمة في تمزيق أوصال الدولة العربية الإسلامية.

هذا ما كان عليه باختصار الواقع في عالمنا الإسلامي الذي شجع على استهدافه من قبل القوى الطامعة، ولكن يبقى السؤال: لماذا قام الغرب بغزو الشرق العربي والإسلامي؟ وما هي الدوافع والأسباب التي دفعته إلى القيام بهذه الخطوة؟ لا شك أن هذه العوامل لا يمكن حصرها بالعامل الديني، كما حاول البعض، إلا أن واقع الأمر يُشير إلى أن هذه الحروب -كما سيتبيَّن- كانت نتيجةً لتفاعل عوامل متعددة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

## العامل الديني

لقد كان من كبر العوامل التي دفعت تلك الجيوش الجرارة إلى الهجوم على العالم الإسلامي هو العامل الديني.

ولقد كانت التحوّلات الدينية في أوروبا من الأسباب الرئيسية لقيام الحروب الصليبية، ذلك كنسية روما بعد اعتناق الفرنجة للنصرانية، غدت ندًا للكرسي البطريركي في القسطنطينية، واختصتْ كنيسة روما دون غيرها بلقب البابا، ولعبتْ البابوية دورًا مهما في إقامة دولة الفرنجة الكارولنجية كمناقشة لإمبراطورية بيزنطة، ومن ثم أخذت البابوية تطمح إلى توحيد كنيستي الشرق والغرب تحت نفوذها، ولاحتْ الفرصة حيث استنجد ميخائيل السابع بارابنيسز «Michael vll parapinaces» ملك بيزنطة ١٠٧١-١٠٧٨م، بالبابا جريجوري السابع Gregory vll 1058 - ١٠٧٣م، يدعوه لإرسال حملة لإنقاذ آسيا الصغرى من الترك، فأسرع جريجوري السابع لتأليب ملوك الكاثوليك

وأمرائهم، غير أن عجلة الصراع بين المسلمين والفرنجة قد توقفت بسبب النزاع بين الكنيسة وملوك أوروبا، حتى إذا ما عدت للبابوية قوتها بعد موت هنري الرابع «Henri»، تطلعت البابوية إلى تأسيس حكومة في الشرق تجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، ولذلك حرضت البابوية على الحروب الصليبية، حيث أتخذ البابا أربانوس الثاني «Urbanus ll» ١٠٨٨-١٠٩٩م، المعروف بتعصبه ضد المسلمين عندما كان راهبًا لدير كلوني، والذي غذّى حرب المسلمين في الأندلس، وادعى أن الحجاج المسيحيين يلاقون الاضطهاد والأذى أثناء زيارتهم إلى بيت المقدس، فاتخذ من ذلك ذريعة لحرب المسلمين، وكان هذا البابا يرى بأن وظيفة البابوية الأساسية هي القيادة العليا للحرب المقدسة، ثم إنَّ الحروب الصليبية هي بمثابة سياسة البابوية الخارجية، فهي التي تديرها وتتحرك وفقها، والبابوات هم الذين نظموا الحرب ووجّهوها.

## موقعة منازكرد

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: موقعة منازكرد وفيها الوقعة العظيمة بين الإسلام والروم.

قال عز الدين في «كامله»: فيها خرج أرمانوس طاغية الروم في مائتي ألف من الفرنج والروم والبجاك والكرج، وهم في تجمل عظيم، فقصدوا بلاد الإسلام، ووصل منازكرد بليدة من أعمال خلاط. وكان السلطان ألب أرسلان بخوي من أعمال أذربيجان قد عاد من حلب، فبلغه كثرة جموعهم وليس معه من عساكره إلا خمس عشرة ألف فارس، فقصدهم وقال: أنا ألتقيهم صابرًا محتسبًا، فإن سلمت فبنعمة الله تعالى، وإن كانت الشهادة فابني ملكشاه ولي عهدي.

فوقعت مقدمته على مقدمة أرمانوس فانهزموا وأسر المسلمون مقدمهم، فأحضر إلى السلطان فجدع أنفه، فلما تقارب الجمعان أرسل السلطان يطلب المهادنة، فقال

أرمانوس: لا هدنة إلا بالري. فانزعج السلطان فقال له إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان. وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح. فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين.

فلما كان تلك الساعة صلى بهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، ودعا فأمنوا، فقال لهم: مَنْ أراد الانصراف فلينصرف، فما ههنا سلطان يأمر ولا ينهى. وألقى القوس والنشاب، وأخذ السيف، وعقد ذنب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض وتحنط وقال: إن قتلت فهذا كفني.

وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه بالتراب، وبكى، وأكثر الدعاء، ثم ركب وحمل الجيش معه، فحصل المسلمون في وسطهم، فقتلوا في الروم كيف شاؤوا، وأنزل الله نصره، وانهزمتْ الروم، وقتل منهم ما لا يحصى، حتى امتلأت الأرض بالقتلى، وأسر ملك الروم، أسره غلام لكوهرائين فأراد قتله ولم يعرفه، فقال له خدم مع الملك: لا تقتله فإنه الملك.

وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك، فرده استحقارًا له، فأثنى عليه أستاذه، فقال نظام الملك: عسى يأتينا بملك الروم أسيرًا. فكان كذلك.

ولما أحضر إلى بين يدي السلطان ألب أرسلان ضربه ثلاث مقارع بيده وقال: ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت؟ فقال: دعني من التوبيخ وافعل ما تريد.

قال: ما كان عزمك أن تفعل بى لو أسرتني؟ قال: أفعل القبيح.

قال: فما تظن أنني أفعل بك؟ قال: بك؟ قال: إما أن تقتلني، وإما أن تشهرني في بلادك، والأخرى بعيدة، وهي العفو، وقبول الأموال، واصطناعي.

قال له: ما عزمت على غير هذه.

ففدى نفسه بألف دينار وخمسمائة ألف دينار، وأن ينفذ إليه عسكره كلما طلبه، وأن يطلق كل أسير في مملكته. وأنزله في خيمة، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وخلع عليه وأطلق له جماعة من البطارقة، فقال أرمانوس: أين جهة الخليفة؟ فأشاروا له، فكشف رأسه وأومأ إلى الجهة بالخدمة، وهادنه السلطان خمسين سنة، وشيعه مسيرة فرسخ. وأما الروم لعنهم الله فلما بلغهم أنه أسر ملكوا عليهم ميخائيل، فلما وصل أرمانوس إلى طرف بلاده بلغه الخبر، فلبس الصوف وأظهر الذهد، وجمع ما عنده من المال، فكان مائتي ألف دينار وجوهر بتسعين ألف دينار، فبعث به، وحلف أنه لا يبقى يقدر على غير ذلك. ثم إن أرمانوس استولى على بلاد الأرمن.

وكانت هذه الملحمة من أعظم فتح في الإسلام، ولله الحمد[1].

كشفت موقعة منازكرد ١٠٧١م، التي انتصر فيها السلطان السلجوقي، ألّب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينس، ضعف الممانعة البيزنطية في وجه السلاجقة، وأشعرت الغرب أن أبوابه أصبحت مفتوحة أمام المسلمين.

وتُشير المصادر التاريخية إلى أن سلطان السلاجقة عامل الأسرى، ومن بينهم الإمبراطور وقادته معاملة مرضية، فبعد مفاوضات طويلة دارتْ بينه وبين رومانوس، ثم الصلح بينهما على أن يُزوِّج الإمبراطور بناته الثلاث من أولاد السلطان، ويفتدي نفسه وجميع الأسرى بمليون دينار، ويدفع جزية سنوية قدرها ٣٦٠ ألف قطعة ذهبية، ومهادنته لمدة خمسين عامًا . ساهمتْ هذه الهزيمة في إشعال الفرنجة بالمخاطر التي تحيق بهم، ما جعلهم يتهيأون الفرصة للأخذ بالثأر.

---

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي (جـ٧/ ص٢٢٣)

## عوامل سياسية واجتماعية

كان الإقطاع يُشكل الدعامة الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا، حيث كان لكل إقطاعية محاربوها، وكانتْ هذه الإقطاعيات تخوض حروبًا مدمرة فيما بينها، ما استنزف طاقاتها، وخلف وراءه مشاكل اجتماعية وسياسية قاسية، لذلك عمل الباباوات على توجيه الفرسان لقتال المسلمين بدلًا من الانصراف إلى الحروب الداخلية والمنازعات فيما بينهم، أي: تحويل تفاقم الخطر الداخلي وتنامي الأطماع والمكاسب إلى اتجاه خارجي.

وقد التقتْ هذه السياسة بمطامع بعض الأمراء والنبلاء الذين لم تسمح لهم الظروف بتأسيس إمارات لهم في أوروبا، حيثُ كان النظام الإقطاعي الأوروبي يسمح للولد الأكبر بأن يرث كل أملاك أبيه دون أخوته الباقين، فرغب هؤلاء بإنشاء إمارات لهم في المشرق العربى الإسلامي، وما عزز هذا الاتجاه الانتصارات التي حققها الفرنجة على العرب والمسلمين في الأندلس آنذاك، حيثُ احتلوا كثيرًا من أرضيهم، وسيطروا على بعض المواقع العربية في جزر البحر الأبيض المتوسط. كما يشير بعض المؤرخين إلى أن بعض هؤلاء الأمراء والفرسان وجد في الحروب الصليبية إشباعًا لنزعة وروح المغامرة التي سيطرتْ على الحياة الخاصة والعامة، لاسيما وأن حركة الترجمة بدأت تنشط في العالم، واطلع الغربيون على ما يسود الشرق الإسلامي من رخاء وثروات وكنوز شكلت مطمعًا لهم للحصول عليها، في الوقت الذي كانت فيه أعداد كبيرة من فقراء أوروبا، وبعض الرهبان، أو المجرمين أو الملاحقين قضائيًا، تجد في زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين تكفيرًا عن ذنوبها وخطاياها، أو مأوى لها هربًا من الكنسية، أو الأسياد الإقطاعيين.

## العامل الاقتصادي

رغبة التجار الأوربيين، ولاسيما تجار المدن الإيطالية« البندقية، جنوه، بيزا»، في السيطرة على منتجات المنطقة العربية، وتأسيس متاجر ومستودعات تجارية فيها. وفي الوقت الذي كانت التجارة مزدهرة، كان عدد قليل من التجار الأثرياء يتقاسمون النفوذ والسلطة مع عدد من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين، في حين كان سواد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى يعيش حياة ملؤها البؤس والشقاء في ظل إقطاعي مستبدّ.

يُضاف إلى هذه العوامل، حدوث حلات القحط والجفاف التي ضربت بعض المواقع في أوروبا، ما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات، ودفع بالبسطاء والفقراء للاشتراك في تلك الحروب لقاء مأكلهم ومشربهم وملبسهم.

## العامل اليهودي

ومن جانبه، يربط د. محمود عطا الله بين يهود أوروبا وتجهيز الحملات الصليبية بقوله:«كانت مصالح أصحاب رؤوس الأموال من يهود أوروبا تتوافق مع مصالح الأمراء الإقطاعيين الأوروبيين الذين كانوا يطمعون في السيطرة على العالم عنوة، لذا دعم هؤلاء اليهود فكرة توجيه حملة صليبية إلى الشرق بكل قواهم وإمكاناتهم المتاحة، فقاموا بالدعاية لها عن طريق إقناع المترددين بالاشتراك فيها، وفتحوا خزائنهم على مصاريعها لتجنيد المحاربين، ورشوة المتخاذلين، وذلك لأنَّهم رأوا فيها الفرصة الذهبية المواتية التي تُتيح لهم تقديم القروض الربوية إلى زعماء الحملات، وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطات الكنيسة ذاتها، بقصد إغراقهم في الديون والمتاجرة بالعتاد، يُضاف إلى ذلك تحقيق أهدافهم الاستراتيجية المتمثلة في إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معًا، لاسيما وأنَّ «العهدة العمرية» التي أُعطيت لنصارى القدس، بناءً على طلبهم، «منعتْ أي تواجد لليهود في القدس».

## دحض المزاعم حول الاضطهاد الديني

وهكذا يتبيَّن أن العوامل التي أفضتْ إلى قيام الحروب الصليبية متنوعة، ولا يمكن حصرها بالعامل الديني فحسب، ما يؤدي إلى دحض تلك الافتراءات المزعومة حول الاضطهاد الديني الذي تعرَّض له «النصارى» أثناء زياراتهم للأماكن المقدسة المسيحية في بيت المقدس وفلسطين بعامة، وقد جاء في كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» لصاحبه المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي، وصفًا لحال«أهل الذمة» في القدس بأنها: «كثيرة النصارى»، وفي مكان آخر يقول:«قد غلب عليها النصارى واليهود»، ما يُدلل على أنهم كانوا معززين مكرَّمين.. أما الرحَّالة الفارسي «ناصر خسرو ٤٥٣/هـ ١٠٦١م» وكان قد زار فلسطين والقدس قبل الغزو والاحتلال الصليبي لها بأربعين عامًا، فإنه قال: «إن الحجاج النصارى كان بوسعهم أن يدخلوا إلى الأماكن المقدسة بكامل حريتهم».

ولم يغفل الكتَّاب المحدثون أيضًا الإشارة إلى الامتيازات التي تمتع بها النصارى في فلسطين، فقد بين الأستاذ «رئيف ميخائيل الساعاتي» في مقال نشره في مجلة «الراعي الصالح»: «أنَّ النصارى كانوا أخوانًا للمسلمين في اللغة والوطنية، وأن خلفاء المسلمين كانوا يُسندون إلى أصحاب الكفايات والمؤهلات منهم الوظائف العالية». وبيَّن أيضًا: «أن الاضطهادات التي أصابتهم في بعض الفترات المحدودة نسبيًا إزعاجات من بعض السلاجقة، أو زمن الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي غريب الأطوار تعود إلى انحراف بعض الحكام الذين لم ينجُ المسلمون أنفسهم من أذاهم وتعدياتهم»، كما أكد ذلك أيضًا الأستاذ «أمير سيد علي» في كتابه (مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي)..

ولعل ما كتبه وتنبه إليه الكُتَاب والمؤرخون الغربيون بهذا الشأن أقوى شاهد ودليل بطلان مزاعم الاضطهاد الديني، فهذا الكاتب «جاي لي سترانج» يقول: «يجدر بنا أن نعترف أن المسيحيين لم يكونوا بمضطهدين ذلك الاضطهاد الذي اتخذوه سببًا

لحملاتهم الصليبية»، ولا ريب أن أحدًا لا يستطيع نكران فضل «العهدة العمرية» التي أعطاها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ١٨هـ لدى فتح بيت المقدس للمسيحيين النصارى، والتي أرست لمن خلفه قواعد التعامل معهم في القدس وسائر الأمصار على أساس «الأمان لأنفسهم، وأموالهم وكنيستهم، وصلبانهم... فلا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقض منها، ولا من حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم».

ويذهب الباحث وليد الخالدي إلى أبعد من ذلك، حيث يرى: أنَّ الخلاف في العهود الإسلامية حول الأماكن المقدسة في القدس، لم يكن في الحقيقة خلافًا بين السلطة الحاكمة والجاليات المسيحية، ولا كان بين هذه السلطة والجالية اليهودية، بل كان بين الجاليات المسيحية ذاتها«الأرثوذكسية / الكنيسة الشرقية» و «اللاتينية/ الكنيسة الغربية»، وكان دور السلطة الإسلامية الحاكمة طوال تلك القرون دور الحكم بين الكنائس المسيحية المتنازع على حقوقها في الأماكن المقدسة. وأدتْ السلطة الإسلامية دورها بالإشراف على نظام اصطلح على تسميته«انستاتيكون، الوضع الراهن» وهو عبارة عن مجموعة من الأعراف والتقاليد حول تلك الحقوق، وتراكمت برضا واعتراف الكنائس المحلية والدول الأوروبية الراعية، أدارتها السلطة الإسلامية لضبط الخلاف حول الأماكن المقدسة المسيحية.

## الأسباب المباشرة «الاستعدادت للحملة»

أما عن الأسباب المباشرة للحملات الصليبية، فهي إضافة إلى الثأر من الهزيمة في معركة«منازكرد»، ما أثاره «بطرس الناسك» الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة«بيت المقدس» وزعم أنه أُسِيئتْ معاملته مع غيره من الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مرَّ بروما وقابل البابا«أوربان الثاني» ودعاه إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ

يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرضًا الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ «قبر المسيح»، فكان لتلك الخطب النارية، وتشجيع البابا لهذه الحركة أثر كبير في قلوب الناس.

وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين «الكنيستين الشرقية البيزنطية، والغربية اللاتينية»، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعًا من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمراء ورجال الدين، وكبار التجار الإيطاليين المشاركين في «مجمع كلير مونت»، بأن يحيك كل محارب صليبيًا من الأحمر على ردائه الخارجي من ناحية الكتف، رمزًا للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وكان قد تمَّ تحديد سنة ١٠٩٧م موعدًا للحملة الصليبية الأولى.

وإن كانت مؤامرات النصارى لم تنقطع إلا أن النصر والغلبة لجند الله لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٦].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ وقيل: إن المراد بالأرض: أرض العدو يورثها الله المؤمنين في الدنيا: ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢٧]. وقوله: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف:١٣٧]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:٥٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤].إلى غير ذلك من الآيات .فمهما تآمر الحاقدون على الإسلام والمسلمين، ومهما طال الليل فلابد من طلوع الفجر، فالباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة... النصارى جاؤا بحدهم وحديدهم المحاربة السلام والقضاء على المسلمين، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. فها هو صلاح الدين جاء ليرفع راية التوحيد، ويمحق راية الصليب في تلك المعركة الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ إنها معركة حطين.. وإليك أخي المسلم طرفًا من أحداثها، يقول ابن كثير «معركة حطين».

قال ابن كثير: «برز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش، وتقدَّم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى، فخيم على قصر أبي سلام، ينتظر قدوم الحجاج ليسلموا من معرة برنس الكرك، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع وأكلوا الثمار، وجاءتْ العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية، فنزلوا عند السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح والنصر.

وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر، فرتب الجيوش وسار قاصدًا بلاد الساحل، وكان جملة مَنْ معه من المقاتلة اثني عشر ألفًا غير المتطوعة، فتسامعتْ الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر، وجاءوا بحدهم وحديدهم، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت، في خلقٍ لا يعلم عدتهم إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، يُقال: كانوا خمسين ألفًا، وقيل: ثلاثًا وستين ألفًا، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له: لا أشك أنك تُحب المسلمين وتُخوفنا كثرتهم، وسترى غب ما أقول لك، فتقدموا نحو المسلمين.

وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك، وتحصنتْ منه القلعة فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة، حتى صاروا في عطش عظيم، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يُقَال لها: حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاء العدو المخذول، وكان فيهم صاحب عكا وكفر نكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان واغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودائرة السوء على عبدة الصلبان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم.

وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يومًا عسيرًا على أهل الأحد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيمًا، وكان ذلك عليهم مشؤومًا، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط، فرموه فتأجج نارًا تحت سنابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس، وحر العطش، وحر النار، وحر السلاح، وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان، ثم أمر السلطان بالتكبير والحمل الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عَزَّ وَجَلَّ، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفًا في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة مَنْ أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمغ الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرتْ أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فلله الحمد دائمًا كثيرًا طيبًا مباركًا. هذا وقد كان البرنس أرناط البيزنطى صاحب الكرك كان

قد نذر أنه إنْ ظفر به قتله، وذلك أنه كان عبر به قافلة راجعة من الديار المصرية في حالة الصلح بينه وبين المسلمين، فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم، فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي ﷺ وقال: قولوا لمحمدكم يُخلصكم، وبلغ السلطان فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله.

قال ابن كثير: «فلما تمتْ هذه الوقعة ووضعتْ الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها، وجئ بالأسارى تتهادى بقيودها، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمي الداوية «الداوية: فرقة دينية عسكرية شديدة البأس» صبرًا، ولم يترك أحدًا منهم ممن كان يذكر الناس عنه شرًا.

ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه، وأجلس أرناط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوجًا، فشرب ثم ناول الملك فشرب، ثم ناول أرناط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له: إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندي، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرناط صاحب الكرك، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فامتنع، فقال له: نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمته، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة، وقال: إن هذا تعرض لسب رسول الله ﷺ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاسبتارية«الاسبتارية كالداوية: فرقة دينية عسكرية شديدة البأس» صبرًا وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين.

ولم يسلم ممن عرض عليه إلا القليل، فيقال: إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفًا، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفًا، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفًا، وكان من سلَّم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم، وممن مات كذلك قومس طرابلس، فإنه انهزم جريحًا فمات بها بعد مرجعه، ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج، ومَنْ لم يقتل من

رؤوسهم، وبصليب الصلبوت إلى دمشق ليودعوا في قلعتها، فدخل بالصليب منكوسًا وكان يومًا مشهودًا.

ثم سار السلطان إلى قلعة طبريا فأخذها، ثم ثار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن، فقسم تلك البلاد كلها، ثم سار إلى عكا، فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر، فافتتحها صلحًا يوم الجمعة، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين، فوجد فيها أربعة آلاف أسير، وأمر بإقامة الجمعة بها، وكانت أول جمعة أُقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج نحوًا من سبعين سنة، ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلدًا بلدًا، لخلوها من المقاتلة والملوك، ثم رجع سائرًا نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور، فملك ذلك كله، وكان من جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلدًا كبارًا كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئًا كثيرًا، وسبوا خلقًا.

وذكر محمد بن القادسي أنه ورد كتاب إلى بغداد في وصف هذه الوقعة فيه: «... واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك، وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمّص طرابلس مع أربعة نفر، وهو مجروح ثلاث مجراحات مات بعدها بقليل وأخذ جميع أمراء الفرنج، وكم قد سبي من النساء والأطفال، يُباع الرجل وزوجته وأولاده ثلاث بنين وابنتان بثمانين دينارًا.. وأخذ من البقر والغنم والخيل والبغال ما لم يجيء مَنْ يشتريها من كثرة السبي والغنائم».

ويقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو المظفّر ابن الجوزيّ: «خيَّم السّلطان على ساحل البحيرة في اثنى عشر ألفًا من الفُرسان سوى الرّجّالة، وخرج الفرنج من عكاّ، فلم يدعوا بها محتلِمًا. فنزلوا صفورية، وتقدَّم السّلطان إلى طبرية، فنصب عليها المجانيق، وافتتحها في ربيع الآخر، وتقدمت الفرنج فنزلوا لوبية من الغد، وملك المسلمون عليهم الماء،

وكان يومًا حارًا. والتهب الغور عليهم، وأضرم مظفّر الدين النّارَ تُضرَم حولهم، وساق القومُّص على حمِيَّة وحرق، وطلع إلى صفد، وعملت السيوف في الفرنج، وانكسر من الملوك جماعة، وجيء بصليب الصَّلَبُوت إلى السّلطان، وهو مرصَّع بالجواهر واليواقيت في غلافٍ من ذهب. فأُسرَ ملك الفرنج درباس الكُرديّ، وأسر إبرنس الكرك، فنظر السّلطان إلى الملك وهو يَلهَث عطشاً، فأمر له بماءٍ وثلج، فشرب وسقي البرنس، فقال السلطان: ما أذِنتُ لك في سقيه. والتفت إلى البرنس فقال: ياملعون ياغدّار، حَلَفت ونكثت.

وجعل يُعدد عليه غدراته. ثم قام إليه فضربه حلَّ كتفه، وتمَّمه المماليك: فطار عقل الملك، فأمنه السّلطان وقال: هذا الكلب غَدَر غير مرَّة. إلى أن قال: وأبيعت الأسارى بثمنٍ بخسٍ، حتى باع فقيرٌ أسيرًا بنَعل، فقيل له في ذلك فقال: أردتُ هوانهم. ووصل القاضي ابن عصرون دمشقَ وصليب الصَّلَبُوت منكّساً بين يديه، وعاد السّلطان إلى طبرية، وآمن صاحبتها، فخرجت بأموالها إلى عكّا. وأمّا القومُّص فسار من صفد إلى طرابُلسَ فمات بها، فقيل: مات من جراحاتٍ أصابته. وقيل: إن امرأته سمّته. قال القاضي جمال الدّين بن واصل: اجتمعت الجحافل على رأس الماء عند الملك الأفضل ابن السّلطان، فتأخرتْ العساكر الحلبيّة لانشغالها بفرنج أنطاكية وبالأرمن، فدخل الملك مظفر صاحب حماه فأخمد ثائرتهم، ثم رد إلى حماه ومعه فخر الدّين مسعود بن الزعفرانيّ على عساكر الموصل وعسكر ماردين، فلحقوا السّلطان بعشترا، ثم ساروا، وأحاطت جيوشه بُحيرة طبرية عند قرية الصّفيرة، ثم نازل طبريّة فافتتحها في ساعة من نهار.؟؟؟؟ رواية ابن الأثير(١).

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي (ج٩ / ص٩٦).

## الفصل الخامس

# المؤامرة التترية على بلاد الإسلام

**اعلم علمني الله وإياك:** أن من أعظم البلايا التي أصابت المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ تلك الحادثة التي لم يُشهد العالم مثلها منذ أن خلق الله الأرض إنها حادثة خروج التتر إلى بلاد العالم، وإحداث أبشع الجرائم، وتدمير الحرث والنسل يُصور لنا ابن الأثير تلك الحادثة بقوله: «ذكر خروج التتر إلى بلاد الشام» «لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلًا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيًا منسيًا، إلا أنى حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيتُ أن ترك ذلك لا يُجدى نفعًا، فنقول: عمتْ الخلائق، وخصتْ المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن، لم يبتلوا بمثلها؛ لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث: ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى مَنْ قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقى على مَنْ اتبعه، ويهلك مَنْ خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، شقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لهذه الحادثة التي استطار شرها، وعمَّ ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قومًا خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلا تركستان مثل: كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكًا، وتخريبًا، وقتلًا، ونهبًا، ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمذان، وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع مثله.

ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان، واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلًا، ونهبًا، وتخريبًا؛ ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عددًا، فقتلوا كل مَنْ وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان، ولم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير.

ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يُجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان، ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإنَّ الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه مَلَكَ الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحدًا، إنما رضى من الناس بالطاعة ؛ وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلًا، وأعدل أهل الأرض أخلاقًا وسيرة، في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعها، ويترقب وصولهم إليه.

ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيهم، فإنهم معهم الأغنام، والبقر، والخيل، وغير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير؛ وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر

الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير، فهم إذا نزلوا منزلًا لا يحتاجون إلى شيء من خارج.

وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئًا، فإنهم يأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحًا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه. ولقد بُلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم، **منها**: هؤلاء التتر، قبحهم الله، أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل مَنْ سمع بها، وستراها مشروحة متصلة، إن شاء الله تعالى.

**ومنها**: خروج الفرنج، لعنهم الله، من الغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرقت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمائة.

**ومنها**: الذي سلَّم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق، وقد ذكرناه أيضًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصرًا من عنده، فإن الناصر، والمعين، والذاب عن الإسلام معدوم،« وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد وما لهم من دونه من والٍ»، فإن التتر استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع.

**وسبب عدمه**: أن خوارزم شاه محمدًا كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناهم، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد مَنْ يمنعهم، ولا مَنْ يحميها ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم إلى البلاد[1].

---

(١) «الكامل في التاريخ» (جـ٥/ ص٣٠٤)

وما وراء النهر وما فعلوه في هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهم نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر.

## لماذا توجه التتر إلى ديار الإسلام؟؟

### خروج التتر إلى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه:

في سنة ٦١٧ ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهم نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، وبينهم وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر، وكان السبب في ظهورهم: أن ملكهم ويسمى بجنكز خان المعروف بتوجين كان قد فارق بلاده وسار إلى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والأتراك ومعهم شيء كثير من النقرة والقندرة وغيرهم إلى بلاد ما وراء النهر سمر قند وبخارا ليشتروا له ثيابًا للسكوة، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال، فبعث إليه خوارزم شاه يأمر بقتلهم وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذ إليه، فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئًا كثيرًا، فلما وصل إلى خوارزم شاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم، فلما قتل نائب خوارزمشاه أصحاب جنكز خان أرسل جواسيس إلى جنكز خان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من اليزك وما يريد أن يعمل، فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا إليه، فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم، وأنهم يخرجون عن الإحصاء، وأنهم من أصبر خلق الله على القتال، لا يعرفون هزيمة، وأنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم، فندم خوارزم شاه على قتل أصحابهم وأخذ أموالهم.

فبينما الأتراك كذلك إذ ورد رسول من هذا اللعين جنكز خان معه جماعة يتهدد خوارزم شاه ويقول: تقتلون أصحابي وتأخذون أموالهم، استعدوا للحرب، فإني واصل

إليكم بجمع لا قبل لكم به، فلما سمعها خوارزم شاه أمر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه، وأعادهم إلى صاحبهم جنكز خان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له: إن خوارزم شاه يقول لك: أنا سائر إليك ولو أنك في آخر الدنيا حتى أنتقم وأفعل بك كما فعلت بأصحابك، وتجهز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرًا ليسبق خبره ويكسبهم فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر فوصل إلى بيوتهم فلم ير فيها إلا النساء والصبيان والأطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية، وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له: كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلم يقم في الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلفيهم، فجدوا السير، فأدركوه قبل أن يخرج عن بيوتهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالًا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم ينهزم أحد منهم، واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال، هذا القتال جميعه مع ابن جنكز خان، ولم يحضر أبوه الوقعه ولم يشعر بها، فأحصى من قتل من المسلمين في هذه الواقعة فكانوا عشرين ألفًا، وأما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم، فلما كان الليلة الرابعة افترقوا، ورجع المسلمون إلى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه؛ لأن طائفة من عسكره لم يقدر خوارزم شاه على أن يظفر بهم فكيف إذا جاؤا جميعهم مع ملكهم، فأمر أهل بخارا وسمر قند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع، وجعل في بخارا عشرين ألف فارس من العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين ألفًا وقال لهم: احفظوا البلد حتى أعود إلى خوارزم وخرسان، وأجمع العساكر، وأستنجد بالمسلمين وأعود إليكم.

فلما فرغ من ذلك رحل عائدًا إلى خراسان فعبر جيحون، ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك، وأما الكفار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارا بعد خمسة أشهر من وصول خوارزم شاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة أيام قتالًا شديدًا متتابعًا فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة، ففارقوا البلد عائدين إلى خراسان،

فلما أصبح أهل البلد وليس عندهم من العسكر أحد ضعفتْ نفوسهم فأرسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب الأمان للناس فأعطوهم الأمان، وكان قد بقى من المعسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة، فلما أجابهم جنكز خان إلى الأمان فتحت أبواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم يتعرضوا إلى أحد بل قالوا لهم: كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة أو غيره أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال مَنْ بالقلعة، وأظهروا عندهم العدل وحسن السيرة، ودخل جنكز خان بنفسه، وأحاط بالقلعة، ونادى في البلد: بأن لا يتخلف أحد، ومَنْ تخلف قُتِلَ، فحضروا جميعهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب والتراب وغير ذلك، حتى إنَّ الكفار كانوا يأخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق، ثم تابعوا الزحف إلى القلعة وبها نحو أربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يومًا يقاتلون جمع الكفار وأهل البلد فقتل بعضهم، ولم يزالون كذلك حتى زحفوا إليهم، ووصل النقابون إلى سور القلعة فنقبوه، واشتد حينئذٍ القتال، وقد تعب مَنْ بالقلعة ونصبوا، وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهرهم الكفار، ودخلوا القلعة، وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم، ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه، وأحاط بالمسلمين، فأمر أصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم، وكان يومًا عظيمًا من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وتفرقوا أيدى سبأ، وتمزقوا كل ممزق، واقتسموا النساء أيضًا، وأصبحتْ بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء الأمر العظيم، والناس ينظرون ويبكون، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئًا مما نزل بهم، فمنعهم مَنْ لم يرض بذلك، واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل، ومن استسلم أخذ أسيرًا، وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد، وعذبوا الناس بأنواع العذاب ثم رحلوا نحو سمرقند، وقد تحققوا عجز خوارزم شاه عنهم، وهم بمكانة بين ترمذ وبلخ، واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارا أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة، فكل مَنْ أعيا وعجز

عن المشي قُتِلَ، فلما قاربوا سمرقند خرج إليهم شجعان أهله وأهل الجلد والقوة رجالة، وبم يخرج معهم من المعسكر الخوارزميّ.

أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين،فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون وأهل البلد يتبعوهم ويطمعون فيهم، وكان الكفار قد كمنوا لهم كمينًا، فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد، ورجع الباقون الذين أنشبوا القتال أولًا فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب، فلم يسلم منهم أحد، قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنه ،وكانوا سبعين ألفًا على ما قيل ، فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفتْ نفوسهم، وأيقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا أتراكًا: نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلون فطلبوا الأمان فأجابوهم إلى ذلك، ففتحوا أبواب البلد، ولم يقدر العامة على منعهم، وخرجوا إلى الكفار بأهلهم وأموالهم فقال لهم الكفار: ادفعوا إلينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم إلى مأمنكم، ففعلوا ذلك، فلما أخذوا أسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم، وأخذوا أموالهم ودوابهم ونساءهم، فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم ومَنْ تأخر قتلوه، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان، ففعلوا مع أهل بخارا من النهب على حاله،وافتضوا الأبكار، وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال، وقتلوا مَنْ لم يصلح للسبي، وكان ذلك في محرم سنة سبع عشرة وستمائة، وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيره إلى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول إليها.

## ذكر مسير التتر إلى خوارزمشاه وانهزامه وموته

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكز خان، لعنه الله، وسير عشرين ألف فارس، وقال لهم: اطلبوا خوارزم شاه أين كان ولو تعلَّق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه، فلما أمرهم جنكز خان بالمسير ساروا وقصدوا موضعًا يُسمَّى: فنج أب ومعناه خمس مياه،

فوصلوا إليه فلم يجدوا هناك سفينة، فعلموا من الخشب مثل الأحواض الكبار، كلهم دفعة واحدة، فلم يشعر خوارزم شاه إلا وقد صاروا معه على أرض واحدة، وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبًا وخوفًا، وقد اختلفوا فيما بينهم، أنهم كانوا يتماسكون بسبب أن نهر جيحون بينهم، فلما عبروه إليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين، بل تفرقوا أيدى سبأ، وطلب كل طائفة منهم جهة، ورحل خوارزم شاه لا يلوى على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور، فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل أولئك التتر إليها، وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلون حتى يجمع لهم، فلما سمع بقربهم منه رحل إلى مازنران وهي له أيضًا فرحل التتر في أثره، ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه، وكان كلما رحل عن منزلة نزلوها، فوصل إلى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة في البحر، فلما نزل هو وأصحابه في السفن وصلت التتر، فلما رأوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر، فلما أيسوا من اللحاق بخوارزم شاه رجعوا، فهم الذين قصدوا الرى وما بعدها ثم منها إلى همذان، والتتر أثره، ففارق همذان في نفر يسير ليستر نفسه ويكتم خبره، وعاد إلى مازندان وركب في البحر إلى القلعة، ولما وصل خوارزم شاه إلى هذه القلعة المذكورة توفي فيها.

**ماذا فعل التتر في ديار الإسلام والمسلمين؟؟.**

وإليك أخي طرفًا من هذا الفاجع والمأسى التي نالت الإسلام والمسلمين يقول ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ذكر استيلاء التتر على مازندان»:

لما أيس التتر من إدراك خوارزم شاه عادوا فقصدوا بلاد مازندرانن فملكوها في أسرع وقتٍ مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها، فإنها لم تزلْ ممتنعة قديم الزمان وحديثه، ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا وأحرقوا البلاد، ولما فرغوا

من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه وأموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الأعلاق النفسية، فأخذوها وما معها قبل وصولها إلى الري، فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم، وما لم يُشاهدْ الناس مثله من كل غريب من المتاع ونفيس من الجواهر، وغير ذلك وسيروا الجميع إلى جنكز خان بسمرقند.

## ذكر وصول التتار إلى الري وهمذان

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتار لعنهم الله إلى الرى في طلب خوارزم شاه محمد؛ لأنهم بلغهم أنه مضى منهزمًا منهم نحو الري فجدوا السير في أثره، قد انضاف إليهم كثير من العساكر المسلمين والكفار، وكذلك أيضًا من المفسدين مَنْ يريد النهب والشر، فوصلوا إلى الري على حين غفلة من أهلها، فلم يشعروا إلا وقد وصلوا إليها وملكوها ونهبوها، وسبوا الحريم، واسترقوا الأطفال، وفعلوا الأفعال التي لم يسمع بمثلها، ولم يقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه، فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها، وفعلوا في الجميع أضعاف ما فعلوا في الري، وأحرقوا وخربوا ووضعوا السيف في الرجال والنساء والأطفال فلم يبقوا على شيء.

وتموا على حالهم إلى همذان، فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الأموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الأمان لأهل البلد فأمنهم، ثم فارقوها وساروا إلى زنجان ففعلوا أضعاف ذلك، ثم وصلوا إلى قزوين فاعتصم أهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم، ودخلوا عنوة بالسيف فاقتتلوا هم وأهل البلد حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ، ثم فارقوا قزوين، فعد القتلى من أهل قزوين على أربعين ألف قتيل.

## ذكر وصول التتار إلى أذربيجان

لما هجم الشتاء على التتر في همذان وبلد الجبل رأوا بردًا شديدًا وثلجًا متراكمًا فساروا إلى أذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخرجوا وأحرقوا.

وساروا يريدون ساحل البحر؛ لأنه يكون قليل البرد فجاء إليهم من الكرج جمع كثير من المعسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل أكثرهم وأدركهم التتر، وقد تعب الكرج من القتال، وقتل منهم أيضًا كثير، فلم يثبتوا للتتار، وانهزموا أقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب، فقتل منهم ما لا يحصى كثرة، وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة، ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم.

ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه، طائفة تخرج من حدود الصين لا تمضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية، من هذه الناحية ويجاوزون العراق ناحية همذان، وتالله لا شك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها، والحق بيده، فمتى استبعد ذلك فلينظر أنا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه، ولم ينلْ المسلمين أذى وشدة منذ جاء النبي ﷺ إلى هذا الوقت مثل ما دفعوا إليه الآن، هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها، وخربوها وناهيك به سعة بلاد، وتعدت طائفة منهم النهر إلى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم إلى الري وبلد الجبل وأذربيجان، وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهر من بلادهم في أقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا إلى مصر فملكوا مثل دمياط وأقاموا فيها، ولم يقدر المسلمون على إزعاجهم

عنها ولا إخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن أعظم الأمور على المسلمين: أن سلطانهم خوارزم شاه محمدًا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره، فتارة يُقال: مات عند همذان وأخفى موته، وتارة دخل أطراف بلاد فارس ومات هناك وأخفى موته لئلا يقصدها التتر في أثره، وتارة يُقال: عاد إلى طبرستان وركب البحر فتوفي في جزيرة هناك، وبالجملة: فقد عدم ثم صح موته ببحر طبرستان، وهذا عظيم، مثل خراسان وعراق العجم أصبح سائبًا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما أراد، ويترك ما أراد، على أنهم لم يبقوا على مدينة إلا خربوها وكل ما مروا عليه نهبوه وما يصلح أحرقوه، فكانوا يجمعون الإبريسم تلالًا، ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الأمتعة.

## ذكر ملك التتار مراغة

فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج؛ لأنهم رأوا أن بين أيديهم شوكة قوية ومضايقة تحتاج إلى قتال وصداع فعدلوا عنهم، وهذه كانت عادتهم إذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعًا عدلوا عنها، فوصلوا إلى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه إلى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها، فلما حصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا إليها، وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون، فإن عادوا قتلوا فكانوا يقتلون كرهًا، وهم المساكين، وكانوا هم يُقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الأسارى وهم بنجوة منه، فأقاموا عليها عدة أيام، ثم ملكوا المدينة عنوة وقهرًا رابع صفر، ووضعوا السيف في أهلها فقتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء، ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم، وأحرقوه، واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الأسارى ويقولون لهم: نادوا في الدروب أن التتر قد رحلوا فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيُؤخذ ويقتل، ثم رحلوا عنها نحو مدينة إربل.

## ذكر ملك التتار همذان وقتل أهلها

عاد التتار إلى همذان فنزلوا بالقرب منها، وكان لهم بها رئيس يحكم فيها فأرسلوا إليه يأمرونه ليطلب من أهلها مالًا وثيابًا، وكانوا قد استنفذوا أموالهم في طول المدة، وأشار فقيه البلد بإخراج رئيس التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر، فوثب العامة على الرئيس فقتلوه وأمتنعوا في البلد، فتقدم التتر إليهم وحصروهم، وكانت الأقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقلت أهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر أحد على الطعام إلا قليلًا، وأما التتار فلا يُبالون لعدم الأقوات؛ لأنهم لا يأكلون إلا اللحم ولا تأكل دوابهم إلا نبات الأرض، حتى إنها تحفر بحوافرها الأرض عن عروق النبات فتأكلها، فلما حصروا همذان قاتلهم أهلها والرئيس والفقيه في أوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا، ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا أشد من القتال الأول، وقتل أيضًا من التتر أكثر من اليوم الأول وجرح الفقيه أيضًا عدة جراحات وهو صابر، وأرادوا أيضًا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس فلم يجدوه كان قد هرب واجتمعتْ كلمتهم على القتال إلى أن يموتوا فأقاموا في البلاد ولم يخرجوا منه، وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم، فلما لم يروا أحدًا خرج إليهم من البلد طمعوا، واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب فبطل السلاح للزحمة، واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يُحصيه إلا الله تعالين وقوى التتر على المسلمين فأفنوهم قتلًا، ولم يسلم إلا من كان عمل له نفقًا يختفي فيهن وبقى القتل في المسلمين عدة أيام، ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوه، ورحلوا عنها إلى مدينة أردويل.

## ذكر مسير التتار إلى أذربيجان

رحل التتار إلى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها، ورحلوا منها إلى بيلقان من بلاد أران، فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى ، وخربوا وقتلوا من ظفروا به

من أهلها، فلما وصلوا إلى بيلقان حضروها فاستدعى أهلها منهم رسولًا يقرون معه الصلح، فأرسلوا إليهم رسولًا من أكابرهم ومقدمهم فقتله أهل البلد، فزحف التتار إليهم وقاتلهم، ثم إنهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة، ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة، حتى إنهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الأجنة، وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها، وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدًا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم إليه يدًا، فلما فرغوا منها استقصوا ما حولها من النهب والتخريب، وساروا إلى المدينة كنجة وهي أم بلاد أران فعلموا بكثرة أهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتهم فلم يقدموا عليها فأرسلوا إلى أهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا إليهم ما طلبوا فسارعوا عنهم.

## ذكر وصول التتار إلى بلاد الكرج

لما فرغ التتار من بلاد المسلمين بأذربيجان وأران بعضه بالملك وبعضه بالصلح، وساروا إلى بلاد الكرج من هذه الأعمال أيضًا، وكان الكرج قد أعدوا لهم واستعدوا وسيَّروا جيشًا كثيرًا إلى طرف بلادهم ليمنعوا التتار عنها، فوصل إليهم التتار فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين، فأخذهم السيف فلم يسلم منهم إلا الشريد، ولقد بلغني أنهم قتل منهم نحو ثلاثين ألفًا، ونهبوا ما وصلوا إليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم، فلما وصل المنهزمون إلى تفليس وبها ملكهم جمع جموعًا أخرى، وسيرهم إلى التتار أيضًا ليمنعوهم مَنْ توسط بلادهم فرأوا التتار وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك، فلما رأوا فعلهم عادوا إلى تفليس فأخلوا البلاد، ففعل التتار فيها ما أرادوا من النهب والقتل والتخريب، ورأوا بلادًا كثيرة المضايق فلم يتجاسروا على الوغل فيها فعادوا عنها، وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض أكابر الكرج وكان قدم رسولًا أنه قال: مَنْ حدّثكم أن التتار انهزموا وأسروا فلا تصدقوه، وإذا حدثتم أنهم قتلوه فصدقوا، فإن القوم لا يفرون أبدًا، ولقد أخذنا أسرًا منهم فألقى نفسه من الدابة، وضرب نفسه بالحجر إلى أن مات ولم يسلم نفسه للأسر.

## ذكر وصولهم إلى دربندشروان وما فعلوه

لما عاد التتار من بلد الكرج قصدوا دربندشروان، فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا أهلها فصبروا على الحصر، ثم إن التتار صعدوا سورها بالسلاليم وقيل: بل جمعوا كثيرًا ونهبوا الأموال واستباحوها.

## ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لما عبر التتار دربند شروان ساروا في تلك الاعمال، وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك، فنهبوه وقتلوا من اللكز كثيرًا، وهم مسلمون وكفار، وأوقعوا بمَنْ عداهم من أهل تلك البلاد، ووصلوا إلى اللان وهم أمم كثيرة، وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعًا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى، فأرسل التتار إلى قفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم، ولا دينكم مثل دينهم، ونحن نعاهدكم أننا لا نعترض إليكم، ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم، فاستقر الأمر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك، فحملوا إليهم ما استقروا وفارقهم قفجاق، فأوقع التتار باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا، وساروا إلى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم إلا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول، وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم، وسمع من كان بعيد الدار من قفاج الخبر ففروا من غير قتال وأبعدوا وبعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس، وأقام التتار في بلاد قفجاق وهي أرض كثيرة المرعى في الشتاء والصيف.

## ذكر ما فعله التتار بقفجاق والروس

لما استولى التتار على أرض قفجاق سار طائفة كثيرة منهم إلى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم، وأهلها يدينون بالنصرانية، فلما وصلوا إليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتار إن قصدوهم، وأقام التتار بأرض قفجاق مدة، ثم إنهم ساروا سنة عشرين وستمائة إلى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا إلى طريق التتار ليلقوهم قبل أن يصلوا بلادهم ليمنعوهم عنها، فبلغ مسيرهم التتار فعادوا على أعقابهم راجعين، فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا أنهم عادوا خوفًا منهم وعجزًا عن قتالهم فجدوا في اتباعهم، ولم يزل التتار راجعين وأولئك يقفون أثرهم اثني عشر يومًا، ثم إن التتار عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم إلا وقد لقوهم على غرة منهم لأنهم كانوا قد أمنوا التتار واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال إلا وقد بلغ التتار منهم مبلغًا عظيمًا، فصبر الطائفتان صبرًا لم يسمع بمثله، ودام القتال بينهم عدة أيام، ثم إن التتار ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد أن أثخن فيهم التتار، وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم إلا القليل، ونهب جميع ما معهم.

## ذكر عود التتار من بلاد الروس وقفجاق إلى ملكهم

لما فعل التتار بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها، وقصدوا بلغار أواخر سنة عشرين ستمائة، فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع وخرجوا إليهم فلقوهم واستجروهم إلى أن جاوزوا موضع الكمناء، فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم، فبقوا في الوسط، وأخذهم السيف من كل ناحية، فقتل أكثرهم، ولم ينج منهم إلا القليل قيل أنهم كانوا نحو أربعة آلاف رجل، فساروا عائدين إلى ملكهم جنكز خان، وخلت أرض قفجاق منهم، فعاد من سلم منهم إلى بلادهم. وكان الطريق منقطعًا منذ دخلها التتار، فلما فارقوها عادوا إلى بلادهم، واتصلت الطريق، وحملت الأمتعة كما كانت.

## ذكر ما فعله التتار بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند

قد ذكرنا ما فعله التتار التي سيرها ملكهم جنكز خان لعنة الله إلى خوارزم شاه، وأما جنكز خان فإنه بعد أن سير هذه الطائفة إلى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزم شاه من خراسان قسم أصحابه عدة أقسام، فسير قسمًا منها إلى بلاد فرغانه ليملكوها، وسير قسمًا آخر منها إلى ترمذ، وسير قسمًا منها إلى كلابة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من أحصن القلاع وأمنع الحصون، فسارتْ كل طائفة إلى الجهة التي أمرت بقصدها ونازلتها واستولتْ عليها وفعلتْ من القتل والأسر والسبي والنهب والتخريب وأنواع الفساد مثل ما فعل أصحابهم، فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى ملكهم جنكز خان وهو بسمرقند فجهز جيشًا عظيمًا مع أحد أولاده وسيره إلى خوارزم، وسير جيشًا آخر فعبروا جيحون إلى خراسان.

## ذكر ملك التتر خراسان

لما سار الجيش المنفذ إلى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الأمان فأمنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا إليه بنهب ولا قتل، جعلوا فيه رئيسًا وساروا وقصدوا الزوازن وسميند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا إلى أهلها بسوء ولا أذى سوى أنهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم، حتى وصلوا إلى الطالقان وفيها قلعة حصينة يقال لها: متصوركوه لا ترام علوًا وارتفاعًا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلًا ونهارًا ولا يظفرون منها بشيء فأرسلوا إلى جنكز خان يعرفونه عجزهم من ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها، فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه إليهم وحصرها، ومعه خلق كثير من المسلمين أسرى، فأمرهم بمباشرة القتال وإلا قتلهم فقاتلوا معه، وأقام عليها أربعة أشهر أخرى فقتل من التتار عليها خلق كثيرن فلما رأى ملكهم ذلك أمر أن يجمع له من الحطب والأخشاب

ما أمكن جمعه، ففعلوا ذلك، وصاروا يعملون صفًا من تراب، فلم يزالون كذلك حتى صار تلًا عاليًا يوازي القلعة فاجتمع من بها، وفتحوا بابها، وخرجوا منها، وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب، وأما الرجالة فقتلوا، ودخل التتار القلعة وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال والأمتعة، ثم إن جنكز خان جمع أهل البلاد التي أعطاهم الأمان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض أولاده إلى مدينة مرو فدخلوا إليها، وقد اجتمع بها من الأعراب والأتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد عن مائتي ألف رجل، وهم معسكرون بظاهر مرو، وهم عازمون على لقاء التتار، ويحدثون نفوسهم بالغلبة والاستيلاء عليهم، فلما وصل التتار إليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون، فلما رأى المسلمون صبر التتار وإقدامهم ولو منهزمين، فقتل التتار منهم وأسروا الكثير ولم يسلم إلا القليل، ونهبتْ أموالهم وسلاحهم ودوابهم، وأرسل التتار إلى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو، فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا إلى مرو وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال، وكان أهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والأسر فيهم، فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتار إلى الأمير الذي بها متقدمًا على من فيها يقولون له: لا تهلك نفسك وأهل البلد واخرج إلينا فنحن نجعلك أمير هذه البلدة ونرحل عنك، فأرسل يطلب الأمان لنفسه ولأهل بلده فأمنهم، فخرج إليهم فخلع عليه ابن جنكز خان واحترمه، وقال له: أريد أن تعرض عليّ أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه وأعطيناه أقطاعًا ويكون معنا، فلما حضروا عنده وتمكَّن منهم قبض عليهم وعلى أميرهم وكتوفهم، فلما فرغ منهم قال لهم: اكتبوا إلى تجار البلد ورؤسائه وأرباب الأموال في جريدة واكتبوا إلى أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى، واعرضوا ذلك علينا، ففعلوا ما أمرهم، فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهلهم، فخرجوا كلهم ولم يبق فيه أحد، فجلس على كرسي من ذهب، وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم، فأحضروا وضربت رقابهم صبرًا والناس ينظرون ويبكون، وأخذوا أرباب الأموال

فضربوهم وعذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الأموال فربما مات أحدهم من شدة الضرب، ولم يكن بقي له ما يفتدي به نفسه، ثم إنهم أحرقوا البلد، فبقوا كذلك ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة، وقال: هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين، وأمر بإحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم.

ثم ساروا إلى نيسابور فحصروها خمسة أيام، وبها جمع صالح من العسكر الإسلامي فلم يكن لهم بالتتر قوة، فملكوا المدينة وأخرجوا أهلها إلى الصحراء، فقتلوهم وسبوا حريمهم، وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو، وأقاموا خمسة عشر يومًا يخربون ويفتشون المنازل عن الأموال، وكانوا لما قتلوا أهل مرو وقيل لهم إن قتلاهم سلم منهم كثير، ونجوا إلى بلاد الإسلام، فأمروا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد، فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم إلى طوس ففعلوا بها كذلك أيضًا، وخرجوها حتى جعلوا الجميع خرابًا، ثم ساروا إلى هراة، وهي من أحصن البلاد، فحصروها عشرة أيام، فملكوها وأمنوا أهلها وقتلوا منها البعض وجعلوا عند من سلم منهم رئيسًا، وساروا إلى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزم شاه فقاتلهم وهزمهم، فوثب أهل هراة على الرئيس فقتلوه، فلما عاد المهزمون عليهم دخلوا البلد قهرًا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الأموال، وسبوا الحريم، ونهبوا السواد، وخربوا المدينة جميعها وأحرقوها، وعادوا إلى ملكهم جنكز خان وهو بالطالقان يرسل السرايا إلى جميع بلاد خراسان، ففعلوا بها كذلك، ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد، وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة.

## ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها

وأما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكز خان إلى خوارزم فإنها كانت أكثر السرايا جميعها لعظم البلاد، فساروا حتى وصلوا إلى خوارزم، وفيها عسكر كبير وأهل البلد

معرفون بالشجاعة والكثرة، فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس، ودام الحصر لهم خمسة أشهر، فقتل من الفريقين خلق كثير إلا أنَّ القتلى من التتار كانوا أكثر، لأنَّ المسلمين كان يحميهم السور، فأرسل التتار إلى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير، فلما وصلوا إلى البلد زحفوا زحفًا متتابعًا فملكوا طرفًا منه، فاجتمع أهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على إخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتار يملكون منهم محلة بعد محلة، كلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم، فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون، فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه، وقتلوا كل من فيه، ونهبوا كل ما فيه، ثم إنهم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه، وتهدمت الأبنية، وبقى موضعه ماء ولم يسلم من أهله أحد البتة، فإن غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله، منهم من يختفى، ومنهم من يهرب، ومنهم من يخرج ثم يسلم، ومنهم مَنْ يلقى نفسه بين القتلى فينجو، وأما أهل خوارزم فمن اختفى من التتار أغرقه الماء أو قتله الهدم فأصبحت خرابًا يبابًا.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فلما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا إلى ملكهم بالطالقان

## ذكر ملك التتار غزنة وبلاد الغور

لما فرغ التتر من خراسان وخوارزم وعادوا إلى ملكهم سير جيشًا كثيفًا إلى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكًا لها، وقد اجتمع إليه من سلم من عسكر ابيه قيل وكان ستين ألفًا، فلما وصلوا إلى أعمال غزنة خرج إليهم المسلمون مع ابن خورزم شاه إلى موضع يقال له: بلق، فالتقوا هناك واقتتلوا قتالًا شديدًا وبقوا كذلك ثلاثة أيام، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتار، وقتلهم المسلمون كيف شاؤه، ومن سلم منهم عاد إلى ملكهم بالطالقان، فلما سمع أهل هرارة بذلك ثاروا بالوالى الذي عندهم للتتر فقتلوه، فسير إليهم جنكزخان عسكرًا فملكوا البلد وخربوه، فلما انهزم التتر

أرسل جلال الدين رسولًا إلى جنكزخان يقول له: في أي موضع تريد يكون الحرب حتى نأتي إليه، فجهز جنكزخان عسكرًا كثيرًا أكثر من الأول مع بعض أولاده وسيره إليه فوصل إلى كابل فتوجه العسكر الإسلامي إليهم وتصافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم، فأنهزم الكفار ثانيًا فقتل كثير منهم، وغنم المسلمون ما معهم، وكان عظيمًا، وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم، ثم إن المسلمين جرى بينهم فتنة لأجل الغنيمة، وسبب ذلك أن أميرًا منهم يقال له: سيف الدين بغراق كان شجاعًا واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين: تأخروا أنتم فقد ملئتم منهم رعبًا، وهو الذي كسر التتر على الحقيقة، وكان من المسلمين أيضًا أمير كبير يقال له ملك خان، فاختلف هذان الأميران في الغنيمة، فاقتتلوا فقتل بينهم أخ لبغراق فقال بغراق: أنا أهزم الكفار ويقتل أخي لأجل هذا السحت، فغضب وفارق العسكر وسار إلى الهند، فتبعه من العسكر ثلاثون ألفًا كلهم يريدونه، فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه إليه، وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى، وبكى بين يديه، فلم يرجع وسار مفارقًا، فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر أن جنكزخان قد وصل في جموعه وجيوشه، فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لأجل من فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام سار نحو بلاد الهند فوصل إلى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه، وكان جنكيزخان يقص أثره مسرعًا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه جنكزخان في التتر، فاضطر المسلمون حينئذٍ إلى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم، فتصافوا واقتتلوا أشد قتال، اعترفوا كلهم أن كل ما مضى من الحروب كان لعبًا بالنسبة إلى هذا القتال، فبقوا كذلك ثلاثة أيام، فقتل الأمير ملك خان وخلق كثير، وكان القتل في الكفار أكثر والجراح أعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا ونزلوا، فلما رأى المسلمون أنهم لا مدد لهم، وقد ازدادوا ضعفًا بمَنْ قتل منهم وجرح، ولم يعلموا بما أصاب الكفار من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون، فلما كان الغد عاد الكفار إلى غزنة وقد قويتْ نفوسهم بعبور المسلمين الماء إلى جهة الهند وبعدهم، فلما

وصلوا إليها ملكوها لوقتها لخلوها من العسكر والمحامي فقتلوا أهلها، ونهبوا الأموال، وسبوا الحريم ولم يبق أحد، وخربوها وأحرقوها، وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا وأحرقوا، فأصبحت تلك الأعمال جميعها خالية من الأنيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس(١).

## المؤامرة الصليبية التترية

**واعلم علمنى الله وإياك:** أنَّ النصارى قد اتصلوا بالتتر وجرة بينهم لقاءات واجتماعات ومن خلالها شمخ النصارى واستذلوا أهل الإسلام وإليك بعض الأدلة على ذلك التآمر يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اجتمع إبل سيان لعنه الله بأساقفة النصارى وقساوستهم، فعظمهم جدًا، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصولة بسببه، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو«في تبريز» وأخذوا معهم هدايا وتحفًا، وقدموا من عنده ومعهم أمان من جهته، ودخلوا من باب توما«أحد أبواب دمشق» ومعهم صليب منصوب.. يحملونه على رؤوس الناس، وهم يُنادون بشعارهم ويقولون: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح»، ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أوانٍ فيها خمر، لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرًا، وقماقم ملآنة خمرًا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم، ووقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى، وذم دين الإسلام وأهله، فإنا لله وإنا إليه راجعون...

ثم إنهم دخلوا الجامع بخمر، فلما وقع ذلك اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء، فدخلوا القلعة يشكون هذه الحال إلى إبل سيان زعيم التتار، فأُهِينوا وطُردوا، وقدم كلام رؤوساء النصارى عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

---

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، بتصرف واختصار.

ويقول ابن تغري بردي: «ثم كتب الملك المظفر كتابًا إلى دمشق يُخبرهم فيه بالفتح وكسر العدو المخذول ويعدهم بوصوله إليهم ونشر العدل فيهم، فسر عوام دمشق وأهلها بذلك سرورًا زائدًا، وقتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجى في جامع دمشق. وكان المذكور من أهل العلم، لكنه كان فيه شر، وكان رافضيًا خبيثًا وانضم على التتار.وقتلوا أيضًا بدمشق من أعوان التتار ابن المساكيني، وابن النفيل وغيرهما. وكان النصارى بدمشق قد شمخوا وتجرؤوا على المسلمين واستطالوا بتردد التتار إلى كنائسهم. وذهب بعضهم إلى هولاكو وجاؤوا من عنده بفرمان يتضمن الوصية بهم والاعتناء بأمرهم، ودخلوا بالفرمان من باب توما وصلبانهم مرتفعة، وهم يُنادون بارتفاع دينهم واتضاع دين المسلمين، ويرشون الخمر على الناس وفى أبواب المساجد، فحصل عند المسلمين من ذلك هم عظيم. فلما هرب نواب التتار حين بلغتهم الكسرة أصبح الناس وتوجهوا إلى دور النصارى ينهبونها ويأخذون ما استطاعوا منها، وأخربوا كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كومًا، وقتلوا منهم جماعة واختفى الباقون. وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب، ومن لم يقم أخرقوا به وأهانوه، وشقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم، فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام، وكان ذلك في ثاني عشرين شهر رمضان. ثم من الغد طلع المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى قلعة دمشق وبها التتار فأهانوهم التتار، ورفعوا قسيس النصارى عليهم، ثم أخرجوهم بالضرب، فصار ذلك كله في قلوب المسلمين. انتهى.

ثم إن أهل دمشق هموا أيضًا بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيرًا، ثم كفوا عنهم. ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيدًا منصورًا فانجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى. والتقاه أهل دمشق بعد أن عفوا آثار النصارى، وخربوا

كنائسهم جزاء لما كانوا سلفوه من ضرب النواقيس على رؤوس المسلمين، ودخلوا لهم بالخمر إلى الجامع. وفى هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق: الخفيف.

هَلَكَ الكُفْرُ فِي الشَّامِ جَمِيعًا وَاستجدَّ الإسلامُ بَعدَ دحُوضِه
بالمليك المُظفرِ الملك الأر وع سيفُ الإسلامِ عَندَ نُهوضِه
مَلكٌ جَاءنَا بِعزمٍ وحزمٍ فَاعتززنَا بسمرِه وَبيضِه
أوجبَ اللهُ شُكرَ ذَاك علينَا دَائمًا مثلَ واجباتِ فُروضِه

وفي نصرة الملك المظفر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة: الكامل.

غَلَبَ التَّتارُ عَلى البلادِ فَجاءهُم مَنْ مصرَ تُركِى يَجودُ بِنفسِه
بِالشامِ أَهلكهُم وَبدَّد شَملُهم وَلكلِّ شيء آفةٍ مِنْ جِنسِه

ثم قدم الخبر على السلطان بدمشق في شوال بأن المنهزمين من رجال التتار ونسائهم لحقهم الطلب من الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، فإن بيبرس كان تقدم قبل السلطان إلى دمشق يتبع آثار التتار إلى قرب حلب، فلما قرب منهم بيبرس سيبوا ما كان في أيديهم من أسارى المسلمين، ورموا أولادهم فتخطفهم الناس، وقاسوا من البلاء ما يستحقونه.

وكان الملك المظفر قطز قد وعد الأمير بيبرس بحلب وأعمالها، فلما انتصر على التتار انثنى عزمه عن إعطائه حلب، وولاها لعلاء الدين على بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فكان ذلك سبب الوحشة بين بيبرس وبين الملك المظفر قطز. على ما يأتي ذكره.

ولما قدم الملك المظفر إلى دمشق أحسن إلى الناس وأجراهم على عوائدهم وقواعدهم إلى آخر أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف. وسير الملك الأشرف صاحب حمص يطلب منه أمانًا على نفسه وبلاده، وكان الأشراف أيضًا ممن انضاف إلى التتار فأمنه

وأعطاه بلاده وأقره عليها، فحضر الأشرف إلى خدمة الملك المظفر ثم عاد إلى بلده. ثم توجه الملك المظفر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، وكان حضر مع الملك المظفر قطز من مصر.

**قلت:** والملك المظفر قطز هو أول مَنْ ملك البلاد الشامية، واستناب بها من ملوك الترك[١].

ويقول اليونيني: وقتل بدمشق أيضًا من أعوان التتار الشمس ابن الماكسيني وابن البغيل وغيرهما وكان النصارى بدمشق قد شمخوا وتجرؤا على المسلمين، واستطاعوا بتردد إيلبان وغيره من كبار التتار على كنائسهم، وذهب بعضهم إلى هولاكو وجاؤا من عنده بفرقان يتضمن الوصية بهم والاعتناء بأمرهم، ودخلوا به البلد من باب توما وصلبانهم مرتفعة، وهم يُنادون حولها بارتفاع دينهم، واتضاع دين الإسلام ويرشون الخمر على الناس، وفى أبواب المساجد فحصل عند ذلك من المسلمين هم عظيم، فلما هرب نواب التتر حين بلغهم خبر الكسرة أصبح الناس إلى دور النصارى ينهبونها ويخربون ما استطاعوا منها، وأخرجوا كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيتْ كوما والحيطان حولها تعمل النيران في أخشابها وقتل منهم جماعة، واختفى الباقون ولما عبر النصارى من باب توما قاصدين درب الحجر وقفوا عند رباط مسجدى الحجر الكبير والصغير وألزموا الناس في دكاكينهم بالقيام للصليب ومن لم يقم أخرقوا به وأهانوه وشقوا السوق على هذا الوجه عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربى بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام ثم عطفوا من خلف السوق إلى الكنيسة التي خربها الله تعالى، وكان ذلك في ثاني وعشرين شهر رمضان، وفي الغد صعد المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى إيلبان بالقلعة فأهانوهم ورفعوا قسيس النصارى عليهم وأخرجوهم من القلعة

---

(١) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (جـ ٢ / ص ٢٧٢)

بالضرب والإهانة، وفي هذه حضر إيلبان إلى الكنيسة وفي غده كانت الكسرة ولله الحمد والمنة.

وهمَّ بعض الناس بنهب اليهود فنهب شيء يسير ثم كفوا عنهم، وفي يوم الجمعة ثاني شوال خطب بجامع دمشق الأصيل الأسعردي فبقى متوليًا الخطابة والإمامة بجامع دمشق إلى سلخ شوال من سنة ثمان وخمسين وستمائة.

وحكى ابن الجزري في (تاريخه) عن والده إبراهيم بن أبي بكر الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: خرجتُ من جامع دمشق بعد صلاة الجمعة وهي ثاني جمعة مرت من شهر رمضان من تحت الساعات ودخلت في الخضراء إلى نحو دكاني بسوق الرماحين فوجدتُ جميع دكاكين الخضراء فيها الخمور والنصارى فيها يبيعون الخمر وبعض المسلمين القليلين الذين معهم وهم يشربون ويرشون الخمر على من عبر عليهم من المصلين وغيرهم قال: فما ملكتُ نفسي إلا والدموع تسيل على خدي وحصل لى نحيب وبكاء كثير ومازلت

كذلك إلى حيث وصلتُ دكاني بسوق البر بالرماحين وأنا على ذلك في البكاء والنحيب إذا قد جاء شخص يُقال له: الحاج عبد العزيز من أهل دمشق، وقد جاء من المكان الذي جئتُ منه، وقد حصل له حال مثل الحال الذي قد حصل لي فقعد كل واحد منا في ناحية، وأخذ المنديل على وجهه يبكي وينتحب قال: فبينا نحن نبكي وإذا بالشيخ محمد الخالدي -قدس الله روحه- قد عبر علينا وقال لي: يا مليح لأجل أي شيء تبكي الذي رأيت يزول الساعة أبعث إليك محمد العطار يبشرك وأنا فما أقدر أقف ثم يمشي وتركني وكان الشيخ محمد مدة مقام التتر بدمشق ليس للشيخ محمد الخالدي شغل سوى أنه يمشي من باب الجابية إلى الباب الشرقي قال: فلما كان بعد ساعة إذا بالحاج محمد العطار قد جاءني وقال لي: الشيخ محمد يبشرك، والمسلمين ويخبرك أن في أول ليلة الجمعة مرت من هذا الشهر وهو رمضان اجتمعت أشباح الأنبياء والأولياء جميعهم وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين على صخرة بيت المقدس وسألوا

الله تعالى أنْ يكشفَ عن المسلمين ما هم فيه من أمر التتار فلم يجبهم فلما كان البارحة وهي ليلة الجمعة اجتمعوا ثانية، وسألوا الله تعالى فأجابهم وما يخرج شهر رمضان إلا وهم مكسورين، وما تُعيد أنت والمسلمين بدمشق إلا بسلطان جديد مسلم قال والدي رَحِمَهُ اللهُ: فكان الواقع كما قال الشيخ محمد قدس الله روحه(١).

## دخول التتر بغداد وسقوط دار الخلافة

ماذا صنع التتر ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية؟

إنها وحشية لا ترحم فقد فعلوا ببغداد وأهلها ما تشيب له الولدان يُصور ذلك الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمه عساكر سلطان التتار، هولاكو خان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفًا على نفسه من التتار، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئًا، كما ورد في الأثر «لن يُغني حذر عن قدر» وكما قَالَ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤].

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وأحاطتْ التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أُصيبتْ جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانتْ مولدة تُسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعًا شديدًا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم، فأمر الخليفة

(١) «ذيل مرآة الزمان» (جـ ١/ ص ١٣٨)

عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت السائر على دار الخلافة وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر الله قضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهًا إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مدرارة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا: إن الوزير إنما يريد هذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئًا من الهدايا فاحتقرها هولاكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالا به حتى أزف قدومه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يُؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأِواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم، ويحزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يُؤرخ أبشع منه منذ بُنِيتْ بغداد، وإلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع السلطان هولاكو خان لعنه الله، ثم عاد فأشار إلى الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفه، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسًا، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر

الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيُقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يُصالح الخليفة، وقال الوزير: متى و قع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويُقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الالموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرًا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين ابن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسًا، وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق.

قتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدًا بعد واحده، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيبك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي -قبحه الله ولعنه- أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، واتبعه بولده فاجتمعا والله أعلم بالدرك الأسفل من النار.

وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولما نُودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض مَنْ كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضًا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمَنْ سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر ببغداد إلى الأمير علي بهادر، فوض[1].

## هزيمة التتار في عين جالوت

**واعلم علمني الله وإياك:** أن الله تعالى مَنَّ على المسلمين في تلك الفترة الرهيبة بعلماء ربانين أخذوا يحثوا المسلمين على الجهاد في سبيل الله، وألا يضعفوا أمام عدوهم، وكذلك هيئ الله للأمة قائدًا ربانيًا أخلص عمله لله وانتدب العباد للجهاد إنه القائد المظفر قطز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجعل الجنة مثواه، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٠-٢٠٣).

«وقعة عين جالوت اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءتْ البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نبهوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وقد عزموا على الدخول إلى مصر، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر، وليته فعل، وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماه ووعده ببلده ووفاه له، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعًا إلى ناحية تيه بني إسرائيل، ودخل عامة مَنْ كان معه إلى مصر، ولو دخل كان أيسر عليه مما صار إليه، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها، ولكنه قلق فركب نحو البرية وليته ذهب فيها واستجاب ببعض أمراء الأعراب، فقصدته التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخربوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقًا وسبوا من نسلهم ونسائهم، وقد اقتص منهم العرب بعد ذلك، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها، فساقتْ وراءهم التتار فلم يدركوا لهم الغبار، ولا استردوا منهم فرسًا ولا حمارًا، ومازال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزى وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو خان وهو نازل على حلب، فمازالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه[1] ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة، وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة

---

(١) قال ابن إياس في «بدائع الزهور» (١/ ١/ ٣٠٤) فلما كان يوم السبت خامس صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة، حضر إلى الأبواب الشريفة، قاصد هولاكو، وهو شخص من التتار، يقال له كتبغانويزبك وصحبته أربعة من التتار وعلى يده كتاب من هولاكو..«وذكر تمام الكتاب بما حواه من ألفاظ فاحشة» فنادى بالنفير عامًا إلى الغزاة في سبيل الله ثم عرض العسكر، فاجتمع عنده نحو أربعين ألفًا.

عليه، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يناجزه سريعًا، فساروا إليه وسار المظفر إليهم، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالا عظيًما.

فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغانوين وجماعة من بيته، وقد قيل إن قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسي، وأتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماه مع الملك المظفر قتالًا شديدًا، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتابك العسكر، وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه، واستأمن الأشرف صاحب حمص، وكان مع التتار وقد جعله هولاكو خان نائبًا على الشام كله، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص، وكذلك رد حماه إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها، وأطلق سلمية للامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير بيبرس البند قداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم، وجاءت بذلك البشارة ولله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاوبتها دق البشائر من القلعة، وفرح المؤمنون بنصر الله فرحًا شديدًا، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدًا، وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها، وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصارى، وملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنه لم يكن منهم

من الطغيان كما كان من عبدة الصلبان، وقتلت العامة وسط الجامع شيخًا رافضيًا كان مصانعًا للتتار على أموال الناس يُقال له: الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، كان خبيث الطوية مشرقيًا ممالئًا لهم على أموال المسلمين -قبحه الله-، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين(١).

غَلَبَ التَّتارُ عَلى البِلادِ فَجاءهُم ... مِنْ مصرَ تُركِي يَجودُ بِنفسِه

بِالشامِ بَددهُم وَفرَّق شَملهم ... وَلِكلِّ شيءٍ آفةٌ مِنْ جنسِه

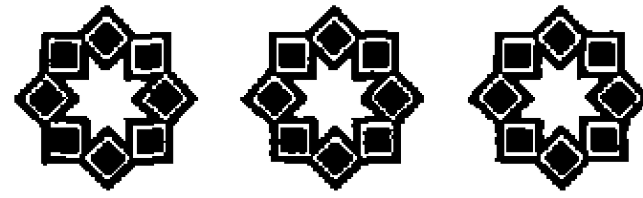
ولبعض شعراء دمشق أيضًا:

هَلَكَ الكُفرُ فِي الشَّامِ جَميعًا ... وَاستَجدَّ الإِسلامُ بَعدَ دحوضِه

بِالمليك المظفر الملك الأر ... وع سيف الإسلام عند نهوضه(٢)

ملك جاءنا بعزم وحزم ... فاعتززنا بسمره وبيضه

أوجب الله شكر ذاك علينا ... دائمًا مثل واجبات فروضه(٣)



(١) «البداية والنهاية» (ج ١٣ / ص ٢٥٥).

(٢) «ذيل مرآة الزمان» (ج ١ / ص ١٣٩).

(٣) «ذيل مرآة الزمان» (ج ١ / ص ١٣٩).

الفصل السادس

# المؤامرة ضد المسلمين في بلاد الأندلس

أخي المسلم بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على حقيقة العداء الذي تُكنه صدور النصارى ومَنْ شايعهم وعرفنا أن العاقبة للتقوى... هيا لنفتح صفحة أخرى من تاريخ المؤامرة على الإسلام والمسلمين هذه الصفحة في بلاد الأندلس التي بنى المسلمون فيها أجمل الحضارات.

ولكن كيف دخل الإسلام إلى تلك البلاد؟ وكيف خرجوا منها؟

## فتح الأندلس

كانت شبه الجزيرة الإيبرية «أسبانيا» تحت حكم الملوك القوط الذين هاجروا إليها من داخل أوربا وقد عانى الأسبان كثيرًا من ظلمهم وسوء إدارتهم، وقد كانوا يتحينون الفرص للتخلص منهم.

حانتْ الفرصة عندما جاء ملك القوط لذريق إلى الحكم بعد أن اغتصب الحكم من الملك الشرعي واغتاله. فقد طلب بعض الأسبان النجدة من موسى بن نصير الذي أرسل قائدًا شابًا مع جيش صغير من المسلمين. كان هذا القائد هو طارق بن زياد الذي وطأت أقدامه وجيشه أرض الأندلس في شهر رجب ٩٢ هـ «٧١١م» عند المضيق المسمى باسمه لهذا اليوم «جبل طارق»..

استطاع المسلمون من هزيمة لذريق وقتله، وتشتيت جيشه بصورة تامة، وبهذا بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد وبدأت حقبة جديدة في تاريخ أسبانيا. لقد قابل الأسبان دخول الجيش الإسلامي بارتياح وترحيب ظاهرين، إذ هم لاقوا الأمرين من ظلم وتعسف ملوك القوط السابقين.. ولم تمضِ فترة قصيرة إلا وكان المسلمون يُسيطرون

على معظم البلاد الأسبانية واخترقوا جبال البايرينز إلى جنوب فرنسا إلا أنهم خسروا معركة بلاط الشهداء مع شارل مارتل ملك الإفرنج، وبهذا توقف الزحف الإسلامي إلى قلب أوروبا بسبب فتنة عمياء لاقتسام الغنائم بين العرب والبربر حيث قتل في تلك المعركة القائد المسلم عبد الرحمن الغافقي عندما اضطرب الجيش الإسلامي، وتقهقر أمام ضربات الإفرنج الذين استعادوا الهجوم واستغلوا الفرصة أحسن استغلال.

لم تكنْ سيطرة المسلمين على أسبانيا كاملة تمامًا إذ بقيت جيوب صغيرة للأسبان في الشمال والشمال الغربي في المناطق الجبلية الوعرة كانوا ينفذون منها للهجوم والتخريب. لم يدرِ في خلد المسلمين الفاتحين أن هذه الجيوب الصغيرة سوف تكون نواة لممالك الأسبان مستقبلًا لينطلقوا منها في التهام ممالك الإسلام في أسبانيا الواحدة تلو الأخرى عندما ضعف المسلمون، ولم يكنْ طموح الأسبان لينتهي إلا بطرد المسلمين بصورة نهائية كما سوف نرى.

على مرّ السنين دَخَلَ الكثير من الأسبان في الإسلام، وكثر التزواج بين الفاتحين والأسبان بحيث نشأ جيل كبير من المولودين الذين يحملون في عروقهم دماء أسبانية إضافية إلى الدماء العربية والبربرية، وقد ارتقى الكثير منهم في مناصب الدولة العالية مثل: ابن حزم الأندلسي الذي اعتنق جده الإسلام.

لقد نشأتْ تركيبة اجتماعية وعرقية خاصة في الأندلس كانت سببًا في نشوء الفتن والاضطرابات التي كانت تؤججها سوء الإدارة أحيانًا. فكان هناك العرب والبربر والأسبان، والعرب انقسموا بدورهم إلى قيسية ويمانية مع ما رافقها من فتن كبيرة وكان هناك البربر والتنافس التقليدين بينهم وبين العرب، وكان الأسبان بقسميهم المسلم والمسيحي إضافة إلى المهجنين.

كانت هذه التركيبة العرقية والاجتماعية نواة فيما بعد لممالك الطوائف المتناصرة، والتي انتهت بفنائها جميعًا كما سنرى خلال البحث.

## الحكم الأموي المباشر في الأندلس

دخلتْ الأندلس المرحلة الثانية من تاريخها السياسى عندما قوضت أركان الخلافة على بني أمية في دمشق حيث هزم آخر خلفائهم مروان بن محمد أمام جيوش العباسيين في معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ.

وولى هائمًا على وجهه وكأنَّ الأرض لا تسع لهربه بما وسعت ليلقى حتفه على يد العباسيين، ولتبدأ مرحلة دموية كان الأمويون وقودها حيث أذاق بنو العباس الأمويين حر الحديد وبأس السيف، وجرعوهم مرارة الذل والهوان، وشردوهم وراء كل حجر ومدر.. نجا من تلك المذابح شاب أموي اسمه عبد الرحمن استطاع عبور الفرات وهرب إلى شمال إفريقيا، وبمساعدة أخواله البربر استطاع العبور إلى الأندلس. استطاع عبد الرحمن المقلب«الداخل» من تأليف القبائل اليمانية التي كانت ناقمة على هيمنة القبائل القيسية، وبمساعدة البربر استطاع أن يخضع الأندلس لسيطرته، وأن يبايعوه أهل الأندلس أميرًا عليها سنة ١٣٨ هـ«٧٥٥م».

حاول الخليفة أبو جعفر المنصور عبثًا إخضاع عبد الرحمن الداخل حيث استطاع عبد الرحمن هذا «الذي لقبه المنصور بلقب صقر قريش، أن يهزم جيش المنصور، وأن يبرد برؤوس قادة الجيش إلى المنصور لتصله إلى مكة أثناء موسم الحج».

اتخذ عبد الرحمن قرطبة عاصمة له، وبدأ ببناء وتوسعة مسجدها الشهير فدخلت قرطبة مرحلة مزدهرة أصبحت معها فيما بعد محط الأنظار ومهد الحضارة.

استمرت السلالة الأموية في حكم الأندلس حيث بلغت أوج حكمها في زمن عبد الرحمن الثالث الذي دام حكمه لأكثر من خمسين عامًا، وامتد سلطانه إلى شمال إفريقيا وليقهر الأسبان، وليجعل من أسبانيا قبلة الأمصار وعروس أوروبا. إليها تشدّ

الرحال لطلب العلم والأدب والفنون، وحتى صارتْ اللغة العربية هي لغة العلم حتى في أوروبا.

بدأ حكم عبد الرحمن الثالث في سنة ٣٠٠ هـ وانتهى عام ٣٥٠ هـ، واستطاع أنْ يخلع على نفسه لقب أمير المؤمنين، وسُمى نفسه الناصر لدين الله وبهذا أصبحت دار الإسلام يحكمها ثلاثة خلفاء«الأموي والعباسي والفاطمي» في آنٍ واحد.

وقد توسعت قرطبة في عصره ليبلغ عدد سكانها النصف مليون تقريبًا، وقد بدأ الناصر ببناء مدينة الزهراء التي استمر بناؤها ١٧ عامًا ليجعلها مدينته المفضلة وهي تبعد عن قرطبة عدة أميال، ولكن لم يمهل الزمن مدينة الزهراء هذه طويلًا إذ قد دمرت بعد خمسين سنة تقريبًا في فتنة البربر الشهيرة.

تُوفي الخليفة الناصر سنة ٣٥٠ هـ فخلفه ولده الحكم الثاني الذي حكم لغاية سنة ٣٦٦ هـ والذي اشتهر بحبه للعدل والعلم والحكمة. وقد بلغت جامعة قرطبة في عصره منزلة علمية عالية جعلتها في مصاف جامعة الأزهر في القاهرة والمدرسة النظامية في بغداد.

لما حضرت الحكم الوفاة نظر وهو على فراش الموت إلى ولده الصغيرة نظرة أسى وحزن وكأنه علم بما سيكتنف أرض الأندلس من فتن مضطربة بعده، كان ولده لا يجاوز أحد عشر عامًا فأوصى له بالخلافة ولقبه«هشام الثاني» وجعل عليه وصيًا وزيره الحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور، والذي لم يكن عند حسن ظن سيده، إذ سرعان ما استحوذ على كل مراكز القوى، وتخلص من منافسيه الواحد تلو الأخر بالقتل والاغتيال، وقلص من نفوذ هشام الثاني الذي جعله لا يغادر القصر وصيّره خليفة بغير سلطان.

جمع المنصور هذا قدرة إدارية كبيرة وكفائة عسكرية عالية يُخالطها الكثير من الحنكة السياسية وميل إلى البطش والتنكيل.. خاض المنصور مع النصارى الأسبان عدة معارك أثبت فيها نفسه شبحًا مرعبًا للأسبان تتحدث به كتبهم لحد الآن، وفي إحدى المعارك استولى على كنيسة سنتياغو، وجعل الأسرى الأسبان يحملون الأجراس على ظهورهم لمسافة ٤٠٠ ميلًا إلى قرطبة.

وبموت الحاجب المنصور سنة ١٠٠٢م بدأ الهبوط السريع لحكم الإسلام في الأندلس فلم يمضِ إلا وقت قصير حتى اندلعتْ فتنة البربر الذين دمروا مدينة الزهراء رائعة المدن في الأندلس، وتعاقب على الخلافة الأموية خلفاء ضعفاء لم يتركوا أثرًا يذكر إلا شيئًا أدبيًا خالدًا ألا وهو غرام الشاعر ابن زيدون«بالولادة» بنت الخليفة المستكفي التي عافت حياة الحريم، وكانت على درجة كبيرة من الأدب والعلم فأغرم بها الشاعر ابن زيدون الذي انتهى أمره معها بالفراق فخلدها بقصيدته الرائعة:

أَضحى التَّنائِي بَديلًا مِنْ تَدانينَا ... وَنَابَ عَنْ طِيبِ لقيَانَا تَجافينَا

بَنتُم وَبِنَّا فما ابتُلتْ جَوانحُنا ... شوقًا إليكم وَلا جَفتْ مَاقينَا

بالأمسِ كُنَّا وَمَا يَخشى تَفرقُنا ... وَالآن نَحنُ وَما يُرجَى تَلاقينَا

يَاجنّة الخُلدِ بَدَّلنا بَسلسلِها ... وَالكوثرُ العذبُ زقومًا وغَسلينَا

## ملوك الطوائف

بعد إلغاء الخلافة الأموية في قرطبة انفرط عقد دولة الأندلس الإسلامية وعادت الصراعات والأطماع القديمة إلى الظهور، وانقسمت الدولة إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة التي قد لا يتجاوز الواحدة منها مساحة المدينة الواحدة وما حواليها، وانحسرتْ عظمة قرطبة، وصارت تابعة فيما بعد لسلطات إشبيلية التي ملكها بنو عاد.. كانت دويلات الطوائف هذه متحاربة فيما بينها لا يجمعها جامع من دين أو عصبية أو مصلحة

مشتركة فكان من المستحيل على مثل هذه الدويلات الاتحاد ضد خطر الأسبان الزاحف من الشمال ولكن على الرغم من التفكك الإداري والعسكري الذي أصاب الأندلس فإن هذه الفترة كانت من أخصب فترات الحضارة الإسلامية في تلك الربوع فقد ازدهر الأدب والفن، وترعرعت الفلسفة ونشطت حركة الترجمة فلابد أن نذكر أن ابن رشد وابن طفيل وعبد الله بن ميمون والمعتمد بن عباد كانوا أبناء عصر الطوائف.. كان الكثير من ملوكها على قدر كبير من الأدب والعلم كالشاعر بن عباد صاب إشبيلية والمظفر بن أفطاس الذي أَلَّف كتابًا في التاريخ بخمسين جزءًا سماه كتاب المظفري!

على أنَّ ازدهار ممالك الطوائف لم يمنع سقوطها تجاه زحف الأسبان فكانت تلك الممالك كزهور الربيع الطرية التي هبتْ عليها الحصباء فصارت كالهشيم.

لقد تناسى أولئك الحكام المتصارعون التحذير القرآني ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾.

وغاب عنهم أن مَنْ نام لم ينم عنه فكان أملهم الوحيد تجاه قوة الأسبان في الشمال«مملكة قشتالة» هو الاستعانة بإخوانهم في الشمال الإفريقي.

كانت قد نشأت في المغرب العربي دولة قوية ناشئة من البربر الذين أسلموا حديثًا وسموا أنفسهم بالمرابطين، وكان ملكهم يوسف بن تاشفين الذي عبر المضيق المائي الفاصل لنجدة إخوانه في الأندلس وألحق بالأسبان هزيمة منكرة في معركة زلاقة الشهيرة حيث لم يعد من جيش الأسبان البالغ ٦٠ ألف سوى بضع مئات لاذوا بالفرار مع ملكهم الفرنسو السادس.

وتنفستْ ممالك الطوائف الصعداء ولو لفترة قصيرة.. كانت إشبيلية يحكمها المعتمد بن عباد الشاعر المشهور، والذي دبّ الخلاف بينه وبين يوسف بن تاشفين فنفاه يوسف هذا إلى المغرب في مدينة أغمات التي مات فيها فقيرًا مأسورًا.

وقد رثى نفسه بقصيدة مؤثرة مطلعها..

**فِيمَا مَضَى كُنتَ بِالأيام مَسرورًا فَجاءكَ العيدُ فِي أغماتَ مَأسورًا**

**تَرى بناتَك فِي الأطمارِ عاريةً يَطأنْ فِي الدِّين مَا يَملكنْ قطميرًا**

رجع يوسف بن تاشفين إلى الشمال الإفريقي، وتُوفي هناك فدبَّ النزاع بين سلالته وسلالة أخرى أنشأت لها دولة سُميت بدولة الموحدين والذين كانت لهم الغلبة أخيرًا واشتهر من ملوكهم السلطان يعقوب أبو يوسف الذي عبر إلى الأندلس بعد أن سمع بالتهديد الأسباني الجديد لنصارى قشتالة فاشتبك مع الأسبان في معركة دامية «معركة الأركوس» حيث خسر الأسبان معظم جيشهم وقد حاصر أبو يعقوب مدينة طليطلة حصارًا طويلًا فخرجت ملكة الأسبان وبناتها إلى السلطان ترجو منه فك الحصار، وقد تحرك قلب أبي يعقوب لهذه الجرأة وملئت قلبه الاريحية فأرجعها معززة مكرمة ومحملة بالهدايا والنفائس... وكان السلطان يعقوب هذا هو الذي بنى المأذنة وبرج المراقبة المسمى الجير الدا «Giraldo» والذي مازال يطل شامخًا في سماء إشبيلية. كان هذا السلطان يحترم العلماء والمفكرين وقد ضم بلاطه ابن رشد وابن طفيل وغيرهم من الأطباء ابن زهر وابن باجة.

عزم السلطان يعقوب على الرحيل إلى الشمال الإفريقي حيث قرر مغادرة الأندلس تاركًا طوائفها لقسوة القدر وفتك الأسبان الذين سرعان ما أعادوا تنظيم جيوشهم وزادوا من عدتهم وعديدهم بينما زاد التناحر والتحارب ممالك الطوائف ضعفًا على ضعف.. ولم يكن هناك عبر الساحل الإفريقي أبو يوسف يعقوب ليهب لنجدتهم فأصبحوا أمام مصيرهم المحتوم.

الذين هم سارعوا في تقريب ساعته إذ لا يعدم أن يرى المستطلع لتاريخ هذه الفترة استعانة المسلمين بالأسبان على إخوانهم المسلمين، وبالتالي صار الأسبان يضربون

بعض هذه الممالك ببعضها حتى إذا أبادوا أحدها التفتوا إلى الأخرى فتساقطت هذه الدويلات تباعًا فسقطت قرطبة وبلقيسة ومرسية وحوصرت إشبيلية لمدة ١٥ شهرًا من قِبل الأسبان وكان ممن اشترك في الحصار ابن الأحمر مؤسس دولة بني الأحمر في غرناطة وسيأتي ذلك اليوم الذي يلتهم الأسبان مملكته ولو بعد حين ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وأخيرًا فتحت إشبيلية أبوابها للأسبان فبدأت المجازر التي يعجز القلم عن وصفها ولم يستثنوا حتى الأطفال الرُّضع أو النساء أو الشيوخ.. وقد رثى الشعراء سقوط إشبيلية رثاءً مبكيًا كما في هذه الأبيات للشاعر موسى بن هارون:

فَكمْ أُسَارى غَدتْ فِي القَّيدِ مُوثقةٌ ... تَشكو مِنْ الذُّل أقدامًا لهَا خُطما

وَكمْ صريعٍ رضيعٍ ظلَّ مختطفًا ... عَنْ أمه فهو بالأمواج قَدْ فُطما

يَدعو الوليدُ أباه وهو في شغلٍ ... لَا يرجعُ الطَّرفُ إنْ حاولتهُ الكما

فَكمْ تَرىَ والهًا فِيهم وَوالهةً ... وَآخرينَ أسوى خَطبِهم عَظمًا

لابد أن نذكر هنا أن السقوط المتسارع لممالك الطوائف هو نتيجة لمعركة العقاب التي دارتْ رحاها في سنة ٦٠٩هـ «١٢١٢م» بين الأسبان، ومَنْ ساندهم من الصليبيين العائدين من أرض الشام بعد طردهم من قبل صلاح الدين، وبين جيش السلطان محمد بن يعقوب أبي يوسف الذي عبر إلى الأندلس لتأديب الأسبان إلا أن تعسفه وسوء إدارته أدت إلى انفضاض مسلمي الأندلس عنه عند أول هجوم للأسبان في تلك المعركة فمنهم مَنْ هرب ومنهم مَنْ انضم إلى الأسبان.

وكانت هزيمة ساحقة للمسلمين كما وأصبحت بالتالي بداية النهاية لدويلات الطوائف كما ذكرناه آنفًا.. ومرة أخرى تناسى المسلمون تعليم قرآنهم فكانت النتيجة وبالًا عليهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

## مملكة غرناطة وسلالة بني الأحمر

في تلك المرحلة الدامية العصيبة التي مرتْ بها دويلات الطوائف ظهر متنافسات قويان رئيسيان هما محمد بن الأحمر وابن هود، وكان قد بلغ العداء بينهما على أشده بحيث استعان ابن الأحمر على خصمه بالأسبان، وتنازل ابن هود بدوره عن ثلاثين من قلاع المسلمين للأسبان رغبة في مساندة الأسبان له ضد ابن الأحمر. كان حظ ابن هود أقل من حظ خصمه إذ استطاع أن يهزمه الأسبان ويموت أخيرًا بالسم بينما استطاع ابن الأحمر هذا الذي اشترك في حصار إشبيلية كما ذكرنا، من بسط سلطانه ودعمه في جنوب الأندلس فاستولى على غرناطة عاصمة لملكه، التي قد تضخم عدد سكانها فبلغوا ٢٠٠ ألفًا بسبب نزح الهاربين إليها من مجازر الأسبان وكانت تقع في موقع حصين في واد فسيخ تحيط به الجبال وتتوفر فيها المياه العذبة وبسبب جهود الغرناطيين، وخبرتهم تحول ذلك الوادي إلى حدائق غنّاء تنتج الغذاء الوفير مما جعلها موضع حسد من قبل النصارى الأسبان يتحينون الفرص للإيقاع بها وابتلاعها كما سنرى فيما بعد. كان أسلاف ابن الأحمر ينتمون إلى سلالة بني نصر وهم من الأنصار من الخزرج بالذات وكان أسلافه ممن خدموا السلالة الأموية في غرناطة وأبلوا بلاء حسنًا في الحروب .. بدأ محمد بن الأحمر ببناء قصره الحمراء على قمة تل كان موقعًا لحامية عسكرية مسلمة «القصبة» فجلب إلى هذا الموقع المياه بواسطة قنوات عميقة داخل الأرض من الجبال المحيطة واتسع البناء وضم ٤٠ ألف وقد تعاقب سلاطين بني الأحمر على عمارة قصر الحمراء وتوسعته والعناية بحدائقه البهيجة حتى صار

أعجوبة في الفن المعماري لهذا اليوم أصبحتْ غرناطة آخر معقل للإسلام في الأندلس وازدهرت فيها العلوم والفنون والآدب والفلسفة وكان سلاطينها يشجعون هذه النهضة ويرعونها ويجودون عليها بالغالي والنفيس.. وازدهرت الزراعة عبر موانئها الجنوبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ففيها عاش لسان الدين بن الخطيب وقضى ابن خلدون بعض الوقت من عمره في بلاط بني الأحمر... واستطاعت غرناطة أنْ تصمد لقرنين آخرين من الزمان حتى سقوطها سنة ١٤٩٢م.

## سقوط غرناطة

إنَّ صمود غرناطة لهذا الزمن الطويل يرجع لعدة أسباب منها منعة غرناطة وحنكة سلاطين بني الأحمر السياسية وصراعات الأسبان الداخلية.

كانتْ ممالك الأسبان الرئيسية هي قشتالة والأراكون «وليون التي ضمن إلى الأراكون» إنه لمن سوء غرناطة أن يتم التصالح بين قشتالة والأراكون بزواج ملكة قشتالة إيزابيلا من ملك الأراكون فرديناند وبهذا توحدت ممالك الأسبان وبرزت أسبانيا المسيحية كدولة فتية قوية كان هدفًا مشتركًا بينهما أن يقضي فرديناند وإيزابيلا على غرناطة بصورة نهائية..

كانت إيزابيلا متعصبة لمسيحيها إلى حد الهوس وكانت ترى أن رسالتها أن تطهر أرض أسبانيا من الكفرة في نظرها، وكان يساعدها على ذلك صرامة شديدة وقلب قاسي لا يلين. أما زوجها فرديناند فهو ضب لا يرى ضيرًا أن يكتب عهدًا بيمنيه لتنقضها شماله.

وبينما كان البلاط الأسباني سائرًا في طريق الوحدة كان بلاط بني الأحمر مسرحًا ن والدسائس والمؤامرات التي أدت إلى قتل بعضهم البعض.

اقتربت نهاية غرناطة عندما اعتلى السلطان على أبو الحسن ابن الأحمر عرش غرناطة وكان أبو الحسن شجاعًا مقدامًا، ولكن يُخالط شجاعته مزاج حاد وطبيعة نارية تبلغ درجة التهور والطيش غير عابئ للعواقب وكان أبوه قد شخص ضعف غرناطة أمام الأسبان فآثر السلامة ورضى أن يدفع لملك الأسبان ضريبة سنوية لإرضائهم.. أما أبو الحسن هذا فعندما طولب بالضريبة. أجاب الأسبان: أن ليس عنده إلا السيف، وأعقب كلامه بالفعل فهجم على حامية أسبانية قريبة واحتلها وطرد منها الأسبان.

وجد فرديناند وإيزابيلا فرصتهم الذهبية لتحقيق حلم أسلافهم بالقضاء على هذا المعقل الحصين للإسلام.

وقد ساعدهم على ذلك حصول فتنة كبيرة في البلاط الملكى في غرناطة إذ أن أبا الحسن كان قد تزَّوج من ابنة عمه عائشة أو «فاطمة» التي ولدتْ له ابنه أبو عبد الله المقلب «الصغير» وكان لأبي الحسن زوجة أسبانية جميلة كانت المفضلة عنده حيث ولدت له طفلين وأراد أن يجعل الملك لهما من بعده.. حدثت الفتنة داخل القصر بين أبي عبد الله الصغير مدفوعًا من أمه عائشة وبين أبيه كان للأسبان يد فيها.. ويلف الغموض أحداث هذه الفترة إلا أن المعروف أن أبا الحسن ترك غرناطة متجهًا إلى المرية عند أخيه المقلب «الزغال» لشجاعته وبأسه وهناك توفى أبو الحسن فاندلعت الفتنة بين الزغال وابن أخيه أبي عبد الله الصغير انتهت بأن يقسم الاثنان المملكة بينهما فيكون للزغال مالقة والمرية وجنوب غرناطة يكون الباقي لأبي عبد الله.

قرر فرديناند تصفية الخصمين كلًا على حدة، وكان أبو عبد الله قد ارتبط بمعاهدة صداقة مع فرديناند.. فبعث فرديناند جيشًا كبيرًا لمحاصرة مالقة لعدة شهور أصابت المجاعة أهلها ببلاء عظيم واستبسل سكانها في الدفاع عن مدينتهم.. وقد أرسل الزغال جيشًا من المرية لنجدة مالقة، ولكن قطع الطريق عليه قوة عسكرية أرسلها أبو عبد الله ..

انتصارًا للأسبان!! ولم يجد هذا الخسيس ضيرًا أن يرسل رسالة تهنئة إلى فرديناند بسقوط مالقة فيما بعد.

أخيرًا استسلمت مالقة للأسبان وبدأت المجازر التي راح ضحيتها الطفل والشيخ والمرأة على حد سواء.. لقد سجل الأسبان صفحة سوداء أخرى في تاريخهم في مالقة حفظتها كتب التاريخ.

أبدى الزغال شجاعة نادرة في مناوراته مع الأسبان، وحقق انتصارات لا بأس بها عليهم، ولكن الكفة رجحتْ أخيرًا لصالحهم فلم يجد بُدًا من الاستسلام فأعطى بعض المال ونفى إلى أرض وهبها له فرديناند.

ولكن بقاءه في الأندلس لم يعد مرغوبًا فيه فأمر أخيرًا بالرحيل فعبر إلى فاس في مراكش وهناك اتهم بالخيانة والجبن وصودرت أمواله وفقأت عيناه وسجن ثم أخرج من السجن ليبدأ بالتسول في شوارع فاس وليموت البطل أخيرًا كسير القلب مجروح الفؤاد على الرغم من استماتته في الدفاع عن معقل الإسلام الأخير في الأندلس.

ودارت الأيام على أبي عبد الله.. فلم يمض إلا وقت قصير حتى طلب فرديناند من أبي عبد الله تسليم غرناطة فورًا.. أسقط في يد أبي عبد الله ولم يجد الغرناطيون بدًا من الدفاع عن مدينتهم والاستماتة في سبيلها.

وهكذا فقد بدأ حصار غرناطة في خريف سنة ١٤٩١م بعد أن سبقه تدمير الحقول والمروج والبساتين في وديان غرناطة الخضراء استمر الحصار لبضعة شهور كانت تكثر خلاله المناوشات والمبارزات بين فرسان المسلمين والأسبان كانت الغلبة في معظمها لفرسان الإسلام حتى خشى فرديناند على فرسانه من الإبادة فأمر بإيقاف المبارزة بين الطرفين وضيّق بدلها الحصار حتى تفشت المجاعة في داخل غرناطة.

وهناك بدأ أبو عبد الله الصغير مفاوضاته سرًا لتسليم غرناطة وفك الحصار عنها على شروط عديدة.

وفي صباح يوم الثالث من كانون الثاني ١٤٩٢ استيقظ الأسبانيون على إطلاقات المدافع من قصر غرناطة، وإذا بهم يرون الصليب منتصبًا على قصبته فها قد تم الاستسلام وأُعطيتْ المفاتيح لفرديناند وإيزابيلا، وبهذا انهزم هلال التوحيد أمام صليب الشرك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت شروط تسليم غرناطة للأسبان تقضي للمسلمين بحرية الدين واللغة.. كما أنَّ للمسلمين الحق في المحافظة على أموالهم وتقاليدهم، وأن تحسم قضاياهم من قبل قضاة مسلمين وكذلك السماح للمؤذنين بالأذان في أوقات الصلاة. ويمُنع المسيحيون من دخول بيوت المسلمين من غير أذن.. الخ، لقد استنام الغرناطيون لهذه العهود والمواثيق التي قطعها الأسبان لهم والتي كانت مخدعة الصبى عن اللبن أو الفطام.. فلم يعرف الأسبان أبدًا أنهم حافظوا على عهد سابق أبدًا. كان هناك صوت رافض لهذه الشروط لفارس من فرسان غرناطة الشجعان واسمه موسى الذي خطب في قومه قبل الاستسلام محذرًا إياهم من مغبة الاستنامة لوعود الأسبان ولما لم يجد أذنًا صاغية غادر قومه قائلًا: «أنّه يفضل الموت بالسيف على أن يموت صبرًا بيد لئام الأسبان أو يُجرع الذل والهوان على يد الشرك». وعندما خرج موسى من غرناطة اعترضته قوة من فرسان الأسبان فدارت معركة غير متكافئة قتل فيها عدة منهم وسقط أخيرًا من على فرسه مثخنًا بالجراح فقاتل بسيفه قائمًا على ركبتيه، ولما تكاثر الأسبان عليه ليفتكوا به رمى بنفسه من علو إلى النهر، ولما كان مثقلًا بالدروع غاص موسى إلى قاع النهر ولم يعثر عليه على أثر فضرب هذا الفارس المثل الأعلى في الإباء والعزة والكرامة والشجاعة.

وقد صدق حدس موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلم يمض وقت قصير إلا والعهود تنكث الواحد تلو الآخر من قبل الأسبان حتى لم يبق منها شيء يذكر وإذا بالمرحلة العصيبة الأخرى تمر على مسلمي الأندلس لتسدل الخاتمة على هذا التاريخ إلى يومنا هذا.

## مرحلة ما بعد السقوط

بدأ التعسف والاضطهاد مباشرة بعد سقوط غرناطة، وبدأت حملات التنصير الإجبارى للمسلمين. ولكن الأسبان لاحظوا أن هؤلاء غالبًا ما كانوا يظهرون المسيحية ويبطنون الإسلام، وبدأت محاكم التفتيش بمحاكمة وحرق من يشتبه فيه التنصير الظاهرى فراح الكثير ضحايا هذه المحاكم التي أمرت بأنشائها الملكة إيزابيلا لتلتهم اليهود والمسلمين وفيما بعد حتى النصارى الذين يشك في ولائهم المطلق للكنيسة الكاثوليكية فاقترنت إيزابيلا بمحاكم التفتيش هذه في التاريخ فكانت سنة سيئة عليها وزرها ووزر من عمل بها.. إيزابيلا هذه التي سمّاها شكسبير شاعر الإنكليز «ملكة ملكات الأرض» وهي نفسها التي يبحث الفاتيكان الآن في شأن رفعها إلى مستوى القديسة.. هذه هي التي كانت سببًا في إبادة شعبين مسلمين، المسلم في الأندلس والهنود الحمر في أميريكا التي عبر إليها كولمبس مبحرًا من إشبيلية بأموال الغنائم التي غنمها الأسبان من غرناطة وبأمر من إيزابيلا وزوجها فرديناند..

في سنة ١٥٠٢م صدر مرسوم ملكي يقضي بأن يُمنح المسلمون شهرين فقط لا غير لاعتناق المسيحية أو الطرد النهائي فشهدت ساحات غرناطة إحراق ٨٠ /٠٠٠ من الكتب العربية والتنصير الإجباري للمسلمين من نزلاء حى البيازين المقابل لقصر الحمراء.

وفى سنة ١٥٦٦م صدر مرسوم ملكي آخر يقضي بمصادرة الكتب العربية ومنع التكلم بالعربية ومنع الحجاب بالنسبة للمسلمات، وغلق الحمامات العامة ومنع الزي الإسلامي والاستعاضة عنه بالزي الأسباني وتغيير الأسماء العربية إلى الأسبانية.

كان هذا فوق طاقة تحمل المسلمين فاندلعتْ ثورة عارمة في غرناطة، وفي منطقة جبال البشارات التي التجأ إليها الألوف من المسلمين استمرت هذه الثورة لثلاث سنوات متتالية..

ارتكب فيها الأسبان أبشع الجرائم فأحرقت الكهوف على ساكنيها في جبال البشارات، وقتل فيها الأطفال والشيوخ والنساء.. كان مدبر هذه الحملة على هؤلاء المقهورين البائسين هو «الأمير دون جون» الابن اللقيط للإمبراطور كارلوس الخامس، فلم تهز قلب هذا اللقيط أنات الأطفال والنساء وهم يقتلون ويحرقون أمام ناظريه بالألوف، فنال هذا اللقيط مكانة بجدارة في التاريخ بين سفاحي ومجرمي البشرية الجديرين بلعنة الله واللاعنين!

يقول: أبو البقاء الرندي:

تَبكِي الحنيفيةُ البيضاءُ مِن أسفٍ ... كَما بَكى لِفراقِ الإلفِ هَيمانُ
عَلى ديارٍ مِنْ الإسلامِ خاليةٍ ... قَدْ أقفرتْ وَلها بالكفرِ عُمرانُ
حَتى المحاريبِ تَبكِي وَهي جامدةٌ ... حَتى المنابرِ تَرثِي وَهي عيدانُ
يَا غَافلًا وَلهُ فِي الدهرِ موعظةٌ ... إنْ كنتَ فِي سنةٍ فَالدهرُ يقظانُ
تِلك المصيبةُ أنستْ مَا تقدَّمها ... وَمَا لها مِن طُولِ الدَّهرِ نسيانُ
يَا راكبِين عُتَّاقِ الخَّيلِ ضامرةً ... كَأنَّها فِي مَجالِ السَّبقِ عُقبانُ
وَحَاملِينَ سيوفِ الهِّند مُرهفةً ... كأنَّها فِي ظلامِ النقعِ نِيرانُ
وَراتعِينَ وَراء البحرِ فِي دعةٍ ... لهم بِأوطانِهم عزٌّ وسلطانُ

بالغ المسلمون في كتمان دينهم عن الأسبان، وقد أطلق عليهم الأسبان «المورسيكيون» في النصارى الذين أبطنوا الإسلام فكانت الوفود السرية تتوالى على المسلمين من شمال إفريقيا ناقلة الفتاوى والتشريعات التي تعلمهم كيف يُحافظون

على دينهم في ظل هذا الكبت والكتمان.. إلا أن ذلك لم يكن ليستمر طويلًا.. ففي سنة ١٦١٢م كانت خاتمة الإسلام في الأندلس حيث أجبر المسلمون على الرحيل ومغادرة البلاد فغادر الكثير منهم ومات الكثير منهم في الطريق إلى شمال إفريقيا وحمل بعضهم مفاتيح بيوتهم في غرناطة على أمل العودة يومًا ما، واستقر الكثير منهم في فاس والرباط وغيرها من مدن الشمال الإفريقي.. كانت هذه الهجرة هي الأخيرة وقد قدر عدد النازجين بين نصف مليون والمليون وبعضهم يصل بالعدد إلى ٣ ملايين، وهكذا أسدل الستار على شعب مسلم عظيم عمّر أرض أسبانيا وأرسى فيها حضارة عظيمة كان محط أنظار العالم في القرون الوسطى.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

ولم تنج أسبانيا من العدالة الإلهية فإذا إمبراطوريتها التي امتدت في أوربا والأمريكيتين تنهار سريعًا وتحولت أسبانيا إلى أرض جدباء وسارعت الخطى إلى عصور الظلام بينما دخلت مثيلاتها الأوربيات في عصور النهضة.. وبقيت أسبانيا تغط في نومها العميق إلى أن تململت أخيرًا في أواخر القرن العشرين بعد أن دخلت وأختها البرتغال السوق الأوربية المشتركية!!

ففي القرن الثامن وبالتحديد في العالم ٧١١م، وصل المسلمون إلى أسبانيا، وفى السنة التالية أكملوا بسط سيطرتهم عليها، وأسموها «الأندلس». وظلت خاضعة للدولة الأموية ٣٩ سنة، وبلغت ذروة مجدها في أيام عبد الرحمن الداخل. وبدأ بعد ذلك التراجع، حيث سادت صفوفهم الفرقة والانقسام، وأنهكتهم الصراعات الداخلية. فاغتمنت الممالك الأوربية المحيطة بتلك الأوضاع، وأخذت تحتل مدن المسلمين الواحدة تلو الأخرى، إلى أن سلم السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس إلى ملكي قشتالة وآرغون الزوجين فرديناند وإيزابيلا اللذين أطلقت عليهما

الكنيسة اسم الملكين الكاثوليكيين، لإخلاصهما الديني، ولدورهما في رعاية الكثلكة في أسبانيا بمباركة الكنيسة وتشجيعها لتستأصل المسلمين واليهود من أسبانيا.

فبعد توقيع ابن الأحمر معاهدة الاستسلام مع الملكين الكاثوليكيين بتاريخ ٢٥ نوفمبر / تشرين الثاني ١٤٩١م التي تضمنت ٢٧ مادة، تحدد أولاها ضرورة تسليم غرناطة قبل ٢٥ يناير / كانون الثاني ١٤٩٢م للملكين الكاثوليكيينن، وتضمنت المواد الأخرى حقوق المسلمين في الأندلس بعد انضوائهم تحت حكم القشتاليين.

قام السلطان أبو عبد الله ورجاله بتسليم غرناطة«في يوم ٢ يناير / كانون الثاني ١٤٩٢م» قبل التاريخ المتفق عليه. وتسلم الكاردينال مندوسة مفاتيح الحمراء من يد الوزير ابن كماشة.

وحول مسجد غرناطة الأعظم إلى كاتدرائية، ثم بدأت الكنيسة بتنظيم فرق لتنصير المسلمين، والضغط بالوعد والوعيد على وجهاء المدينة وفقهائها ليتنصروا، حتى تم تعميد جميع الأهالي بالقوة بين العامين ١٥٠٠-١٥٠١م.

ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلى كنائس. وفي يوم ١٢ أكتوبر / تشرين الأول ١٥٠١م صدر مرسوم آخر بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية، فأحرقت آلاف الكتب في ساحة الرملة بغرناطة، ثم تتابع حرق الكتب في جميع مدن وقرى مملكة غرناطة.

كما صدر أمر بمنع استعمال اللغة العربية، ومصادرة أسلحة الأندلسيين الذين أصبحوا يسمونهم بالموريسكيين، ويُعاقب المخالف لأول مرة بالحبس والمصادرة، وفى الثانية بالإعدام.

وفي العام ١٥٠٨م جددت لائحة ملكية بمنع اللباس الإسلامي. وفى العام ١٥١٠م طبقت على الموريسكيين ضرائب خاصة اسمها«الفارضة». وفى العام ١٥١١م

جددت الحكومة قرارات بمنع السلاح، وحرق المتبقي من الكتب الإسلامية، ومنع ذبح الحيوانات.

وفي العام ١٥٢٣م صدر مرسوم جديد يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه وإخراج كل من أبى التنصير، وعقاب كل مَنْ خالف الأمرين بالرق مدى الحياة.

وفي ٣٠ يناير / كانون الثاني ١٦٠٨م قرار مجلس الدولة بالإجماع طرد الموريسكيين «مسلمي أسبانيا» من الأراضي الأسبانية.

وفي مايو / أيار ١٦١١م صدر قرار للقضاء على المتخلفين من المسلمين في بلنسية، يقضي بإعطاء جائزة ستين ليرة لكل من يأتي بمسلم حي وله الحق في استعباده، وثلاثين ليرة لمن يأتي برأس مسلم قتل.

ونشطت محاكم التفتيش في غرناطة في ملاحقة المتهمين بالإسلام، إلى أن طلبت بلدية المدينة من الملك سنة ١٧٢٩م طرد كل الموريسكيين حتى تبقى المملكة نقية من «الدم الفاسد».

وقد تعسفتْ محاكم التفتيش في أعمال التعذيب والإعدام، حيث كانتْ تحرق أحيانًا المتهمين بصورة جماعية في مواكب الموت، وأحيانًا تحرق عائلات بأكملها بأطفالها ونسائها. وكانت تحاكم الموتى فتنبش قبورهم، وعندما أصدر البابا«أنوسنت» الرابع قراره المعروف بإباحة تعذيب المسلمين، حتى وإن ارتدّوا عن دينهم وأقروا باعتناق المسيحية. وكان التعذيب يجري بلا قواعد، حيث أُنشئتْ محاكم التفتيش لهذا الغرض.

وقد أصدر البابا «كليمنت الخامس» بعد ذلك قرار المراقبة جلسات التعذيب التي تقوم بها محاكم التفتيش جاء فيه:

«من أجل ألا يسيء الرهبان والقساوسة، والقضاء تنفيذ قرار البابا «أنوسنت» الرابع، المعروف باسم «قرار قانونية التعذيب»، وقرار البابا «جريجوري» التاسع الخاص

بالمهام الموكلة إلى محاكم التفتيش، نقرر بأن يشهد جلسات التعذيب مراقبون من رجال القضاء المدني، على ألا يقل عددهم في أي جلسة عن ثلاثة». وبالطبع كان رئيس محكمة التفتيش هو الذي يختار هؤلاء المراقبين.

## وصف دقيق لما كان يحدث في محاكم التفتيش

تقول الدكتورة سيجريد هونكة «في ٢ يناير ١٤٩٢م» رفع الكاردينال «دبيدر» الصليب على الحمراء، القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلانًا بانتهاء حكم المسلمين على أسباني وبانتهاء هذا الحكم ضاعتْ تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوربا طوال العصورُ الوسطى، وقد احترمتْ المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرمٍّ عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومَنْ يخالف ذلك كان يحرق حيًّا بعد أن يعذّب أشد العذاب[(١)].

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيا مسلم واحد يُظهر دينه.

لكن كيف كانوا يعذبون؟!!.. هل سمعت بدواوين التفتيش.. إن لم تكن قد سمعت فتعال أعرفك عليها.

## صفحة من تاريخ الأندلس «معركة الزلاقة»

سقطت طليطلة التي كان يحكمها بنو ذو النون الذين حكموها في فترة ملوك الطوائف بالأندلس مدة ٧٨ سنة في يد ألفونسو ملك قشتالة النصراني عام ٤٧٨هـ

(١) «القومية» (ص ١٧٤).

بمعاونة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، بعد أن حكمها المسلمون ثلاثمائة واثنين وسبعين عامًا، وأحدث سقوطها دويًا عنيفًا، واشتدت وطأة النصارى على المسلمين، وتوحدت جهود ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يحكم جليقية وجزاءًا من البرتغال، مع سانشو الأول ملك أراجون ونافارا، والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة وأورجل، وساروا بجيش مشترك وحاصروا مدنًا وقلاعًا واحتلوا قرى وأحرقوا أراضي كثيرة، وانتبه ابن عباد لخطئه بمعاونة النصارى فاجتمع مع أمراء الأندلس الآخرين في إشبيلية ثم في قرطبة، واتفقوا على أن يرسلوا سفيرًا إلى يوسف بن تاشفين سلطان دولة المرابطين في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا يلتمسون عونه وغوثه.

وجاءت وفود شعبية كثيرة لمدينة مراكش لنفس الغرض، فاستشار ابن تاشفين مجلسه حصونًا له، وسلم ابن عباد الجزيرة الخضراء للمرابطين، وقال لابنه: «أي بني! والله لا يسمع عني أبدًا أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم على اللعنة في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيرى»، وقال:«إن دهينا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر الملثمين نقب المرابطين، ولأن يرعى أولادنا جمالهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج»، وقال لبعض حاشيته لما خوفوه من ابن تاشفين: «تالله إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعًا لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية، إن رعى الجمال خير من رعى الخنازير».

وقبل ابن تاشفين الدعوة، ولما أنهى استعدادته أمر بعبور الجمال، وفى ربيع الأول من عام ٤٧٩هـ سار ابن تاشفين بجيشه من سبتة، وما كاد السفن تنشر قلاعها حتى هاج البحر فصعد إلى مقدمة السفينة، ورفع يديه نحو السماء، ودعا الله مخلصًا:«اللهم إن كنت أن في جوازي هذا خيرًا وصلاحًا للمسلمين فسهل على جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه»، فهدأ البحر، وجازت السفن سراعًا، ولما وصلت إلى شاطئ الأندلس سجد لله شكرًا.

وتسلم ابن تاشفين الجزيرة الخضراء، وأمر بتحصينها أتم تحصين، ورتب بها حامية مختارة لتسهر عليها، وشحنها بالأقوات والذخائر لتكون ملاذًا يلتجئ إليه إذا هزم. ثم غادرها جيشه إلى إشبيلية، وتعهد كل أمير من أمراء الأندلس أن يجمع كل ما في وسعه من الجند والمؤن، وأن يسير إلى مكان محدد في وقت معين، ولبث ابن تاشفين في إشبيلية ثمانية أيام حتى يرتب القوات وتتكامل الأعداد، وكان صائم النهار قائم الليل، مكثرًا من أعمال البر والصدقات، ثم غادر إشبيلية إلى بطليوس، في مقدمة الجيش الفرسان يقودها أبو سليمان داود ابن عائشة، وعددهم عشرة آلاف، ثم قوات الأندلس عليهم المعتمد بن عباد، ثم سار بعدهم بيوم واحد جيش المرابطين، ولما وصلوا إلى بطليوس أقام هناك ثلاثة ايام.

ولما سمع ألفونسو بمقدم المرابطين، وكان محاصرًا سرقسطة تحالف مع ملك أراجون، والكونت ريموند، فانضما إليه، وانضم إليه كذلك فرسان من فرنسا، وجاءته الإمدادات من كل صوب من ملوك أوروبا، وعمل الباباوات دورًا كبيرًا في توجيه النصارى وحثهم على القتال.

وكان جيش المسلمين ثمانية وأربعين ألفًا نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين، أما جيش ألفونسو فقد كان مائة ألف من المشاة وثمانين ألفًا من الفرسان، منهم أربعون ألفًا من ذوي العدد الثقيلة، والباقون من ذوي العدد الخفيفة.

وعسكر الجيشان قرب بطليوس في سهل تتخلله الأحراش، سماه العرب الزلاقة، وفرق بين الجيشين نهر صغير، وضرب ابن تاشفين معسكره وراء ربوة عالية، منفصلًا عن مكان الأندلسيين، وعسكر الأندلسيون أمام النصارى، ولبث الجيشان أمام بعضهما ثلاثة أيام راسل فيها ابن تاشفين النصارى يدعوهم للإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا الثالثة.

وتكاتب القائدان، ومما كتبه ألفونسو: «إن غدًا يوم الجمعة وهو يوم المسلمين، ولست أراه يصلح للقتال، ويوم الأحد يوم النصارى، وعلى ذلك فإني أقترح اللقاء يوم الاثنين، ففيه يستطيع كل منا أن يجاهد بكل قواه لإحراز النصر دون الإخلال بيوم»، فقبل ابن تاشفين الاقتراح، ومع هذا تحوط المسلمون وارتابوا من نيات ملك قشتالة، فبعث ابن عباد عيونه لترقب تحركات معسكر النصارى، فوجدوهم يتأهبون للقتال، فارتدوا مسرعين لابن عباد بالخبر، فأرسل الخبر إلى ابن تاشفين يعرفه غدر ألفونسو، فاستعد، وأرسل كتيبة لتشاغل ألفونسو وجيشه.

خطط المرابطون تخطيطًا جيدًا، إذ اتخذوا الجزيرة الخضراء خطأ للرجعة، وحينما احتفظوا بقوة احتياطية تحتوي على أشجع الجنود للانقضاض في الوقت المناسب على الأعداء، وحينما قاتل جيشهم بنظام متماسك أربك النصارى، وهو نظام الصفوف المتراصة المتناسقة الثابتة، وكان النصارى معتادين على القتال الفردي.

تهيأ الطرفان للمعركة، وسير ألفونسو القسم الأول من جيشه بقيادة جارسيان وردريك لينقض بمنتهى العنف على معسكر الأندلسيين الذي يقوده المعتمد، آملًا في بث الرعب في صفوف المسلمين، ولكنهم وجدوا أمامهم جيشًا من المرابطين قوامه عشرة آلاف فارس بقيادة داود ابن عائشة أشجع قادة ابن تاشفين، ولم يستطع ابن عائشة الصمود لكثرة النصارى وعنف الهجوم، لكنه استطاع تحطيم عنف الهجمة، وخسر كثيرًا من رجاله في صد هذا الهجوم.

ولما رأى الأندلسيون كثرة النصارى هرب بعض أمرائهم، بيد أن فرسان إشبيلية بقيادة أميرهم الشجاع المعتمد بن عباد استطاعوا الصمود وقاتلوا قتال الأسود الضواري، يؤازرهم ابن عائشة وفرسانه.

وأيقن ألفونسو بالنصر عندما رأى مقاومة المعتمد تضعف، وفي هذه اللحظة الحرجة وثب الجيش المرابطي المظفر إلى ميدان، وقد كان مختبأ خلف ربوة عالية لا

يرى، وأرسل ابن تاشفين عدة فرق لغوث المعتمد، وبادر بالزحف في حرسه الضخم، واستطاع أن يُباغت معسكر ألفونسو الذي كان يُطارد ابن عباد حتى بعد قدوم النجدات التي أرسلها ابن تاشفين.

وفي تلك اللحظة يرى ألفونسو جموعًا فارة من النصارى، وعلم أن ابن تاشفين قد احتوى المعسكر النصراني، وفتك بمعظم حرسه، وغنم كل ما فيه، وأحرق الخيام، فتعالتْ النار في محالهم، وما كاد ألفونسو يقف على هذا النبأ حتى ترك مطاردة الأندلسيين، وارتد من فوره لينقذ محلته من الهلاك، وليسترد معسكره، وقاتل الجيش المرابطي بجلد، وكان ابن تاشفين يُحرض المؤمنين على الجهاد، وكان بنفسه يُقاتل في مقدمة الصفوف يخوض المعركة في ذروة لظاها، وقد قتلت تحته أفراس ثلاث، وقاتل المسلمون قتال مَنْ يطلب الشهادة ويتمنى الموت.

ودام القتال بضع ساعات، وسقطت ألوف مؤلفة وقد حصدتهم سيوف المرابطين، وبدأت طلائع الموقعة الحاسمة قبل حلول الظلام، فقد لاحظ ابن عباد وابن عائشة عند ارتدادهما في اتجاه بطليوس أن ألفونسو قد كف عن المطاردة فجأة، وسرعان ما علما بأن النصر قد مال إلى جانب تاشفين، فجمعا قواتهما، وهرولا إلى الميدان مرة أخرى، وأصبح ألفونسو وجيشه بين مطرقة ابن عباد وسندان ابن تاشفين.

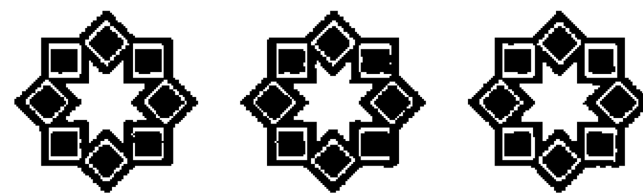
وكانت الضربة الأخيرة أن دفع يوسف بن تاشفين بحرسه وقوامه أربعة آلاف إلى قلب طعنة نافذة، واستطاع أحدهم أن يصل إلى مالك قشتالة وأن يطعنه بخنجر في فخذه طعنة نافذة، وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب، وأدرك ألفونسو وقادته أنهم يُواجهون الموت، ولما حلَّ الليل انحدر ومن معه تحت جنح الظلام إلى مدينة قورية.

ولم ينج من جيش القشتاليين مع ملكهم سوى أربعمائة أو خمسمائة فارس معظمهم جرحى، ولم ينقذ البقية من جيش ألفونسو سوى حلول الظلام حيث أمر

ابن تاشفين بوقف المطاردة، ولم يصل إلى طليطلة فيما بعد من الفرسان سوى فارس فقط.

كل ما سبق كان في ١٢ رجب من سنة ٤٧٩هـ، وقضى المسلمون ليلهم في ساحة القتال يُرددون أناشيد النصر شكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ، فلما بزغ الفجر أدوا صلاة الصبح في سهل الزلاقة، ثم حشدوا جموع الأسرى، وجمعوا الأسلاب والغنائم، وأمر ابن تاشفين برؤوس القتلى فصفت في سهل الزلاقة على شكل هرم، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها، وكان عدد الرؤوس لا يقل عن عشرين ألف رأس.

وذاع خبر النصر وقرئت البشرى به في المساجد وعلى المنابر، وغنم المسلمون حياة جديدة في الأندلس امتدت أربعة قرون أخرى.



## الفصل السابع

# المؤامرة على الخلافة العثمانية والعالم الإسلامي

**اعلم علمني الله وإياك:** أنَّ التدافع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان قائم إلى قيام الساعة، وأن من سنن الله في عباده المؤمنين أن الحرب بينهم وبين أعدائهم سجال فيوم نساء ويوم نسر، ولقد رأينا كيف كانت نهاية المسلمين في بلاد الأندلس وكيف خرجوا منها ومن بقى منهم هناك لم يسلم من الأذى والقتل البطيء في محاكم التفتيش... وفي هذا الفصل نقف مع حاضرة الخلافة الإسلامية ومع الجامعة التي كانت تجمع المسلمين في أحضانها لنرى عن قرب كيف تآمر اليهود والصليبيون عليها وكيف انتهت تلك الخلافة بل والإسلام من تركيا ولم يبق منه إلا اسمه.. واضحى هؤلاء المسلمين حربًا على دينهم وشعائره.

فلم يكد ينتهى هذا القرن حتى كانت القوى الصليبية الكبرى في ذلك الوقت «بريطانيا وفرنسا وروسيا» تحاول الوصول إلى صيغة ملائمة للانقضاض واقتسام الغنائم. لاسيما وقد اكتشفوا ضعف الجانب التركي في معركة «سان جوتار» وعلى أبواب «فيينا» عمومًا.. عندما ظهر تخلف العسكرية العثمانية.

وفي سنة ١٧٩٨م كان صبي الثورة الفرنسية التي وقف اليهود وراء مبادئها «نابليون بونابرت» يزحف على مصر ليلقنها بمدافعه وخيوله وتحويله الأزهر الشريف إلى إسطبل لخيوله، وتدميره القرى والمدن على امتداد الطريق بين القاهرة والإسكندرية.. يلقنها بهذه الوسائل وبغيرها من الوسائل الهمجية الأوربية كالخمور والتحلل الخلقي وإغراء الخادمات المصريات.. يلقن مصر والعالم الإسلامي دروس القومية، والمدنية والمبادئ الثلاثة الماسونية المزيفة التي رفعتها الثورة الفرنسية.

بريطانيا تُحاول غزو العالم العربي مستهلة وجودها فيه بغزو مصر سنة ١٨٠٧ فيما يسمى بحملة«فريزر».. وبين هذه السنوات، وبالتحديد في سنة ١٨٠٣ نجح عميل

فرنسى في أن يصل إلى الحكم، ويعلن أكبر محاولة للانفصال عن الدولة العثمانية.. وكان هذا العميل الفرنسي «محمد علي باشا» صدى باهتًا رديئًا للغزو النابليوني لمصر.. وكما أهان نابليون بونابرت الأزهر بدل إيقاظه لو كان قائد ثورة، كذلك أهان محمد علي الأزهر وعلماؤه وعلى الرغم من أن محمد علي كان مجرد «عبد» مملوك لا ينتمي إلى الدم العربي، إلا أنه رفع راية القومية باعتبارها السلاح البراق الذي يمكن به ضرب الوحدة الإسلامية والشعور بالمصير الإسلامي الواحد.. ثم يتبع ذلك وضع العرب على انفراد كما حدث فعلًا، ولعل بعث «محمد علي» غير العربي للفتنة القومية لضرب الخلافة العثمانية لمصلحة فرنسا أكبر دليل على حقيقة جذور هذه اللعبة الأيديولوجية كي تنفرد أوروبا بالتقدم وحدها، بينما تضيع الدول والأيديولوجيات الأخرى في زحمة الانشقاقات القومية والجنسية، وهذا ما حدث!!

وبعد أن كانت دولة الخلافة المسكينة تقف على تخوم القرن التاسع عشر تحاول أن تفيق من سكرة لقائها المفاجئ لمنتجات الحضارة الصناعية، وتحاول أن تبحث عن حل حضاري مضاد.. وجدت دونة الخلافة نفسها متخمة بالمشاكل العنصرية التي أثارها عملاء الغرب.. هؤلاء العملاء الذين أنهكوا قواها، وحاولوا أن يفرضوا عليها الدواء الأوروبي لعلاج أمراضها دون تبصر بحقيقة أمراضها. وبحقيقة اختلاف بنائها المادي والمعنوي، ودون وعي بالعلاج الحضاري الناجع!

وامتداد للخروج الشاذ الذي أعلنه المملوك الآبق «محمد علي» ظهرت محاولات أخرى للخروج وقام بها «بشير الشهابي» في لبنان، وحركات في المغرب العربي، بل وحركات داخل تركيا نفسها ترفع القومية الطورانية.

هذا فضلًا عن حركات الخروج التي سبقت حركة «محمد علي» تحت تأثير دوافع انفصالية مختلفة، كحركة علي بك الكبير سنة ١٧٧٣م في مصر، وحركة الشيخ ضامر العمر ١٧٧٥م في فلسطين، وفخر الدين المعني في لبنان قبل سنة ١٦٣٥م.. وهكذا..

كانت الدولة العثمانية تعاني من الداخل أشد المعاناة، وتواجه من الخارج بتحديات صليبية غربية.. ففقدت على الطريق بالتالي أملاكها في أوروبا «هنغاريا، وبلغراد، وألبانيا، واليونان، ورومانيا وصربية، وبلغاريا».

وأكبر الظن أن بعض أتباع «لورانس» في ذلك الوقت قد فرحوا لسقوط هذه البلاد من يد الإمبراطورية الإسلامية الكبرى.

فهذا هو الهدف الحقيقي الذي ساقهم إليه أسيادهم من الصليبيين والماسون!.. سقوط حين ساعدوا على سقوطها.

يدرج بعض الكتاب في العالم العربي على وصف الحركات المناهضة للدولة العثمانية «بالحركات الاستقلالية»..!!

وهذا التعبير يُوازي بين حركات الاستقلال عن الاستعمار الإنجليزى والفرنسى مثلًا وبين حركات التمرد على الخلافة العثمانية. وفي تصور أصحاب هذا التعبير أن الدولة العثمانية لا تعدو أن تكون استعمارًا. تمامًا كالاستعمار الإنجليزي، وبالتالي يعتبر الانفصال عنها استقلالًا، والانشقاق عنها تحررًا دون أية تفرقة بينها وبين الاستعمار الأوروبي.

وهؤلاء الكُتَّاب الذين يفرضون هذه الروح على الدراسة «الخلافة الإسلامية العثمانية» يعتمدون الوقوع في عدة أخطاء!

**أولها**: التجاهل التام لوشيجة «الإسلام» التي تربط العثمانيين بالعرب، وهي وشيجة غير متوفرة في الاستعمار الأوروبي.

**ثانيها**: ويتجاهل هؤلاء كذلك أربعة قرون «أربعة أخماس» ويذكرون قرنًا واحدًا هو فترة وقوف الدولة العثمانية في موقف الدفاع عن حياتها، وتعليقها في سبيل ذلك بأى خيط، وتخبطها تخبط المشرف على الغرق!!

**ثالثها**: وهؤلاء يتجاهلون كذلك أنَّ الانفصال عن العثمانيين كان لحساب الاستعمار الأوروبي، وأنه هو الذي كان يقوده مغذيًا في العرب روح الانفصال لمصلحته!! وأنَّ الوعي الديني والقومي الصحيح لو كان موجودًا لأوجب التمسك بالخلافة وقيادتها في هذه المرحلة على الأقل كضربة للاستعمار الأوروبي!!

لقد قدمت حركات الانفصال هذه أكبر خدمة للاستعمار الأوروبي، وفي الوقت نفسه جرتْ على الأمة العربية أكبر الويلات. وكان أكبر ويلاتها مأساة فلسطين ثم ما تبعها من هزيمة سنة ١٩٦٧م.

ولم يقفْ أمر خطأ هذه الحركات عند هذا الحد، كلا إنها وقعت في خطأ «أيديولوجي» آخر، فتركيا الإسلامية لم تكن أبدًا حين بدءوا ينشقون عنها في مرحلة«استعمار» فالاستعمار مرحلة تاريخية معينة بحسب تعريفهم له، تقف في قمة الهرم الرأسمالي أي أنها مرحلة اقتصادية تعنى توفر رءوس الأموال لدرجة تتطلب فتح أسواق جديدة وتوفير أيدي عاملة ومواد خام، فهل كان العثمانيون يعيشون «مرحلة الاستعمار» هذه؟ أم أنهم كانوا بحاجة إلى مجرد إصلاح اقتصادي بداخل تركيا نفسها؟

إن كثيرًا من المصلحين لم تُفتهم هذه الحقيقة وعلى رأسهم: «الزعيم مصطفى كامل في مصر، وعبد العزيز جاويش، ومحمد فريد، وغيرهم، بل إنني أشك كثيرًا في أن أكثر الزعماء الإسلاميين الإصلاحيين كجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.. أشك في أن هذه الحقيقة فاتتهم. وما كانت دعوة هؤلاء دعوة انفصالية عن الخلافة، وإنما كانت دعوة إلى إصلاح أمر الخلافة الذي كان يميل إلى التداعي بفعل مؤثرات خارجية كثيرة، ومؤثرات أخرى داخلية.

وقد وقعت هذه الحركات في خطأ آخر كبير.

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت الحركة الصهيونية التي بدأت تأخذ شكلًا تنظيميًا واضحًا مرتكزًا على الأيديولوجية «الصهيونية» محاولة الوصول إلى أهدافها في إقامة دولة يهودية.

وفي سنة ١٨٩٧م «والسلطان عبد الحميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الحاكم» عقد المؤتمر الصيهونى بزعامة هرتزل في مدينة«بال» بسويسرا وهو المؤتمر المعروف باسم«مؤتمر بال» ووضعت خطة إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين.

وقد حاول الصهاينة بقيادة هرتزل إقناع«السلطان عبد الحميد» العثمانى عدو القوميين العرب بالسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين.. فرفض السلطان رفضًا قاطعًا ولم يكتف بهذا، بل وأصدر قانونًا بمنع الهجرة اليهودية، وبمنع إقامة مستعمرات لليهود في فلسطين وكان هذا هو«قشة البعير» كما يقولون التي قصمت ظهر الرجل المظلوم، فقد حرك الصهاينة.. حركات التحرر والحركات القومية، والاستعمار الإنجليزي، ووجدت الإمبراطورية العثمانية نفسها أمام طوفان من المشاكل لا ينتهي، كان أشدها وأبعدها أثرًا حركات التمرد الداخلي، ومن الغريب جدًا أن يكون مشعلو الثورات ضد الخلافة الإسلامية في داخل البلدان العربية من الطوائف الإسلامية أو الإسلامية المتطرفة التي تحركها أيديولوجيًا وحركيًا أيدي أجنبية، لكن مع ذلك، وبتأثير شعارات براقة صنعها اليهود، بتأثير هذا وغيره من الوسائل اندمج في هذه التجمعات المضادة للخلافة بعض العناصر الإسلامية.

ولم يأتِ سنة ١٩١٨م إلا وكان السلطان عبد الحميد المظلوم قد سقط، ووقعت جميع الأقطار العربية كمناطق نفوذ لبريطانيا وفرنسا.. وأيضًا صدر «وعد بلفور» المشئوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وبدأت فلسطين تقع تحت الظروف المهدة للزوال، وكانت أولى الخطوات في ذلك وقوعها تحت الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٠م.

وبين الحربين العالميتين «١٩١٨م - ١٩٣٩م» كان التطبيق العلمي للمؤامرة العالمية، وأيضًا في الجانب الآخر الحركات الداخلية الممتصة للطاقة والمبددة لها والصارفة عن الخط الحقيقي لاستهلاكها.. كان ذلك كله يعمل على سقوط الخلافة العثمانية، وسقوط العرب بدءًا من فلسطين!! وطوى اليهود.. آخر صفحاتنا المشرقة!

كان رفض السلطان العظيم«عبد الحميد» تهويد فلسطين لطمة لم ينس اليهود أن يردوها للخلافة ردًا سخيًا لم يكن بوسع السلطان عبد الحميد أن يتخيله!

فإلى جانب ما ذكرناه من تحريك للقوى المناوئة للدولة، ومن غرس لبذور الفكرة العنصرية المحاربة للراية الإسلامية الموحدة لربع البشر!!

إلى جانب هذا.. هجم اليهود من الداخل على الدولة العثمانية بواسطة الأسلحة نفسها استعملوها في كل بلدان العالم الإسلامي، وهي أسلحة العنصرية والتحضرية، والحرية، والإخاء، والمساواة.. وهلم جرا من الشعارات التي اصطنعها الماسون، وروجوا لها، واستعملوا بعض المخدوعين لإذاعتها وتفتيت راية الأمة وقبلتها وأهدافها! وكانت جماعة تركيا الفتاة ثم الاتحاد والترقي هما الأداتين اللتين سخرهما اليهود وطوعوهما لهذا الغرض. وكانت الكاتبة «خالدة أديب» إحدى المروجات على المستوى الأدبي والفكري لفكرة القومية الطورانية، بينما كان زعماء تركيا الفتاة هم المنفذون على المستويات الأخرى لعملية إحداث الانقلاب نحو تخلي تركيا عن هويتها ورسالتها الإسلامية..

وقد أقحم هؤلاء تركيا في الحرب العالمية الأولى دون مبرر معقول أو سبب يتعلق بها. فلما هزم الألمان، أذعنت تركيا للهزيمة بنفسها، وسجل رسميًا سقوط الكرامة العثمانية الإسلامية بهدنة رودس في ١٩١٨م.

وقد غادر زعماء تركيا الفتاة البلاد، فقصد أحدهم«أنور باشا» روسيا، وقصد «طلعت باشا» ألمانيا، ولقد شاء الله أن يقتص منهم قصاصًا دنيويًا عاجلًا، فلم يلبث «أنور

باشا» أن قتل اغتيالًا في تركستان، وأن يصرع طلعت في برلين، ويغتال جمال في تفليس أما الكاتبة خالدة أديب .. التي طال بها العمر فترة.. فلم تلبث أن طردت شر طردة، من تركيا بعد خلاف حاد بينهما وبين الزعيم اليهودى الكبير مصطفى كمال أتاتورك، ولم تكد الحرب العالمية الأولى توشك على الانتهاء حتى كانت الدول الأوروبية قد أتمت المسرحية الهزلية.. لاقتسام أملاك الخلافة الإسلامية الأخيرة، ولإبراز رجل ينفذ مخططاتهم وأطماعهم بحذافيرها.. وعلى الرغم من أن الكتابات الاستشراقية والكتابات الصليبية واليهودية والشيوعية تجمع على إخفاء هذه الحقيقة، فإنَّ الأحداث بطبيعة تطورها تثبت هذه الحقيقة، ويكاد يصرح بهذه الحقيقة المستشرق «كارل بروكلمان» على الرغم من ذكائه الحاد في تطويع الحقائق، وبترها وإضفاء جو إنشائي حماسي عليها، نعم، يكاد يصرح بهذا في كتابه الشهير «تاريخ الشعوب الإسلامية الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى» وهو يقول: «عند ذلك.. هيأت الدول الحليفة لتركيا لاحظ الحليفة الفرصة السانحة للرجل الذي قدر له أن ينشئ تركية الحديثة يقصد اليهودي الدونمي أتاتورك» ولنا أن نتساءل: أي دول حليفة لتركيا تلك التي حولتها من زعيمة روحية على الأقل لربع البشرية إلى دولة هزيلة تعيش بلا ماض وبلا حاضر وبلا مستقبل؟ وأي دول هذه التي ساعدت هذا اليهودي على إلغاء الحروف العربية، وإزالة الأوقاف، وإغلاق المساجد، وقصر علماء الدين على ثلاثمائة واعظ في طول البلاد وعرضها، وتحويل مسجد «أياصوفيا» الشهير إلى متحف، ومسجد محمد الفاتح إلى مستودع، وإلغاء الشريعة الإسلامية، واستبدال القبعة بلباس الرأس الوطني السابق «الطربوش» وفرض اللباس الأوروبي بالقوة، وحذف اللغة العربية بأبخس الأثمان، فضلًا عن التعليم العلماني الأوروبي، ليس في المجال التقني كما يجب أن يكون، بل فقط في المجال الإنساني والأدبي والديني!.

إنَّ إلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان الجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣م، وانتخاب مصطفى كمال أتاتورك من قبل جمعية لقبت نفسها «بالجمعية الوطنية»، إن هذا

كله لم يكن يعني سقوط تركيا الإسلامية في الحقيقة، فكم من شعارات براقة ترفع ثم لا تلبث أن تزول. لكن تمكن الأتاتوركي «الغازي» من السيطرة على البلاد، بمساعد«الدول الحليفة لتركيا» كما يقول بروكلمان وأمثاله، ثم الاجراءات الخطيرة التي ذكرناها والتي اتخذها أتاتورك بعد ذلك.

هذه في الحقيقة كانت الإلغاء الحقيقي لتركيا الإسلامية وللخلافة العثمانية.

ولم يكن الخليفة العثماني محمد السادس الذي عاصر هذا الانقلاب، كما لم يكن الخليفة الذي وضعه الانقلابيون مكانه عبد المجيد بن عبد العزيز لم يكن هذا وذاك أكثر من تحفتين تاريخيتين.. تحملان معالم صورة هزيلة مهتزة، لحقيقة كانت يومًا ما عظيمة قوية ترعب أوربا كلها.

ومع ذلك فلقد أدرك مصطفى كمال الدونمي اليهودي أن البقاء الرمزي الصوري لهذه الحقيقة القوية العظيمة يشكل في حد ذاته خطرًا على مخططاته الصهيونية.. ولذا فلم يكد يملك السلطة في يده ويتربع بتؤدة على عرش السيطرة لمدة خمسة أشهر، حتى أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية، ثم طرد آخر خليفة للمسلمين من البلاد في اليوم الثالث من مارس سنة ١٩٢٤م.

ولعل العقلاء وحدهم هم الذين يسألون: ماذا استفادت تركيا من هذه الخطوة؟ وماذا كان ممكن أن تكسب لو أنها مضت في طريق الإصلاح مبقية على مركزها كزعيمة روحية إذا كانت هناك نية إصلاح حقيقية؟.

ولعل هذا وذاك يفسران للعقلاء وحدهم أن هناك أمرًا كان مبيتًا، وأنَّ العالم الإسلامي والعالم العربي كانا من الأهداف الرئيسية لضرب الخلافة الإسلامية، ولم تكن أبدًا تركيا هي المقصودة وحدها.

وفعلًا تداعت تركيا وسقطت، فلم تقم لها قائمة حتى اليوم وتداعى بعدها ومعها العالم الإسلامي بلدًا بلدًا، وفكت أواصر الحب والوحدة.. ونال العرب حظهم من كل ما أصاب العالم الإسلامي.. ولعل الأقدار قد لقنتهم أقسى الدروس، حين زرعت في قلبهم شوكة الصهيونية.

تؤرق مضجعهم، وتنتقم للخلافة الإسلامية، وتطلعهم بجلاء على حقيقة كمال أتاتورك، وحقيقة مخططاته.. وأيضًا على حقيقة الذين ساروا على هدي أتاتورك في فلسطين العربية وفق انقلابات يقف وراءها اليهود مستترين في كلمات الشيوعية أو الحرية أو «القومية».. ليزرعوا في القلب العربي أشواكًا أخرى!!.

## دور اليهود في إسقاط الخلافة

إلى الذين يزعمون أن لا مؤامرة على الإسلام، ويُنكرون برتوكولات حكام صهيون ويقولون: إنها من وضع الروس.. الى الذين يتوددون ويخطبون ود اليهود إلى هؤلاء المتخاذلين والمتواطئين حقيقة المخطط اليهودي، وكيف أنهم كانوا وراء إسقاط الخلافة الإسلامية، وكيف كان موقفهم من السلطان عبد الحميد لما رفض اقتراحاتهم..

## السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية العالمية «هرتزل»

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية «تيودر هرتزل» أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من الدول «ألمانيا، وبريطانيا وفرنسا» وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيدًا لمقابلة السلطان عبد الحميد، وطلب فلسطين منه وكانت الدولة العثمانية تعانى من مشاكل مالية متعددة، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضمانًا لديونها، الأمر الذي دفع عبد الحميد الثاني أن يجد حلًا لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل، كي يؤثر على سياسة عبد الحميد الثاني تجاه اليهود. وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته: «علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا.. مليونان منها ثمنًا لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيدًا للتخلص من البعثة الأوربية.. ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها(١).

لقد أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع المسؤولين في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا وكانت الغاية من هذه الاتصالات هي إجراء حوار مع عبد الحميد الثاني. وفي هذا الصدد فقد نصح لاندو منذ ٢١ شباط ١٨٩٦م الصديق اليهودي لهرتزل أن يقوم بواسطة صديقه نيولنسكي رئيس تحرير «بريد الشرق». وفي هذا المجال يقول هرتزل: «إن نحن حصلنا على فلسطين. سندفع لتركيا كثيرًا أو سنقدم عطايا كثيرة لمن.. لمن يتوسط لنا. ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية. سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة والممتلكات الخاصة»(٢).

وقام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران عام ١٨٩٦م، ورافقه في هذه الزيارة نيولنسكي، الذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد، ونتيجة لذلك فقد بيولنسكي آراء هرتزل إلى قصر يلذر، وقد دارت محاورة بين نيولنسكي والسلطان عبد الحميد إذ قال السلطان له: «هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟ أجاب نيولنسكي قائلًا: «تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود، فعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها»، ورد السلطان قائلًا: «إن فلسطين لا تعتبر مهدًا لليهود فقط، وإنما تعتبر مهدًا لكافة الأديان الأخرى».

---

(١) «اليهود والدولة العثمانية» ( ص ١١٦).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» ( ص ١١٧).

أجاب نيولنسكي قائلًا: «في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنهم سوف يحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى الارجنتين»(١).

وقام السلطان عبد الحميد بإرسال رسالة إلى هرتزل بواسطة صديقه نيولنسكي جاء فيها: «انصح صديقك هرتزل، أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولًا في جثتنا، ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة»(٢).

ويقول السلطان عبد الحميد في مذكراته:

«ومن المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الخالية في الدولة، وهذا يعني من جانب آخر، أنه كان علينا أن ننهج اتباع سياسة عناصر تنتمي إلى دين أسلافنا وتقاليدنا حتى لا يستطيعوا من الهيمنة على زمام الأمور في الدولة»(٣).

وبعد إخفاق جهود هرتزل في واسطة نيولنسكي، اتجه هرتزل إلى قصر وليم الثاني إمبراطور ألمانيا، ولاسيما أنه كان صديقًا لعبد الحميد، بالإضافة إلى كون وليم الثاني هو الحليف الوحيد للعثمانيين في أوروبا(٤) إلا أن مساعيه لم تكلل بالنجاح يقول المؤرخ التركي: نظام الدين نظيف في كتابه «إعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني»: «عندما رد طلب الوفد اليهودي المسند من قبل الإمبراطور وليم في

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ١٢٠).

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٠).

(٤) المصدر السابق نفسه (ص ١٢١).

الحصول على وطن لهم، أي: عندما خاب هرتزل في مسعاه اشتد العداء ضد «يلدز» وهذا ما كان يتوقعه عبد الحميد، لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم، فالمال متوفر لديهم وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدرهم إطلاق العواطف التي يريدونها لدى الرأي العام متى شاءوا...»[(١)].

يردف المؤرخ التركي قائلًا: «بدأوا أولًا بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا بتوحيد أعداء عبدا لحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط، نجد، أنصار المشروطية يتخذون طابعًا منظمًا وهجوميًا، علمًا بأنهم كانوا حتى ذلك الوقت متفرقين ويعملون دون نظام ودون تنسيق، إذ لم يكن صعبًا عليهم توحيد أعداء عبد الحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط. وقد أخذ«المشرق الأعظم الماسوني الإيطالي» على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق؛ لأنه كان أقرب مركز ماسوني للإمبراطورية العثمانية. ولعبت المحافل الإيطالية وخاصة محفل «ريزوتا» في سلانيك دورًا ملحوظًا..»[(٢)].

إزاء هذا الإخفاق قرر هرتزل أن يستخدم وسائل أخرى لاستمالة عبد الحميد الثاني، حيث عرض نفسه عن طريق نيولنسكي خدمته بواسطة القضية الأرمنية[(٣)] وفي هذا الصدد يقول هرتزل: «طلب مني السلطان أن أقوم بخدمة له، وهي أن أثير على الصحف الأوروبية، بغية قيام الأخيرة بالتحدث عن القضية الأرمنية بلهجة أقل عداء للأتراك، أخبرت نيولنسكي حالًا باستعدادي للقيام بهذه المهمة، ولكني أكدت على إعطائي فكرة وافية عن الوضع الأرمني: من هم الأشخاص في لندن الذين يجب أن أقنعهم بما يريدون، وأي الصحف يجب أن نستميلها لجهتنا وغير ذلك»[(٤)].

---

(١) «السلطان عبد الحميد، حياته وأحداث عهده، محمد أورخان» (ص١ ٢٨، ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ٢٨٢).

(٣) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ١٣٢).

(٤) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ١٣٧).

وعلى هذا الأساس، فقد نشطت الدبلوماسية الصهيونية لإقناع الأرمن بالتخلي عن ثورتهم. ونيجة لذلك فقد اتصل هرتزل مع سالزبوري والمسؤولين الإنكليز بغية استخدامها للضغط على الأرمن، كما نشط اليهود في مدن أوروبية أخرى مثل فرنسا للقيام بنفس الدور. إلا أن دبلوماسية هرتزل قد أخفقت بسبب عدم تحمس بريطانيا، لأنَّ ذلك كان يعني تأييد سياسة عبد الحميد، الأمر الذي يؤدى في إثارة الرأي العام البريطاني ضد الحكومة[١].

وقد حاول هرتزل لقاء عبد الحميد الثاني، ولاسيما أثناء الزيارة الثانية للإمبراطور وليم الثاني إلى القسطنطينية، إلا أنَّ موظفي قصر يلدز منعوه من ذلك. واستمر هرتزل في محاولاته المستمرة حتى تكللت جهوده بالنجاح بعد سنتين «١٨٩٩-١٩٠١م» من الاحتكاك المباشر مع الموظفين الكبار لقصر يلدز من مقابلة عبد الحميد، حيث قابل السلطان لمدة ساعتين وقد اقترح هرتزل قيام البنوك اليهودية الغنية في أوروبا بمساعدة الدولة العثمانية لقاء السماح بالاستيطان في فلسطين، بالإضافة إلى ذلك فإنه قد أكد لعبد الحميد أن يحتفظ بمناقشاته السرية معه[٢].

كان السلطان عبد الحميد في خلال مقابلته مع هرتزل مستمعًا أكثر منه متكلمًا ويرخى لهرتزل في الكلام كي يدفعه أن يتحدث بكل ما يخطر في مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب. وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه نجح في مهمته هذه. ولكنه أدرك في نهاية الأمر بأنه قد أخفق مع عبد الحميد، وأنه أخذ يسير في طريق مسدود معه[٣].

وبعد إخفاق جهود هرتزل عند عبد الحميد الثاني، تحدث هرتزل قائلًا: «في حالة منح السلطان فلسطين لليهود، سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية، أما في

---

(١) «المصدر السابق نفسه» (ص ١٣٨).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ١٤١).

(٣) «المصدر السابق نفسه» (ص ١٤٣).

القارة الأوروبية فإننا سنقوم بإيجاد حصن منيع ضد آسيا، وسوف نبني حضارة ضد التخلف، كما سنبقى في جميع أنحاء أوروبا بغية ضمان وجودنا»(١).

وفي الحقيقة كان عبد الحميد يرى أنه من الضروري عدم توطين اليهود في فلسطين، كي يحتفظ العنصر العربي بتفوقه الطبيعي. وفي هذا الصدد يقول: «ولكن لدينا عدد كافٍ من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقًا، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، ولذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم»(٢).

وكانت الدولة العثمانية تسعى في أحيان كثيرة إلى أبعاد اليهود العثمانيين عن أفكار هرتزل والحركة الصهيونية، ومع ذلك فإنها في أحيان أخرى كانت تستخدم لغة التهديد معهم. وفي هذا الصدد أوضح علي فروخ بك الوسائل الإعلامية الأجنبية، وبصراحة تامة: «إنه لبعيد من الصواب أن يقوم الصهانية على خلق صعوبات للحكومة العثمانية، بغية إرغامها على تحقيق مصالحها. ولكن هذه الصعوبات سوف تُؤدي في نهاية الأمر إلى إلحاق الأذى بوجودهم السلمي والسعيد في الدولة العثمانية.. وهذه النقطة واضحة بالنسبة لعلاقة العثمانيين مع رعايا الأرمن، لأنَّ قلة من المتمردين الذين قاموا على ارتكاب الخطأ والحماقة معتمدين إلى الإرشاد الميكافلي قد أدى في نهاية الأمر أن يندما على ما فعلوه، من دون التوصل على أية نتيجة»(٣)

وعلى الرغم، من إخفاق جهود هرتزل عند السلطان عبد الحميد، كتب هرتزل قائلًا: «يجب تملك الأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ما حاجة إلى

---

(١) المصدر السابق نفسه ( ص ١٤٣ ).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» ( ص ١٤٦ ).

(٣) المصدر السابق نفسه ( ص ١٤٦ ).

استخدام العنف، سنحاول أن نشجع الفقراء من السكان الأصليين على التروح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك مع خطر تشغيلهم في بلدنا إنَّ الاستيلاء على الأرض سيتم بواسطة العملاء السريين للشركة اليهودية التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود. علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشرائها، على أن يقتصر بيعها على اليهود وحدهم»(١).

وكتب هرتزل قائلًا: «أقر على ضوء حديثي مع السلطان عبد الحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أو عن طريق الزج بها في حروب تهزم فيها، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية أو بالطريقتين معًا في آن واحد»(٢).

إن السلطان عبد الحميد كان يعرف أهداف الصهيونية، حيث قال في (مذكراته السياسية):« لن يستطيعَ رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره وقد يكون قوله: ستحل المشكلة اليهودية يوم يقوى فيه اليهودي على قيادة محراثه بيده، صحيحًا في رأيه، أنه يسعى لتأمين ارض لإخوانه اليهود، لكنه ينسى أن الذكاء ليس كافيًا لحل جميع المشاكل.. لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين بل يريدون أمورًا مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين، إنني أدرك أطماعهم جيدًا، لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم. وكما أنني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي فإني أعادي أمانيهم وأطماعهم في فلسطين»(٣).

---

(١) «اليهودية والدولة العثمانية» (ص ١٤٨).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٨).

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ١٤٨).

وعن القدس يقول عبد الحميد الثاني: «لماذا نترك القدس... إنها أرضنا في كل وقت، وفي كل زمان وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لابد أن تظل القدس لنا»[١].

لقد كان غرض السلطان عبد الحميد في استماعه إلى «تيودور هرتزل» معرفة الآتي:

حقيقة الخطط اليهودية:

معرفة قوة اليهود العالمية ومدى قوتها.

إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود[٢].

وشرع السلطان عبد الحميد في توجيه أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية لمتابعة اليهود وكتابة التقرير عنهم، وأصدر إرادتين سنتين الأولى في ٢٨ يونيو ١٨٩٠م، والأخرى في ٧ يونيو ١٨٩٠م.

في الأولى «رفض قبول اليهود في الممالك الشاهسانية» والأخرى: «على مجلس الوزراء دراسة تفرعات المسألة واتخاذ قرار جدّي وحاسم في شأنها»[٣].

واتخذ السلطان عبد الحميد الثاني كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين، وفي سبيل ذلك عمل جاهدًا على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يُؤدي إلى تغلب اليهود على أرض فلسطين. ولابد في هذه الحالة أن تتكاتف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم. ويعزز هذا القول هرتزل عندما قال: «إني أفقد الأمل في تحقيق أماني

(١) «العثمانيون في التاريخ والحضارة» ( ص ٥٧).

(٢) المصدر السابق نفسه ( ص ٥٦).

(٣) «السلطان عبد الحميد الثاني» ( ص ٨٨).

اليهود في فلسطين، وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة، مادام السلطان عبد الحميد قائمًا في الحكم، مستمرًا فيه»[(١)].

وتحركت الصهيونية العالمية، لتدعم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون في البلقان، وحركة حزب الاتحاد والترقي، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية[(٢)].

وفي هذا الصدد يقول نيازى بركس في كتابه «المعاصرة في تركيا»: «أنَّ لليهود الأوروبيين واليهود المحليين» في الدولة العثمانية في القرنيين التاسع عشر والعشرين دورًا ضخمًا في إرساء تيار القومية الطورانية، فالعلماء اليهود في الغرب مثل لومالى دافيد وليون كاهون وأرمينيوس فاميري تصدوا للكتابة عن أصول الفكرة القومية الطورانية كما أن اليهود المحليين في الدولة العثمانية، مثل: كراسوا«قراصو» وموئيز كوهين وإبارهام غالانتي، كان لهم ضلع في جمعية الاتحاد والترقى وبمجرد أن نجحت هذه الجمعية في الإحاطة بحكم عبد الحميد ومن ثم الاستيلاء على السلطة تقدم الصهاينة إلى الاتحاديين برغبتهم في أن تعترف الجمعية بفلسطين وطنًا قوميًا لليهود..»[(٣)].

وقد ذكر نيازي بركس في كتابه السابق اسم اليهودي موئيز كوهين الذي وصفه رينيه بيلو قائلًا:

١ - إن كوهين هو من مؤسسي الفكر القومي الطوراني في الدولة العثمانية.

٢- إن كتاب موئيز كوهين هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية[(٤)].

---

(١) المصدر السابق نفسه ( ص ٢٨٢).

(٢) «السلطان عبد الحميد الثاني» لمحمد حرب ( ص ٢٣٤).

(٣) «العثمانيون في التاريخ والحضارة» ( ص ١١٩).

(٤) المصدر السابق نفسه ( ص ١١٩).

كان اليهودى مؤنيز كوهين نشطًا جدًا في التعريف بحركة الاتحاد والترقي في الصحف الأوربية، فقد كان يعرف بجانب العبرية والتركية، عدة لغات أوروبية، وبدأ هذا بمقال باللغة الفرنسية يحمل عنوان: «الأتراك يبحوث عن روح قومي»(١).

لقد أسهم موئيز كوهين في التخطيط للسياسة العنصرية الطورانية التي سارت عليها جمعية الاتحاد والترقي وهي السياسة التي شقتْ شعوب الدولة العثمانية وأوجدت بينها العداوة والبغضاء.

وكان هذا اليهودي لا يكل ولا يمل في نشر الفكر القومي التركي لتفتيت الدولة العثمانية. وكتب ثلاثة كتب اعتمدت عند جمعية الاتحاد والترقي وهي: «ماذا يمكن أن يكسب الأتراك من هذه الحرب» و«الطوران» و«سياسة التتريك». كما أسهم هذا الكاتب اليهودي في الكتابة للفكر الكمالي بكتابة «الكمالية» وكتابة «الروح التركية» الذي أرخ فيه التطور العنصري التركي(٢).

لقد قامت جمعية الاتحاد والترقي على إثارة المشاعر القومية عند الأتراك، تحت حلم الطورانية، وقد نادت بمفاهيم جديدة مثل: الوطن والدستور والحرية، وكانت هذه المفاهيم غريبة على العثمانيين، وقد ضمت في صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأتراك، بالإضافة إلى يهود الدونمة، وكانت الغاية منها الإحاطة بحكم عبد الحميد الثاني(٣).

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبي يهودي، مع رجال الاتحاد الترقي وتحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقي من سلانيك ودخل إستانبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي التهم التالية:

---

(١) انظر: «العثمانيون في التاريخ والحضارة» (ص ١٢٠).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١٢٢).

(٣) انظر: «اليهود والدولة العثمانية» (ص ١٦٨).

١- تدبير حادث ٣١ مارت.

٢- إحراق المصاحف.

٣- الظلم وسفك الدماء[1].

مع أن جمعية الاتحاد والترقى العثمانية، تبنت الأفكار الغربية المضادة للإسلام وللفكر الإسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني. وقد نجحوا في ذلك.

تقول الجمعية في بياناتها إلى العثمانيين: «أيها العثمانيون: إن مقصدنا هو سلامة الدولة والخلافة، ولم يعد أحد يجهل هذا». «وبعون الباري وهمة الإخوان» و«أيها المسلمون: كفانا أن نقوم بدور المتفرج على سلطان جبار، عديم الإيمان، يسحق القرآن تحت أقدامه، وكذلك يسحق الضمير والإيمان» و«استيقظوا يا أمة محمد» و«الشجاعة الشجاعة يا مسلمون الشجاعة منا والعون من الله. نصر من الله وفتح قريب» و«أيها المسلم الموحد! اقرأ باسم ربك» و«انهض أيها المسلم الموحد! وانقذ دينك، وإيمانك. فانقذ دينك منه وإيمانك أيها الموحد» و«يا أيها المسلمون: إن السلطان عبد الحميد شرعًا ليس بسلطان، ولا خليفة! ومن لا يصدق قولنا هذا: فلينظر في الكتاب والسنة». لقد أبرزت جمعيتنا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأوامر الله وأوامر الرسول الموجهة إلى الحكومة والأهالي.

لكن السلطان عبد الحميد، أشاح بوجهه بعيدًا عن أوامر الله، وأوامر الرسول. وبالتالي: أثبت ظلمه ولم يخجل من الاعتراض على الله؛ لذلك ينبغى على شعبنا، أن يلجأ إلى السلاح ضده، وإذا لم يفعل الشعب هذا، فليتحمل إذًا وزر ما عليه السلطان عبد الحميد من ظلم[2].

---

(١) انظر: «العثمانيون في التاريخ والحضارة» (ص ٥٠).

(٢) انظر: «السلطان عبد الحميد الثاني» (ص ٢٨٣-٢٨٢).

لقد كان الفكر الحاكم في اتجاهات جمعية«الاتحاد والترقى»، هو: الماسونية وهي لا تعترف بالأديان، والفلسفة الوضعية«العقلانية وهي تنفي الدين» والعلمانية «وهي تبعد الدين عن الحياة»، ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني وافتروا عليه باسم الدين(١).

إن التهم التي وجهت للسلطان عبد الحميد الثاني لا تثبت أمام البحث العلمي، والحجج، والبراهين الدالة على براءته الكلية مما ينسب إليه، فقد أثبتت الأدلة على عدم علم السلطان عبد الحميد بحادث ٣١ مارت، كما أنه «من المحال إحراق السلطان عبد الحميد للمصاحف، فهو سلطان معروف بتقواه، ولم يعرف عنه تركه للصلاة وإهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه، ولأنه لا يعرف الإسراف فقد كان المال يتوفر معه دائمًا، ولذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص.» وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا، وسفك الدماء لم يكن أبدًا ضمن سياسته(٢).

ولِمَ لا يغيب عن بال الانقلابيين الضغط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ففي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضوًا من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة، وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ نائب حمدي أفندي المالي لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعى للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يُقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

---

(١) انظر:«السلطان عبد الحميد الثاني» (ص ٢٨٣).

(٢) انظر: «العثمانيون في التاريخ والحضارة» (ص ٥٠).

**واليكم نص الفتوى:**

«الموقع عليها من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي، ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع» إذا قام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي، وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية، وجمع الكتب المذكورة والتبذير والإسراف من بيت المال، واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظلم الأخرى ثم أقسم على الرجوع عن غيه ثم عاد فحنث وأصر على إحداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعًا فلوحظ أن بقائه ضررًا محققًا، وفي زواله صلاحًا فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب»(١)

قرأت هذه الفتوى في الاجتماع المشترك للمجلس المللي فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه وبعد مداولات تم الموافقة على خلع السلطان عبد الحميد الثاني(٢).

وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقي تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين، وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني بقرار خلعه. وكانت هذه اللجنة تتألف من:

١- **إيمانويل قراصو:** وهو يهودي أسباني. كان من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة، وكان مسؤلًا أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشعب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد الثاني وتأمين التخابر بين سلانيك واستانبول فيما يتعلق بالاتصالات الحركة. وقراصو هذا محام، عملت جمعية الاتحاد والترقى بنجاح على تعيينه في المجلس النيابي العثماني نائبًا عن سلانيك مرة وعن إستانبول مرتين. وصفته

(١) انظر «صحوة الرجل المريض» (ص ٤١٠).

(٢) «المصدر السابق نفسه» (ص ٤١٠).

المصادر الإنكليزية بأنه من قادرة الاتحاد والترقي. عمل أثناء الحرب مفتشًا للإعاشة، واستطاع أثناء وجوده في هذا المنصب أن يجمع أموالًا كثيرة لحسابه الخاص، ولعب دورًا هامًا في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا. واضطر نتيجة لخيانته للدولة أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية، واستقر في تريسنا حيث مات عام ١٩٣٤م.

وكان أثناء وجوده في الدولة العثمانية الأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيا ريزولتا الماسوني.

٢- آرام: وهو أرمني عضو في مجلس الأعيان العثماني.

٣- **أسعد طوبطاني**: وهو ألباني، نائب في مجلس المبعوثان عن منطقة دراج.

٤- **عارف حكمت**: وهو فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وهو كرجبي العراق[١].

يروي السلطان عبد الحميد في مذكراته تفاصيل هذه الحادثة فيقول: «إن ما يحزنني ليس الإبعاد عن السلطة، ولكنها المعاملة غير المحترمة التي ألقاها بعد كلمات أسعد باشا هذه والتي خرجت عن كل حدود الأدب، حيث قلت لهم: إنني أنحنى للشريعة ولقرار مجلس المبعوثان ذلك تقدير العزيز العليم، سوى إني أؤكد بأنه لم يكن لي أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التي تفجرت في ٣١ مارت ثم أردف قائلًا: «إن المسؤولية التي تحملتموها ثقيلة جدًا». ثم أشار عبد الحميد إلى قرصو قائلًا: «ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة[٢]؟ وبأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي؟»[٣].

(١) «العثمانيون في التاريخ والحضارة» (ص ٥١).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ٢١٩).

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٢٠).

لقد اعتبر اليهود والماسونيون هذا اليوم عيدًا لهم، وابتهجوا به وساروا بمظاهرة كبيرة في مدينة سلانيك، ولم يكتفِ الماسونيون بذلك بل طبعوا صورة هذه المظاهرات في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة. لقد كان الاتحاديون يفتخرون دائمًا بأنهم ماسونيون. وقد أدلى رفيق مانياسي زادة بتصريحات إلى صحيفة تمبس والفرنسية في باريس عقب نجاح انقلاب حركة الاتحاد والترقي، حيث جاء فيها: «لقد كانت للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الإيطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظرًا لارتباطنا الوثيق بها»(١).

إنَّ هذه العلاقة بين الصهيونية والماسونية، وضحها السلطان عبد الحميد الثاني في الرسالة التي وجهها إلى الشيخ محمود أبي الشامات شيخة في الطريقة الشاذلية بعد خلعه وذلك في سنة ١٣٢٩هـ(٢) وقد جاء هذه الرسالة:

«إن هؤلاء الاتحاديون قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين» ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيرًا وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا، فرفضت هذا التكليف، بصورة قطعية أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: «إنكم لو دفعتم ملئ الدنيا ذهبًا، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين». وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدوني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة! فلسطين»(٣).

---

(١) المصدر السابق نفسه ( ص ٢٢١).

(٢) المصدر السابق نفسه ( ص ٢٢٣).

(٣) «اليهود والدولة العثمانية» ( ص ٢٢٣).

وفي مقال نشرت في جريدة «بويوك ضوغو» التركية في ٢ مايو عام ١٩٤٧م العدد ٦١ يقول «محرم فوزي طوغاي» تحت عنوان «فلسطين والمسألة اليهودية» الآتي:

«منع السلطان عبد الحميد تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكلف هذا لمنع السلطان عبد الحميد غاليًا وأودى بعرشه، وأدى هذا فيما بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها».

رغم أنه كان يدرك كما قال نظام الدين لبه دنلي أوغلو في دراسته عن اليهود في هدم الدولة العثمانية أن:

«اليهود يمتلكون قوى في أيديهم. كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية»[١].

إن بعض أقطاب حركة الاتحاد والترقي اكتشفوا فيما بعد أنهم قد وقعوا تحت تأثير الماسونية والصهيونية، فهذا أنور باشا الذي لعب دورًا مهمًا في إنقلاب عام ١٩٠٨م، يقول في حديث له مع جمال باشا أحد أركان جمعية الاتحاد والترقي: «أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ وبعد تحسر عميق قال: «نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي»[٢].

وفي هذا المعنى، يقول أيوب صبري قائد الاتحاديين العسكرين: «لقد وقعنا في شرك اليهود، عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم، إلا أنه لم يقبل بذلك»[٣].

---

(١) «السلطان عبد الحميد الثاني» (ص ٨٨).

(٢) «اليهود والدولة العثمانية» (ص ٢٢٨).

(٣) المصدر السابق نفسه (ص ٢٢٩).

ويقول في هذا الصدد برنارد لويس: «لقد تعاون الإخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد، لأنه كان معارضًا قويًا لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين»[1].

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبي يهودي، مع رجال الاتحاد الترقي وتحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقي من سلانيك ودخل إستانبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي التهم التالية:

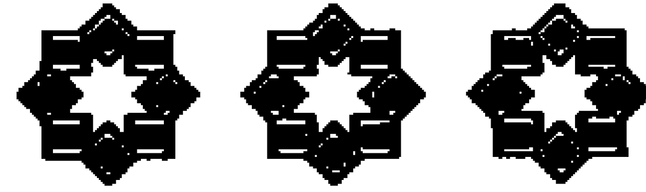
١- تدبير حادث ٣١ مارت.

٢- إحراق المصاحف.

٣- الإسراف.

٤- الظلم وسفك الدماء[2].

مع أن جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، تبنتْ الأفكار الغربية المضادة للإسلام وللفكر الإسلامي؛ لكنها استغلتْ الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني. وقد نجحوا في ذلك.



(١) المصدر السابق نفسه ( ص ٢٢٩).

(٢) «العثمانيون في التاريخ والحضارة» ( ص ٥٠).

## كمال أتاتورك صناعة يهودية ومؤامرة صليبية

## كمال أتاتورك وإسقاط الخلافة الإسلامية

أخي المسلم بعد أن تعرضنا في الصفحات الماضية على أسباب سقوط الخلافة الإسلامية هيا لنتعرف على تلك الشخصية التي كان لها دورًا بارزا في إسقاط الخلافة، وعلمنة تركيا يقول الأستاذ أنور الجندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حاولت أجهزة الدعاية الغربية والصهيونية إعطاء «مصطفى كمال» أتاتورك حجمًا أكبر من حجمه الطبيعي، وذلك عن طريق عشرات المؤلفات التي طبعت ووزعت في مختلف أنحاء العالم، بتضخيم حجم هذا العمل التغريبي التخريبي الخطير الذي قام به.

منها كتاب«كمال أتاتورك» الذي كتبه «محمد» ولقد حظيت اللغة العربية بعدد من هذه الكتب، إنجليزيًا وفرنسيًا، ومازال يعد في نظر التغريبيين مرجعًا «محمد توفيق» واعتمد على ٥٣ مرجعًا النموذج الأول الذي هو بمثابة المثل البكر لتجربة التغريب في العالم أساسيًا في تقديم هذا الإسلامي، والتي فشل تطبيقها في البلاد العربية، وسقطت أخيرًا في إيران

ولا يمكن فهم حقيقة كمال أتاتورك إلا بالعودة إلى السلطان عبد الحميد ومحاولة إسقاطه، التي تمت عام ١٩٠٩م والتي تولى الاتحاديون بعدها زمام الحكم إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، كمرحلة إعداد الدور الذي قام به كمال أتاتورك من بعد.

### بداية مريبة:

وما إن أسقط السلطان عبد الحميد حتى تحول الأمر في الدولة العثمانية إلى شيء خطير، فقد فتحت الأبواب لكل الأقطار والدعوات المعارضة للوحدة الإسلامية والخلافة الإسلامية والإسلام نفسه، وأتيحت الفرصة لكل الغلاة وخصوم العرب والإسلام في أن يذيعوا كل ما من شأنه أن يُحقق للاستعمار الغربي واليهودية العالمية

مطامعها وأهدافها، وخرجت جماعات خريجي الإرساليات التبشرية والمحافل الماسونية؛ لتسيطر على الرأي العام عن طريق الصحافة، وتولت الحكم وزارة في الدولة العثمانية بها ثلاثة وزراء من اليهود.

ثم انفتح الطريق الطريق إلى فلسطين، وأُتيح لسماسرة بيع الأراضى العمل في حرية كاملة، ونشط اليهود والدونمة والماسون من ورائهم للعمل.

وأسفرت عن نفسها، وبدأت الحركة الطورانية تشق طريقها في تمزيق وحدة العرب والإسلام، واندفعت جمعية الاتحاد والترقي إلى تتريك العناصر الداخلة ضمن الإمبراطورية، وكان التركيز على تتريك العرب شديدًا.

وكانت أولى خطوات الاتحاديين في الحكم: بناء منهج سياسي فكري للدولة العثمانية، مستمد من النظرية الغربية العلمانية، جريًا وراء الخطة التي رسمتها الماسونية للثورة الفرنسية، وإلغاء المفاهيم الإسلامية، وإحلال مفاهيم غريبة خالصة بدلاً منها، وسارع الاتحاديون بإصدار تصريحات تقول بعزل النظام السياسي القائم، وقال أحدهم: إنه لا محل للجامعة الإسلامية في برنامج تركيا الفتية.

وقد جرت مهمة الاتحاديين في هذه الفترة على إعداد الدولة العثمانية لحركة التغريب في عديد الجهات:

١ - استسلامهم لبريطانيا استسلامًا كاملًا.

٢ - تسليم طرابلس الغرب لإيطاليا.

٣- فتح الطريق أمام اليهود إلى فلسطين.

٤ - وضع العقبات أمام وحدة العرب والترك بتعليق العرب على المشانق في الشام.

٥ - محاولة تتريكِ الأعراق البشرية الداخلة في نطاق إمبراطوريتهم وخاصة العرب.

٦ - إعلان فكرة الطورانية، وإعلاء الجنس التركي على العالم كله.

وهكذا فإنَّ كل ما حدث في فترة السنوات العشر السابقة للحرب العالمية الأولى إنما كان تمهيدًا لما جاء بعد ذلك في تركيا أو في مصر أو لبنان، وذلك في ضوء التحول الخطير الناتج عن إسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها، وقد تحقق ذلك بالفعل نتيجة لدخول الاتحاديين الحرب العالمية في صف الألمان.

فكانت هزيمة الألمان في الحرب هزيمة لهم مما أدى إلى السيطرة على تركيا وإذلالها، وفرض نفوذ فكري سياسي غربي عليها، حتى ينتهي هذا الوجود الإسلامي المرتبط بالخلافة والوحدة الإسلامية، وحتى لا تكون تركيا مرة أخرى منطلقًا للإسلام إلى أوربا، أو مصدرًا للخطر، أو جرثومة لتجمع إسلامي.

نعم كانت فترة السنوات العشر للاتحاديين مقدمة لما بعد ذلك، وتمهيدًا للمخطط التغريبي العنيف، الذي نفذه مصطفى كمال أتاتورك بقوة القانون.

## مصطفى كمال والأهداف

وقد كان مصطفى واحدًا من الاتحاديين بين زملائه طلعت وجمال وجاويد، ولكنه لم يلمعْ تحت الأضواء في هذه الفترة، فقد استبقاه التخطيط الدقيق ليحمل لواء المرحلة التالية؛ وليُصبح بعد الحرب امتدادًا لهم، ونقطة تجمع لهذه لقوى؛ لتشكل مرة أخرى على نحو آخر، بعد أن حققت أكبر أهدافها وهي:

١- إسقاط الدولة العثمانية، وتمزيق وحدة العرب والترك التي هي مظهر وحدة العروبة والإسلام، فقد كان أتاتورك واحدًا من رجال جماعة سالونيك ومحافلها الماسونية، ومن أبرز رجال الاتحاد والترقي، مؤمنًا بتلك المبادئ والمخططات التي نفذت، فلم يكن حربًا عليها، وإن أعلن اختلافه معها في ظاهر الأمر ولكنه كان يُحقق مرحلة جديدة، فيها إعادة النظر إزاء بعض الوسائل مع الاحتفاظ بالغاية الكبرى، والوصول إليها بأساليب أشد إحكامًا.

ولم تكن معارضته لفكرة الدعوة الطورانية إلا من هذا القبيل، وإذا كان الاتحاديون قد حطموا الدولة العثمانية، وفرقوا رابطة العروبة والإسلام فإن أتاتورك قد حقق عملًا واحدًا في التاريخ الإسلامي أشد قسوة وخطرًا من كل عمل، وهو «إلغاء الخلافة الإسلامية» وتحويل تركيا من دولة إسلامية تحمل لواء الجامعة الإسلامية والخلافة، وقيادة الأمم الإسلامية إلى دولة غريبة خالصة تكتب من الشمال، وتطبق القانون السويسري المسيحي.

**بروتوكول لوزان:**

وأبرز هذه الأعمال إقرار تلك الوثيقة الخطيرة: بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣م المعروفة بشروط كرزون الأربعة وهي:

١- قطع كل صلة بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة.

٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلًا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

ويُؤكد أرنست أ.ر أفرور. وصديقه آرنست باك. وبمراجعة كتاب أرمسترونج «الذنب الأغبر»: عن حياة مصطفى كمال: أنه كان ماسونيًا، وأن المحفل الإيطالي الذي ساعد الاتحاديين عام ١٩٠٨م على نجاح حركتهم كان معاونًا له نجاح حركته، ولعله أحس بعد أن نجحت حركته أنه لا حاجة إلى الجمعيات الماسونية في بلاده، فألغاها بعد أن تحققت كل أهدافها.

### مَنْ هو مصطفى كمال؟؟

ولا شك أن العنف الذي واجه به مصطفى كمال مؤسسات الإسلام، وما قام به من دحر لنفوذه في تركيا، يكشف بوضوح عن أنه كان من أخلص رجال المحافل الماسونية، بل يصل إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد ما ردده كثير من الباحثين من: أن مصطفى كمال نفسه من أصل يهودي من الدونمة في سالونيك، وأنه كان يتخفى بالمكر والخديعة في معاركه حتى استطاع كسب قلوب المسلمين، فأرسلوا له من التبرعات والأموال الشيء الكثير حتى إذا تمكن من امتلاك أزمة الأمور سحق أنصار الإسلام سحقًا.

### والواضح من دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال أمور عدة:

**أولًا-** أنه لم يكنْ هو القائد معركة التحرير ضد القوات الأوروبية واليونانية، وإنما هو الذي سيطر على هذه القوات من بعد، وسحب أسماء الأبطال الذين بدأوا هذه المعارك، وكان لهم دور كبير في تحقيق النصر، وإن الفضل الأول كان للقائد قرة بكير وغيره.

**ثانيًا-** إن أوربا قد سلمت لمصطفى كمال بزعامة تركيا، وانسحبت أمامه بعد أن وقع على وثيقة رسمية دولية في مؤتمر الصلح، قرر فيها إزالة الإسلام والخلافة، وإخراج زعماء المسلمين، والحكم بالقوانين الغربية، وإلغاء اللغة العربية بعد أن اطمأنت إلى تركيا عنصر المخافة قد انتهت.

**ثالثًا-** إن هذه البطولة التي حكيت لها أثوابها، ووضعت في هذا الطابع من الروعة والبهاء، إنما كانت خدعة النفوذ الاستعمار لتأكيد وجوده وسلطانه، ومنحه القوة على تدمير كل المؤسسات الإسلامية، حتى لا يبقى منها شيء يخيف أوربا، أو يزعج اليهودية العالمية، التي كانت تطمع منذ وقت بعيد إلى أحد أمرين.

القضاء على الدولة العثمانية، واتخاذ إلغاء الخلافة الإسلامية طريقًا للوصول إلى فلسطين.

وظهر على حقيقته. ولقد دفع مصطفى كمال تركيا دفعًا قويًا إلى العلمانية، وألغى القوانين الإسلامية، واضطهد المسلمين والإسلام أبشع اضطهاد، وقتل العشرات، وعلق جثثهم على أعواد الشجر، وأغلق المساجد، ومنع الآذان والصلاة باللغة العربية، وأعاد مسجد أيا صوفيا كنيسة ومتحفًا، واستبدل بالشريعة الإسلامية قانونًا وضعيًا، واتخذ الحروف اللاتينية بدلًا من العربية في كتابة الأبجدية التركية، وألغى تدريس الإسلام في المدارس والجامعات، ودعا إلى قومية طورانية عرقية متصلة الأواصر بالوثنيين السابقين للإسلام.

ولقد كان منفذًا أمينًا للمخطط الذي رسمه الاستعمار واليهودية العالمية، وهو إزالة الخلافة وفصل تركيا عن العالم الإسلامي والأمة العربية، وبذلك حقق مصطفى كمال في العالم الإسلامي وفي مواجهة العروبة أخطر حركة استغراب، وفرضها فرضًا على الأمة التركية، ولم يحققها تدريجيًا، أو على نحو التقبل والتطور والمرونة.

فقد كان مدفوعًا من القوى الأجنبية إلى تنفيذ ذلك في أقصى سرعة وأبعد مدى، وإقامة هذا النظام على أساس السلطة الحاكمة والقوانين والإرهاب الدموي، وذلك حتى لا توجد ثغرة من بعد للتفتح على الإسلام من جديد، أو الترابط بين العرب والترك، ولقد جمع الاتحاديون الشمل المشتت بعد الحرب العالمية خلف مصطفى كمال فتسموا بالقوى الكمالية.

ولا فارق بين الدعوة الاتحادية والدعوة الكمالية في أبرز مخططاتها، وهو إعلاء العنصرية التركية وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وتنفيذ نظام سياسي واجتماعي غربي لا ديني منفصل عن الإسلام والشريعة والقيم والمعتقدات الإسلامية التي عرفتها الدولة العثمانية أكثر من أربعمائة عام، وقبل قيام الدولة العثمانية كان الأتراك مسلمين منذ عهد العباسيين.

**آراء مؤرخي الغرب:**

ولقد كان انتماء تركيا إلى الغرب سبة في تاريخها، فلم تسلم من قلم مؤرخ أو فيلسوف، فما استطاعت تركيا أن تعطي الحضارة الغربية شيئًا ما بعد أن انتمت إليها كما أعطتها شعوبها، إلا أنها كانت ولا تزال ذيلًا لها.

وقد أشار أرنولد توينبي إلى ذلك صراحة في موسوعته وقال: إن تركيا حين تغربت لم تقدم شيئًا إلى الغرب أو جديدًا إلى الحضارة، وعاشت عالة على القوانين والمنظمات الغربية.

وكما قال عبد الله التل: كان تخلي تركيا عن الإسلام ثمنًا لتأييد دول الحلفاء لها في حركتها التي قادها مصطفى كمال، ولقد كان الوسيط الذي أشرف على اتفاق الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام«حاييم ناحوم» الذي كان رئيسًا لليهود في تركيا قبل انتقاله إلى مصر، وهو الوسيط القوى الذي أوفده مصطفى كمال إلى دول الغرب في مؤتمر لوزان فحقق لتركيا ما أراد الغرب.

**دراسات جادة:** وقد ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات جادة تكشف حقيقة«كمال أتاتورك» منها كتاب الدكتور رضا نور، حيث كشف جرائم أتاتورك وماخزيه وخياناته في أكثر من ألفين من الصفحات تحت عنوان: «حياتي وذكرياتي» كما صدر كتاب«الرجل الصنم» لأحد الضباط المقربين من أتاتورك.

وقد هدمتْ هذه المؤلفات بناء الأكذوبة الأسطورية التي خدعتْ الأتراك والمسلمين في بعض البلاد إلى حين، وألقت الأضواء الحقيقية على حياة المغامر الخطير، بل لقد تحدثت في جرأة شديدة على مولده وظروف حياته الأولى.

بل إن هذه الظروف قد أوردتها كتب ناصرت أتاتورك، وأهمها كتاب «الذئب الأغبر» الذي يقول بالنص: كان بفطرته ثائرًا لا يحترم رئيسًا أو إنسانًا، أو وضعًا من

الأوضاع، ولا يقبح شيئًا على الإطلاق. وإنه كان يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر في المقاهي وأوكار الغرام، وقد مارس جميع الرذائل، وجرب كل الموبقات، وانغمس فيها حتى أذنيه، ثم دفع الثمن مرضًا جنسيًا وصحة منهارة.

ويقول أر مسترونج أيضًا: إنه كان ولوعًا بالأحاديث الخليعة، والإفراط في الشراب والمغامرات الماجنة والليالى الحمراء في رفقة النساء، وهناك جوانب أخرى يعف القلم عن ذكرها أو ترديدها.

**عنف وتسلط:**

وعندما نستعرض حياة كمال أتاتورك منذ تولى السلطة حتى وفاته ١٩٣٨م نجد صورة عاصفة من العنف والظلم والتسلط البالغ المدى في سبيل تثبيت دعائم هذا النظام الوافد، وآية ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا وروسيا الشيوعية في آنٍ واحد.

وأبرز هذه المواقف صلته بالإنجليز، وما تحمله الوثائق مشيرة إلى عبارة: قيامه ببيع الوطن إلى الإنجليز، ومن ذلك موقفه إبان المرض عندما استدعى السفير البريطاني في تركيا، وطلب إليه أن يتولى منصب رئيس جمهورية تركيا وفزعت بريطانيا لذلك.

ولقد استطاع أن يُحقق للصهيونية العالمية خطتها في السيطرة بإلغاء الخلافة والوجهة الإسلامية والحروف العربية والشريعة والمواريث والأوقاف والتعليم الدينى.

**إسقاط الخلافة الإسلامية:**

وإذا كانت تركيا تحاول أن تعود اليوم إلى طابعها الإسلامي الأصيل فإن محاذير كثيرة تعمل لتصدها عن تحقيق هذه الغاية، ولكن الله غالب على أمره ولكن التجربة كلها تثبيت أن مجاوزة الفطرة، ومحاربة الدين هي محاولة باطلة لا يمكن أن تستمر، ولابد أن يحطمها الزمن لمجافاتها لسنن الأمم والحضارات والتاريخ.

وإذا أردنا أن نتحدث عن كمال أتاتورك في كلمة قلنا: إن تاريخه قد ارتبط بأخطر حدث في تاريخ الإسلام وهو إلغاء الخلافة الإسلامية بعد تدمير الدولة العثمانية أكبر مركز تجمع للأمة الإسلامية، وهو آخر المراحل التي تطلع إليها الاستعمار واليهودية العالمية من أجل تمزيق وحدة الإسلام والعروبة، والقضاء على آخر صرح جامع للعرب والترك يحمل لواء الجامعة الإسلامية، ويتنادى بالمسلمين في كل بقاع الأرض.

لقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤م من أخطر الأحداث في العالم كله، وسيظل من الأعمال الكبرى ضد الإسلام، وسيحمل لاسم مصطفى كمال أكبر التبعات في حكم التاريخ، فقد فتح الباب واسعًا أمام صراع الإقليميات والقوميات التي تتحرك في فراغ، دون أن ترتبط بدائرة أساسية هي دائرة الفكر الإسلامي، أو الوحدة الإسلامية للجامعة في مجال الجغرافيا أو في مجال الفكر.

غير أن إلغاء الخلافة الإسلامية لم يحقق ما توقعه الاستعمار واليهودية العالمية من تمزق الإسلام أو اضطراب المسلمين والعرب، الذين أغرقوا على التو في أتون الأجناس والعصبيات والعنصرية، بقصد تعميق عوامل الخلاف ودعمها، والحيلولة دون قيام وحدة فكرية أو اجتماعية بينهم، لقد ركزت هذه الدعوات التغريبية على الازدراء بالخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية، وعلى إثارة الصراع بين الإسلام والعروبة، وبين القومية والوطنية، وبين الإقليمية والقومية، وبين العناصر المختلفة وبين الأديان والمذاهب، وذلك كله لإذابة كل هدف سليم واضح تطرحه حركة اليقظة الإسلامية في الطريق الصحيح إلى معرفة الحقيقة، وإلى اتخاذ الأسلوب الأصيل لمواجهة الأخطار، ونتيجة للضعف السياسي الذي كان يمر بالعالم الإسلامي.

فقد عجز قادة المسلمين عن إعادة بناء الخلافة الإسلامية مرة أخرى بعد أن أسقطها مصطفى كمال، وإن ظلت عنصرًا أساسيًا في مناهج الدعوات الإسلامية، وخطة واضحة في برنامج حركة اليقظة العربية الإسلامية.

وما زال المسلمون يبحثون عن صيغة تحمل لواء الوحدة بديلًا من الخلافة أو مقدمة لها، ولقد كانتْ مكة وجامعتها في أيام الحج، وكان الأزهر من القوى التي ساندتْ حركة اليقظة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، وكان انتعاش السلفية الجديدة في الجزيرة العربية واليقظة الإسلامية في مصر وباكستان وغيرها، من علامات التعويض السريع، ثم جاءت بعد ذلك مؤتمرات التضامن الإسلامي، وما زالت تخطو خطوات بطيئة ولكنها ثابتة.

**آثار إلغاء الخلافة:**

وقد صور الدكتور عبد الوهاب عزام الآثار التي ترتبت على إلغاء الخلافة في العالم الإسلامي فقال: إن عمل الكماليين من بعد دل على أنَّ إلغاء الخلافة لم يكن نزوة عابرة، بل كان الحلقة الأولى في سلسة مصنوعة، والخطوة الأولى من خطة موضوعة، خطة أملاها عليهم الروس والإنجليز وأوربا.

لقد كان إلغاء الخلافة من هذه الخطوب المكفهرة لحل رباط حزمة من التعصب في ريح عاصفة بلغتْ من المسلمين أسوأ مبلغ، وبلغت بأعدائهم أبعد غاية، ولا يُنكر هذا إلا جاهل بطبائع الأمم، وأحسب أن الإنجليز كان يهون عليهم أن يبذلون ملايين الجنيهات ليبلغوا الغاية التي بلغهم إياها الكماليون بغير بذلٍ ولا كدٍ.

**أمر مقرر؟؟**

وهناك من الدلائل ما يُؤكد أنَّ إلغاء الخلافة الإسلامية كان أمرًا مقررًا منذ اليوم الأول للانقلاب العثماني الذي قام بإسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م، ولكنه نُفِذَ على مراحل، واتخذت إجراءاته واحدة بعد أخرى، حتى تم تنفيذه على يد مصطفى كمال عام ١٩٢٤م، بعد أن أسقط الخلافة الإسلامية، وأقام بدلًا منها خلافة منفصلة عن السلطنة توطئة للإجهاز عليها، جملة.

وسيظل تاريخ مصطفى كمال أتاتورك مرتبطًا بإسقاط الخلافة الإسلامية إلى أن تعود بإذن الله تبارك وتعالى خلال القرن الخامس عشر(١).

## اللعبة العالمية للقضاء على الخلافة العثمانية

وتعالى أخي المسلم لنرى تلك المسرحية التي يقوم بها كثير من الأعداء لتحقيق أهدافهم والصعود على أكتاف أبطالها... إنها اللعبة الكبرى التي يخدع بها العدو عدوه... إنها نفس اللعبة التي قام بها الأمريكان لغزو العراق وغيره من الدول الإسلامية...

«كانت اللعبة العالمية للقضاء على الخلافة العثمانية نهائيًا تستدعي اصطناع بطل تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة، وتعلق الأمة الإسلامية اليائسة فيه أملها الكبير وحلمها المنشود، وفي أوج عظمته وانتفاخه ينقض على الرمق الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهز عليها، وهذا أفضل قطعًا من كل الـ«مائة مشروع لتقسيم تركيا» وهدم الإسلام(٢).

وتمت صناعة البطل بواسطة المخابرات الإنجليزية بنجاح باهر، وظهر مصطفى كمال بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا أزمير بتمكين من بريطانيا سنة ١٣٣٨هـ وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول، فقام مصطفى كمال باستشارة روح الجهاد في الأتراك، ورفع القرآن، ورد اليونانيين على أعقابهم، وتراجعتْ أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته، وأخلت أمامه المواقع، وبدأ مصطفى كمال يطفو على السطح تدريجيًا فقد ابتهج العالم الإسلامي، وأطلق عليه لقب الغازى ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء.

---

(١) هذا المقال من موقع التاريخ https: / / secure25.nocdirect.com /~altareek / doc

(٢) انظر: «العلمانية، د. سفر الحوالى» (ص ٥٦٩).

فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة[(١)]

اللهُ أكبرُ كَمْ فِي الفتحِ مِنْ عجبٍ      يَاخالدَ التركِ جَددْ خَالدَ العربِ

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

حذوتَ حربَ الصَّلاحِيينَ فِي زمنٍ      فِيه القتالُ بِلا شرعٍ وَلا أدبٍ

وشبه انتصار بدر فيقول:

يَومُ كبدرٍ فَخيلُ الحقِ راقصُه      عَلى الصعيدِ وَخيلُ اللهِ فِي السحبِ

تهيئةُ أَيُّها الغازي وَتهنئةُ      بآيةِ الفتحِ تَبقَى آيةُ الحقبِ[(٢)]

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر باستسلام الخليفة وحيد الدين محمد السادس القابع في الأستانة مستكينًا لما يجرى عليه من الذل، كبر في نظرهم الأول بمقدار ما يهون الثاني، وزاد في سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهدار دم مصطفى كمال واعتباره عاصيًا متمردًا.

ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلًا مكافحًا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة، الذي خيل إليهم أن الخليفة يُمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

ولكنه لم يلبثْ غير قليل حتى ظهر على حقيقته صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة إنجلترا التي رأت أن إلغاء الخلافة ليس بالأمر الهين، وإن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل وإعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله وتصويره، وكأنَّ الكرامات تجري على يديه وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه بلا ألم عميق إذ الشعور قد تخدّر من نشوة الانتصارات الزائفة، فالخلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل وطلبوا من السلطان إخمادها، واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ليصبح

(١) حاضر العالم الإسلامي «١/ ١١١».

(٢) حاضر العالم الإسلامي «١/ ١١١».

محط آمال الناس، وموضع تقدير ضباط الجيش فتتصاعد مكانته وهيبته، وتتدهور سمعة الخليفة، وينحط مركز الخلافة في أعين الناس، فألاعيب الإنجليزية لا تدرك بسهولة(١).

لقد استطاعتْ المخابرات الإنجليزية أن تجد ضالتها المنشودة في شخصية مصطفى كمال، وكانت تلك العلاقة بين المخابرات الإنجليزية ومصطفى كمال بواسطة رجل المخابرات الإنجليزي «أرمسترونج» الذي تعززت علاقته في فلسطين وسورية، عندما كان مصطفى كمال قائدًا هناك في الجيش العثماني.

نجد أرمسترونج في كتابه عن مصطفى كمال يضع إصبعه بصراحة على بداية العقد النفسية عند مصطفى كمال حينما يُشير إلى الزواج الثاني لوالدته من أحد الروديسيين الميسورين، وانقطاعه عن زيارتها ولجوئه إلى أصحابه من الرهبان المقدونيين، الذين تلقفوه فلقنوه مبادئ اللغة الفرنسية، مع صديقه المقدوني «فتحي». فاتهما كتب فولتير وروسو ومؤلفات هوبز وجون ستيورات ميل وغيرها من الكتب الممنوعة، حتى أصبح ينظم الشعر الملتهب بمشاعر القومية، ويخطب في ملائه بالكلية العسكرية، فيحدثهم عن فساد السلطان، قبل أن يتجاوز العشرين من العمر، ثم انتقل إلى إستانبول وانغمس في ملاهيها وحاناتها، وراح يشرب ويُقامر ويغازل، قبل أن يسجن لانضمامه إلى «جمعية وطن»(٢).

ويشهد أرمسترونج بعلاقة الاتحاد والترقي بالدونمة والماسونية في معرض تاريخه لحياة مصطفى كمال فيذكر كيف «دعى لحضور أحد اجتماعاتها في بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية، والجمعيات الماسونية الإيطالية إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية، وقد دأب الاتحاديون على الاحتماء بحصانة

(١) «تاريخ الدولة العثمانية» (ص ٢٧٧).

(٢) «صحوة الرجل المريض» (ص ٢٦٦،٢٦٥).

اليهود، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر، وكان بعضهم كفتحي المقدوني صديق كمال قديم، قد انضم إلى جماعة الماسون «البنائين الأحرار» ويروي كيف استعانوا على تأليف جمعيتهم الثورية، وتنظيمها باقتباس أساليب المنظمات الماسونية، وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات، ويتصلون باللاجئين السياسيين الذين نفاهم السلطان إلى خارج البلاد».

ويكشف أرمسترونج كيف وقع الاختيار على مصطفى كمال وحده، من دون بقية أقرانه، لتنفيذ آخر خطوة في الخطة البريطانية فيقول: « إن طبيعته كانت تميل إلى أن يكون الآمر الناهي، فلم يظهر أي احترام لزعماء الاتحاديين، وتشاجر مع: أنور وجمال وجاويد اليهودي الأصل، ونيازي الألماني المتوحش، وطلعت الدب الكبير، الذي كان موظفًا صغيرًا في مصلحة البريد.

وبعد أن تحول مصطفى كمال من مجرد ضابط صغير ثائر على الأوضاع إلى قائد عسكري يملك رصيدًا من الأمجاد والانتصارات لقبت بـ«الغازي» بفضل نفوذ رجال الاستخبارات البريطانية، ويذكرنا أرمسترونج صفحة جديدة من حياته الخاصة بعد كشفه عن مجونه وفسقه، وأهليته لنسف الخلافة الإسلامية، فيتطرق إلى زواجه الأسطوري من «لطيفة» تلك الفتاة الأميرية الموسرة التي عادت لتوها من باريس لتقدم خبراتها الإدارية وثقافتها العصرية وإجادتها لعدة لغات فضلًا عن أنوثتها وسحرها مع قصر أبيها الفاخر في أزمير إلى الغازي مصطفى كمال، الذي أوقعته في حبائلها بتمنعها ودلالها فتخلص من «فكرية» التي أرسلها إلى ميونخ للعلاج من المرض الذي نقله إليها، ثم دبر أمر انتحارها كما تخلص من«صالحة» ليقوم بزواج خاطف من «لطيفة» بعد أفسد حياة «سعادت» وعشرات البنات والنساء والغلمان وغيرها، كما تُؤكد ذلك الوثائق التي تركها أحد زملائه من الضباط المتقاعدين(١). وقد كانت لطيفة نفسها ضحية من

(١) «صحوة الرجل المريض» (ص ٢٦٧).

ضحاياه، فيما بعد، حيث طلقها بقرار وزاري، وتركها فريسة للأمراض والأوجاع، بعد تحذيرها للصمت من كل شذوذه، ولم تبق بجانبه إلا «عفت»، تلك الفنانة التي كانت له معلمة ومؤرخة، حتى استطاعت أن تقود ذلك الوحش على حد تعبير بأسلوب الخضوع والعبودية له.

ولكن «لطيفة» هانم أشاكي كيل لك يمنعها قانون حماية مصطفى كمال من أي هجوم أو نقد من التلميح بين سطور مذكراتها التي نشرتها صحيفة«الحرية» التركية في حزيران«يونيو» عام ١٩٧٣ من تسليط بعض الأضواء على حياة أتاتورك الخاصة وأفراطه في الشرب، محاولة إلقاء المسؤولية على أصحابه وزملائه أمثال: «قلج علي» و«نوري جنكر»، و«رجب هدى» الذي كانوا يتعمدون إهدار وقته وهم مجموعة من القتلة والأشقياء المعروفين الذين ضمهم إلى حاشيته ولحراسته، وأصبح بعضهم يرفع الكلفة معه إلى أبعد الحدود بعد تنفيذهم للعديد من المهمات الإجرامية التي كلفهم بها للتخلص من بعض خصومه(١).

إن تلك الأخلاق العفنة التي اشتهر بها مصطفى كمال لا تستغرب منه خصوصًا عندما نعلم أن أصله من يهود الدونمة.

فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية:«لقد أكد الكثير من اليهود سلانيك أن كمال أتاتورك كان أصله من الدونمة، وهذا هو أيضًا رأى الإسلاميين المعارضين لكمال آتاتورك، ولكن الحكومة تنكر ذلك»(٢).

ويعلق توينبي على نسب مصطفى كمال قائلًا: «إن دمًا يهوديًا يجري في عروق الأسرة الكمالية. فقد كانت سلانيك مهبط اليهود أيام محنتهم. وقد درؤوا عقائدهم باعتناق

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص ٢٦٧).

(٢) «يهود الدونمة، د. النعيمي (ص ٨٧إلى ٨٩).

الإسلام. ولكن طبائع مصطفى كمال، ولون عينه وتكوينه الجسمي يبعده عن أن يكون متأثرًا بدماء يهودية»[(١)].

ويقول أسامة عيناي: «أن الدونمة يعتزون كثيرًا بأتاتورك ويعتقدون اعتقادًا راسخًا أنه منهم وحجتهم في ذلك أن أتاتورك أسفر عن نياته ضد الإسلام حين تولى الحكم»[(٢)].

إنَّ أفعال مصطفى كمال دلتْ على بغضه للإسلام فيما بعد، فبينما كان في عام ١٣٣٧هـ عندما انتصر على اليونان في أنقرة يعلن أمام الشعب: «إنَّ كل التدابير التي ستتخذ لا يقصد منها غير الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي»[(٣)]، نجده بعد أن تمكن من العباد والبلاد في عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م تعلن الجمعية الوطنية التركية بزعامته عن قيام الجمهورية التركية، وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتًا بالخلافة فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة بدلًا من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة، ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم»[(٤)].

كان الخليفة عبد المجيد رجلًا مهذبًا مثقفًا كما يليق بسلالة بني عثمان، وقد أصبح في نظر الأتراك الصلة الحية بالتراث والتاريخ العثماني الإسلامي، وكانت جماهير إستانبول تهرع لإلقاء نظرة عليه، وتحيته كل جمعة وهو في طريقه لأداء الفريضة، وكان الخليفة مدركًا تمام الإدراك مكانة منصبه السامية، وعراقة السلالة التي ينتمي إليها، فكان مرة يرتدي عمامة محمد الفاتح، وثانية يتقلد لسيف السلطان سليمان القانوني.

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٩٠).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص٩٤).

(٣) انظر: «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٢).

(٤) انظر: «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٢).

استشاط مصطفى كمال غيظًا فما كان ليطيق أن يرى أو يسمع عن محبة الناس وتعلقهم بآل عثمان وبالخلافة والسلطنة، فمنع الخليفة من الخروج للصلاة ثم خفض مخصصاته للنصف وحكم مصطفى كمال البلاد بالحديد والنار، وضمن تأييد الدول العظمى لسياسته التعسفية.

دعا مصطفى كمال الجمعية التأسيسية إلى اجتماع في ٣ آذار/ مارس ١٩٢٤م، وكان على ثقة تامة من أنَّ أحدًا في الجمعية التأسيسية التي لم يبق منها سوى اسمها ولن يجرؤ على معارضته، وطرح على الجمعية مشروع قرار بإلغاء الخلافة التي أسماها «هذا الورم من القرون الوسطى»[١]، وقد أجيز القرار الذي شمل نفى الخليفة في اليوم التالي دون مناقشة، وانطفأت على يد مصطفى كمال شعلة الخلافة التي كان المسلمون طيلة القرون يستمدون من بقائها رمز وحدتهم واستمرار كيانهم[٢].

لقد كان مصطفى كمال يُنفذ مخططًا مرسومًا له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية، فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢٣م على تركيا فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع «وهو رئيس الوفد الإنجليزي في مؤتمر لوزان» وهي:

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تامًا.

٣- إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد، ومصادرة أموال الخليفة.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلًا من دستور تركيا القديم[٣].

---

(١) انظر: «التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي» لمحمد أبو غدة (ص ١١٠).

(٢) المصدر السابق نفسه (ص ١١٠).

(٣) انظر: «تاريخ الدولة العثماني» د. علي حسون (ص ٢٨٧).

لقد نفذ مصطفى كمال المخطط كاملًا، وابتعد عن الخطوط الإسلامية، ودخلت تركيا لعمليات التغريب البشعة؛ فألغيتْ وزارة الأوقاف سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وعهد بشؤونها إلى وزارة المعارف.

وفي عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م أغلقتْ المساجد، وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني وواجهت كل نقد ديني لتدبيرها بالعنف. وفى عام (١٣٥٠-١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م» حددت عدد المساجد، ولم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم.

وتمادى مصطفى كمال في تهجمه على المساجد فخفض عدد الواعظين الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى ثلاثمائة واعظ، وأمرهم أن يفسحوا في خطبة الجمعة مجالًا واسعًا للتحدث على الشؤون الزراعية والصناعية، وسياسة الدولة وكيل المديح له. وأغلق أشهر جامعين في إستانبول وحول أولهما وهو مسجد آيا صوفيا إلى متحف، وحول ثانيهما وهو مسجد الفاتح إلى مستودع.

أما الشريعة الإسلامية فقد استبدلت وحل محلها قانون مدني أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسري عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م. وغيرت التقويم الهجري واستخدمت التقويم الجريغوري الغربي، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغيًا في كل أنحاء تركيا، وحل محله عام ١٩٢٦م.

- وفي دستور عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٧م أغفل النص على أنَّ تركيا دولة إسلامية، وغير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلًا من أنْ يحلفوا بالله كما كان عليه الأمر من قبل.

- وفي عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم يعد الجمعة، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد، وأصبحت عطلة نهاية الأسبوع تبدأ منذ ظهر يوم السبت، وتستمر حتى صباح يوم الاثنين.

- وأهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة، ثم تمَّ إلغاءه بل كانت كلية الشريعة في جامعة إستانبول بدأت تُقلل من أعداد طلابها التي أغلقت عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م.

- وأمنعت حكومة مصطفى كمال في حركة التغريب فأصدرت قرارًا بإلغاء لبس الطربوش، وأمرت بلبس القبعة تشبهًا بالدول الأوروبية(١).

- وفي عام ١٣٤٨هـ /١٩٢٩م بدأت الحكومة تفرض إجباريًا استخدام الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلًا من الأحرف العربية. وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف اللاتينية، وحذفت من الكليات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية، وحرم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية، وأما الكتب التي سبق لمطابع إستانبول أن طبعتها في العهود السالفة، فقد صدرتْ إلى مصر، وفارس، والهند، وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامي من ناحية، وما بينها وبين المسلمين في سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى(٢).

- وأخذ أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روح القومية، واستغل ما نادى به بعض المؤرخين من أنَّ لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد ما بين

---

(١) انظر: «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٥).

(٢) المصدر السابق نفسه (١/ ١١٥).

النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال: بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم بعد أن حارب كل نشاط إسلامي، وخلع مصطفى كمال على نفسه «أتاتورك» ومعناه: أبو الأتراك(١).

- وعملتْ حكومته على الاهتمام بكل ما هو أوروبي فازدهرتْ الفنون وأُقيمتْ التماثيل لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى كلها، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا والنمسا(٢).

- وعلمت حكومته على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور، وألغى قوامه الرجل على المرأة، وأطلق لها العنان باسم الحرية والمساواة، وشجع الحفلات الراقصة، والمسارح المختلطة والرقص.

- وفي زواجه من لطيفة هانم ابنة أحد أغنياء أزمير الذين كانوا على صلة كبيرة مع اليهود من سكان أزمير، أجرى مراسم الزواج على الطريقة الغربية كي يُشجع على نبذ العادات الإسلامية، واصطحبها وطاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال، وترتدي أحدث الأزياء المعينة على التبرج الصارخ(٣).

- وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية ففقد كل معانيه ومدلولاته، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية(٤).

---

(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٥).

(٢) «المسألة الشرقية» للدسوقي (ص ٤٢٨-٤٣٢).

(٣) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٦).

(٤) المصدر السابق نفسه (١/ ١١٦).

- عمل على تغيير المناهج الدراسية وأُعيد كتابة التاريخ من أجل إبراز الماضي التركي القومي، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حثية قديمة.

- وأعلنت الدولة عزمها في التوجيه نحو أوروبا وانفصلت عن العالم الإسلامي والعربي، وأمنعت حكومتها من استدبار الإسلام حتى حاربت بقسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المبادئ الإسلامية(١).

وكان خطوات مصطفى كمال هذه بعيدة الأثر في مصر وأفغانستان وإيران والهند الإسلامية، وتركستان، وفي كل مكان من العالم الإسلامي، إذ أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الاستعمارية أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا في مجال التقدم والنهضة المزعومة، فقد هللت له صحف مصر الأهرام، والسياسة والمقطم ذات الاتجاهات المضادة للإسلام، والمدعومة النفوذ الغربي واليهودي والماسوني.

لقد بررتْ تلك الصحف تصرفات كمال أتاتورك ووافقتْ عما ابتدعه، ونشرت له أقوال: «ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين». وأنه -أي مصطفى كمال-: «ألقى القرآن ذات يوم من يده فقال: إن ارتقاء الشعوب لا يصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سُنتْ في العصور الغابرة».

لقد كانت حكومة تركيا العلمانية الكمالية هي كما وصفها الأمير شكيب أرسلان ليست حكومة دينية من طراز فرنسا والإنكلترا فحسب، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء، إذ إنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغي الكنائس(٢).

---

(١) «الاتجاهات الوطنية» لمحمد حسين (٢ / ١٠٠).

(٢) «العلمانية» د. سفر الحوالي (ص٥٧٣)

وكان للإعلام اليهودي دور كبير في الترويج لهذه الردة، مثلما كان له دوره البارز في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية، وكانت تُزين له أن ما يقوم به من المذابح والوحشية ضد المسلمين ليست سوى معارك بطولية، كما كانت منبرًا لكل دعوات التشبه بالغرب الصليبي والمناداة بالحرية الفاجرة للمرأة التركية، والترويج لفنون الانحلال الخلقي معتبرة أن شرب الخمر والمقامرة والزنا ليست إلا مظاهر للتمدن والتحضر(١).

إنَّ الحقيقة المرة أنَّ مصطفى كمال أصبح نموذجًا صارخًا للحكام في العالم الإسلامي، وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات مَنْ جاء بعده منهم، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبررًا كافيًا للقضاء على الإسلام، فإنَّ فرنسا مثلًا بررت حرصها على تنصير بلاد شمال الإفريقي وإخراجها من دينها وعقيدتها وإسلامها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم(٢).

لقد أصبح مصطفى كمال زعيمًا روحيًا لكثير من الحكام الذين باعوا آخرتهم بدنياهم الزائلة.

قاد المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام وظهرت أهم الثورات في المنطقة الجنوبية الشرقية عام ١٣٤٤هـ، ثم في منيمين عام ١٣٤٩هـ وقد قمعها الكماليون بشدة منقطعة النظير، وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء، وأهملتْ المنطقة اقتصاديًا وعلميًا.

وقامت حركة النور بزعامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورس وتلاميذه من بعده، وقد كتب العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان «رسائل النور» في سبيل التوعية الإسلامية، ومقاومة مبادئ الكماليين والعلمانية، ولم تعمد حركته إلى حمل السلاح،

---

(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٧).

(٢) «العلمانية» د. سفر الحوالي (ص ٥٧٣).

واقتصر جهادها على اللسان. وقد حاول أتاتورك استمالته ونافشه، واستنكر دعوته الناس إلى الصلاة مدعيًا أنها تُثير الفرقة بين أعضاء المجلس فأجابه: «إنَّ أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي في الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود»(١).

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمؤامرة لقلب نظام الحكم، ولكن دعوته استمرتْ في الانتشار سرًا بين صفوف الجامعين ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة، ومثل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة أتاتورك بالدجال، فوقف أمام المحكمة وقال: «إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية، على حين يحق للمارقين الافتراء على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعد ذلك أمرًا مقدسًا لأنه حرية. أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة..

اسمعوا يا مَنْ بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق: إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة افعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداءً لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام...»(٢).

فأُعيد إلى منفاه وبقي حتى عام ١٣٦٧هـ حين بدأتْ الحكومة تضطر للاستجابة لمطالب الشعب المسلم بخصوص النشاط الديني(٣).

لقد تجلتْ سياسة أتاتورك العلمانية في برنامج حزبه «حزب الشعب الجمهوري» لعام ١٣٤٩هـ مرة وعام ١٣٥٥هـ مرة ثانية، والتي نص عليها الدستور التركي وهي

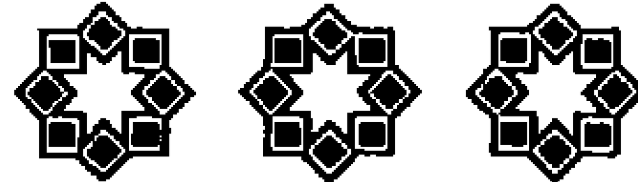
---

(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٧).

(٢، ٣) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١٢٢).

مبادئ الستة التي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي: القومية، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورة، سلطة الدولة»[١].

تُوفي أتاتورك عام ١٣٥٦هـ بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين. لقد أُصِيب مصطفى كمال بمرض قبل وفاته بسنين بمرض عضال في الكلية لم تعرف كنهته. وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لا تُطاق، كانت السبب في إدمانه على شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد والتهاب في أعصابه الطرفية، وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء، وقد تدهور في المستويات العليا للمخ لذلك كان هذا الديكتاتور مثلًا فريد في القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة[٢] [٣].



(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١١٦).

(٢) «المسألة الشرقية»، محمد ثابت الشاذلي (ص ٢٤٢).

(٣) «الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط».

الفصل الثامن

# المؤامرة في الحروب الصليبية الجديدة

أخي المسلم.. أختي المسلمة.. بعد هذه الرحلة التي بدأتها معكم من المؤامرة منذ سيدنا نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم هيا لنرى حقيقة المؤامرة الصليبية على الإسلام والمسلمين في عصرنا المليئ بالفتن والمحن تلك الفتن وتلك المؤامرات التي عمى عنها هؤلاء الذين يزعمون أن لا مؤامرة على الإسلام والمسلمين، إنَّ الغرب لا يرضى منا إلا بالكفر بالله، والدخول في دينهم، ولو قدمنا لهم عيوننا على أطباق من ذهب فلن يرضهم ذلك وصدق الله العظيم إذ يُخبرنا عن تلك الحقيقة فيقول وهو أصدق القائلين: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فقد سقطتْ الخلافة في الأندلس فلم يرضهم ذلك حتى أخرجوهم من دينهم وديارهم، ثم سقطتْ الخلافة العثمانية فهل أرضاهم ذلك؟ كلا إنهم لن يرضهم إلا كما قال الله تعالى في كتابه...

فالحرب مازالتْ على قدم وساق، ولن تنتهي الحرب بيننا وبينهم يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦-٢١٧].

## المؤامرة الغربية على الإسلام

اعلم علمني الله وإياك: أنَّ الحروب الصليبية مستمرة: وأنَّ الغرب يبني علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه، ولكن كثيرًا من المغفلين لا يرى إلا أنفه فينفي تلك الفكرة، ولا يقر بها والسبب في ذلك: المصالح والأهواء الشخصية، وأنهم أضحوا لعبة في يد هؤلاء المتآمرين...، ولكن كيف يبني الغرب سياسته معنا؟

إليك أخي الحبيب بيان ذلك من أقوالهم ومخططاتهم:

**١- فسياسة أمريكا معنا تُخطط على هذه الأسس:**

يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م يقول:

« يجب أن نُدرك أنَّ الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية». لقد كان الصراع محتدمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة.

ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

ويُتابع: «إنَّ الظروف التاريخية تُؤكد أنَّ أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إنْ فعلت

عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها. إنَّ روستو يُحدد أنَّ هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمرارًا للحروب الصليبية[(١)].

**٢- والحروب الصليبية الثامنة قادها اللنبي:**

يقول باترسون سمث في كتابه «حياة المسيح الشعبية»: «باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثًا خطيرًا وقع بعد ذلك، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة اللنبي على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة»[(٢)].

لذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبي وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: «اليوم انتهت الحروب الصليبية».

ونشرت هذه الصحف خبرًا آخر يُبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها، قالت الصحف: هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطانية الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة.

**٣- والفرنسيون أيضًا صليبيون:** فالجنرال غورو عندما تغلَّب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فورًا إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له: «ها قد عدنا يا صلاح الدين»[(٣)].

---

(١) «معركة المصير» (ص ٨٧-٩٤).

(٢) «مجلة الطليعة القاهرية»، مقال وليم سليمان، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ (ص ٨٤).

(٣) «القومية والغزو الفكري» ( ص ٨٤).

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب»(١).

## الاعتراف سيد الأدلة

وهذه مجموعة من الأقوال التي تلفظ بها هؤلاء المجرمون وأعلنوا بها في مؤتمراتهم وكتبهم وهي تحمل في طياتها ما تُكنه صدورهم للإسلام والمسلمين وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

قال القرطبي: «نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم. وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢) وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنَّ ههنا رجلًا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين».

---

(١) «مأساة مراكش روم رولاند» (ص ٣١٠).

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال النووي: إسناده صحيح وقال الألباني والحديث حسن لغيره انظر «الصحيحة» رقم «٩٢٧».

ثم قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قُلْتُ وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه. وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه، والمعصوم مَنْ عصمه الله»**(١).

فماذا قالوا؟ وماذا بيتوا للإسلام والمسلمين؟

استمع إلى أقوالهم ومخططاتهم

١- قالوا عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس:

قال راندولف تشرشل: «لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إنَّ سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إنَّ القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود»(٢).

٢- والصهاينة عندما دخلتْ قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ تجمهر الجنود حول حائط المبكي، وأخذوا يهتفون مع موشي دايان:

هذا يوم بيوم خيبر... يالثارات خيبر.

وتابعوا هتافهم:

حطوا المشمش عالتفاح، دين محمد ولى وراح..

---

(١) «تفسير القرطبي».

(٢) «راندولف تشرشل، حرب الأيام الستة» (ص ١٢٩ من الترجمة العربية)..

وهتفوا أيضًا:

محمد مات.. خلف بنات..

كل ذلك دعا الشاعر محمد الفيتوري إلى تنظيم قصيدته الرائعة مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ:

**ياسيدي..**

**عليك أفضل الصلاة والسلام..**

**من أمة مُضاعة..**

**تقذفها حضارة الخراب والظلام..**

**ياسيدي... منذ ردمنا البحر بالسدود...**

**وانتصبت ما بيننا الحدود..**

**متنا..**

**وداست فوقنا ماشية اليهود..**[(١)]

٣- واستغلت إسرائيل صليبية الغرب:

خرج أعوانها بمظاهرات قبل حرب الـ ١٩٦٧ تحمل لافتات في باريس، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر، كتبت على هذه اللافتات، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما: «قاتلوا المسلمين»

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط.. كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها «هزيمة الهلال».

---

(١) «الشعب والأرض» (ج١- ص٣٤) و«درس من النكبة الثانية» (ص ٧٦).

بيعت بالملايين... لتقوية الصهاينة الذين يُواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة، وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين(١).

أما سمع الذين ينعقون بأن لا مؤامرة بهذه الأقوال؟

١- فهم يرون الإسلام هو الجدار الوحيد أمام الاستعمار

**يقول لورنس براون:** «إنَّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي»(٢).

ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق(٣).

**ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر** في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نُزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم»(٤).

٢- ويرون أن الإسلام هو الجدار الذي يقف في وجه انتشار النفوذ الشيوعي:

في افتتاحية عدد ٢٢ أيار عام ١٩٥٢ من جريدة «كيزيل أوزباخستان» الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الأورباخستاني ذكر المحرر ما يلي:

من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائيًا(٥).

---

(١) «طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية» (ص ٢٠-٢١).

(٢) «التبشير والاستعمار» (ص ١٠٤).

(٣) «الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد» (ص ٣٩).

(٤) المنار عدد ٩/ ١١/ ١٩٦٢.

(٥) «الإسلام والتنمية الاقتصادية جاك أوستري» (٥٦).

٣- ويرون أنه الجدار الذي يحول دون انتشار المسيحية، وتمكن الاستعمار من العالم الإسلامي يقول أحد المبشرين:

إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفتْ سدًا منيعًا في وجه انتشار المسيحية، وهي التي أخضعتْ البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية(١).

**ويقول أشعياء بومان** في مقالة نشرها في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

لم يتفق قط أن شعبًا مسيحيًا دخل في الإسلام ثم عاد نصرانيًا(٢).

٤- ويرون أن الإسلام هو الخطر الوحيد أمام استقرار الصهيونية وإسرائيل: يقول ابن غوريون، رئيس وزراء إسرائيل سابقًا:

إني أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد(٣).

وحدّث ضابط عربي كبير وقع أسيرًا في أيدي اليهود عام ١٩٤٨ أن قائد الجيش اليهودى دعاه إلى مكتبه قبيل إطلاق سراحه، وتلطف معه في الحديث.

**سأله الضابط المصري:** هل أستطيع أن أسأل لماذا لم تهاجموا قرية صور باهر؟

وصور باهر قرية قريبة من القدس.

أطرق القائد الإسرائيلي إطراقة طويلة ثم قال: أجيبك بصراحة، إننا لم نهاجم صور باهر لأنَّ فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين المتعصبين.

دهش الضابط المصري، وسأل فورًا: وماذا في ذلك، لقد هجمتم على مواقع أخرى فيها قوات أكثر .. وفي ظروف أصعب؟!.

---

(١) «جذور البلاء» ( ص ٢٠١).

(٢) «التبشير والاستعمار للخالدين وفورخ» ( ص ١٣١) الطبعة الرابعة.

(٣) جريدة الكفاح الإسلامي لعام١٩٥٥ عدد الأسبوع الثاني من نيسان.

**أجابه القائد الإسرائيلي:** إن ما تقوله صحيح، لكننا وجدنا أن هؤلاء المتطوعين من المسلمين المتعصبين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين، يختلفون تمامًا، فالقتال عندهم ليس وظيفة يُمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم، بل هو هواية يندفعون إليها بحماس وشغف جنوني، وهم في ذلك يشبهون جنودنا الذين يُقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية إسرائيل.

ولكن هناك فارقًا عظيمًا بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين المسلمين. إن جنودنا يُقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه، أما الجنود المتطوعين من المسلمين فهم يُقاتلون ليموتوا، إنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون، ويندفعون إليه كأنهم الشياطين، إنَّ الهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة، يُشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش، ونحن مثل هذه المغامرة المخيفة، ثم إن الهجوم عليهم قد يُثير علينا المناطق الأخرى فيعلمون مثل عملهم، فيفسدوا علينا كل شيء، ويتحقق لهم ما يريدون.

دهش الضابط المصري لإجابة القائد الإسرائيلي، لكنه تابع سؤاله ليعرف منه السبب الحقيقي الذي يخيف اليهود من هؤلاء المتطوعين المسلمين.

**قال له:** قل لي برأيك الصريح، ما الذي أصاب هؤلاء حتى أحبوا الموت، وتحولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيء معقول؟!!.

**أجابه الإسرائيلي بعفوية:** إنه الدين الإسلامي ياسيادة الضابط. ثم تلعثم، وحاول أن يخفي إجابته، فقال:

«إنَّ هؤلاء لم تُتح لهم الفرصة كما أُتيحت لك، كي يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على حقائق الحياة، وتحررهم من الخرافة وشعوذات المتاجرين بالدين، إنهم لا يزالون ضحايا تعساء لوعد الإسلام لهم بالجنة التي تنتظرهم بعد الموت.

وتابع مسترسلًا: إنَّ هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة في طريق السلام الذي يجب أن نتعاون عليه وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لإقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم.

وتابع مستدركًا، وكأنه يستفز الضابط المصري ضد هؤلاء المسلمين، تصور يا سيدي أنَّ خطر هؤلاء ليس مقتصرًا علينا وحدنا، بل هو خطر عليكم أنتم أيضًا. إذ إن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله، هذا المنطق الذي يُخالف رُقي القرن العشرين، قرن العلم وهيئة الأمم والرأي العام العالمي، وحقوق الإنسان.

واختتم القائد الإسرائيلي حديثه بقوله:

ياسيادة الضابط، أنا سعيد بلقائك، وسعيد بهذا الحديث الصريح معك، وأتمنى أن نلتقي لقاءً قادمًا، لنتعاون في جو أخوي لا يعكره علينا المتعصبون من المسلمين المهووسين بالجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله(١).

- ويرون أن بقاء اسرائيل مرهون بإزالة المتمسكين بالإسلام:

**يقول الكاتب الصهيوني «إيرل بوغر»** في كتابه «العهد والسيف» الذي صدر عام ١٩٦٥ ما نصه بالحرف:

«إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لابد أن يُبادروا ذات يوم إلى التعاون معها، ولكي يُصبح هذا التعاون ممكنًا فيجب القضاء على جميع العناصر التي تُغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشائخ.

---

(١) «مجلة المسلمين» العدد الأول من المجلد الثامن شهر تموز عام ١٩٦٣، مع بعض الاختصارات بما يُناسب المقام، مع رجائنا عفو الكاتب وإخوانه.

- **ويقول إسحاق رابين:** غداة فوز جيمي كارتر برئاسة الولايات المتحدة، ونقلت قوله جميع وكالات الأنباء:

«إن مشكلة الشعب اليهودي هي أن الدين الإسلامي مازال في دور العدوان والتوسع، وليس مستعدًا لمواجهة الحول وإن وقتًا طويلًا سيمضي قبل أن يترك الإسلام سيفه[1].

- **يقول لورانس براون:**

«كان قادتنا يُخوفننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لن نجد مبررًا لمثل المخاوف. كانوا يخوفنا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي.

لكنه تبيَّن لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولًا ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم.

لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته المدهشة[2].

- **ونكرر هنا قول غلادستون:**

ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[3].

- **ويقول المستشرق غاردنر:**

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا[4].

---

(١) العدد [٣٢٤] من مجلة المجتمع الكويتية / ٩ نوفمبر ١٩٧٦.

(٢) «المجلد الثامن» (ص ١٠)، «لو انس بروان نقلًا عن التبشير والاستعمار» (ص ١٨٤)

(٣) «الإسلام على مفترق الطرق» ( ص ٣٩).

(٤) «التبشير والاستعمار» ( ص ٣٦) طبعة رابعة.

- **ويقول هانوتر وزير خارجية فرنسا سابقًا:**

لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر[(١)].

- **ويقول البر مشادر:** «مَنْ يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء، لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب.

ويُتابع: لست متنبئًا، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة.. ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.

إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تُسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها[(٢)].

- **ويقول أشعيا بومان** في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

إنَّ شيئًا من الخوف يجب أن يُسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها: أنَّ الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديًا، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، **من أسباب الخوف:** أنَّ هذا الدين من أركانه الجهاد[(٣)].

- **ويقول أنطوني ناتنج في كتابه «العرب»:**

منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإنَّ على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة، تواجهنا عبر المتوسط[(٤)].

---

(١) «الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٨).

(٢) «لم هذا الرعب كله من الإسلام» للأستاذ/ جودت سعيد.

(٣) «التبشير والاستعمار» [١٣١].

(٤) وليم بولك. «الولايات المتحدة والعالم الغربي» و«القومية والغزو الفكري» (ص ٤٢).

- **وصرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلًا:**

«إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يُمكن أن يُحدثه المسلمون حين يُغيرون نظام العالم».

فلما سأله أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم، أجابه: أخشى أن يخرج منهم مَنْ يوجه خلافهم إلينا[(١)].

**٩- ويقول مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:**

ليستْ الشيوعية خطرًا على أوروبا فيما يبدو لي، إنَّ الخطر الحقيقي الذي يُهددنا تهديدًا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يُقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يُزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتنا إلى متاحف التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

إنَّ العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافًا تامًا، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يُخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر...

فلنعطِ هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنُقوي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم

---

(١) «جند الله» ( ص ٨٤).

متخلفًا، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم(١).

- **ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربى المعاصر»:**

«إنَّ الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام.

يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تُؤدي إلى قوة العرب، لأنَّ قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية»(٢).

- **ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:** «رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجودًا من انتفاض المقهورين الذين أتبعهم النكبات التي أنزلناها بهم لأنَّ همتهم لم تخمد بعد...»(٣).

بعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد عنوانها: لماذا كنا نُحاول البقاء في الجزائر؟. أجاب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه:

إننا لم نكن نُسخر النصف مليون جندي من أجل أن نبيد الجزائر أو صحاريها.. أو زيتونها.. إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوروبا الذي يقف في وجه أي زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة بواتية جديدة ينتصرون

---

(١) مجلة «روز اليوسف» في عددها الصادر بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٩٦٣.

(٢) «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٩).

(٣) «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٩).

فيها، ويكتسحون أوروبا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.

من أجل ذلك كنا نُحارب في الجزائر(١).

في أول الشهر الحادي عشر من عام ١٩٧٤ ذكرتْ إذاعة لندن مساء زيارة وزير خارجية فرنسا سوفانيارك لإسرائيل. واجتماعه بقياداتها، بعد أن اجتمع في بيروت برئيس منطقة التحرير الفلسطينية. ما جرى في آخر اجتماع عقد بين القادة الإسرائيليين وسوفانيارك، وانتقاداتهم للسياسة الفرنسية؛ لأنها تقف إلى جانب العرب ضد إسرائيل، وتُؤيد الفلسطينيين، وهاجموا سوفانيارك شخصيًا؛ لأنه اجتمع بياسر عرفات. عندها غضب وزير الخارجية الفرنسية وصرخ في وجوههم: إما أن تعترفوا بمنطقة التحرير، أو أعلن العرب كلهم عليكم الجهاد...

والعجب أن إذاعة لندن لم تعد إلى إذاعات العرب لم تذكره.

ففرنسا حين تتحرك إلى جانب العرب لا تتحرك إلا خوفًا من أن يُثير عداء العالم الغربي للعرب روح الجهاد في المسلمين. فيعلنوه ويشنوا حربًا على الحضارة الغربية تؤدي إلى دمار الغرب ويقظة المسلمين وهذا وحده كاف إلى أن يدفع فرنسا إلى مهادنتهم ودعوة الآخرين لمهادنتهم!!!.

قالت إذاعة لندن صباح ١٠/ ٤/ ١٩٧٦ بمناسبة افتتاح مهرجان العالم الإسلامي في لندن:

إن الشعور العام السائد في الغرب أنَّ المسيحية إذا لم تُغير موقفها من الإسلام بحيث تتعاون معه للقضاء على الشر في العالم، لا أن تعتبر الإسلام مصدرًا من مصادر الشر، إن لم تفعل ذلك فإن المستقبل لا يؤذن بخير بالنسبة للمسيحية والعالم.

---

(١) «جريدة الأيام» سنة ١٩٦٣.

١- **يقول غاردنر:** إنَّ الحروب الصليبية لم تكنْ لإنقاذ القدس، إنها كانت لتدمير الإسلام(١).

٢- ونشيد جيوش الاستعمار كان يقول: أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية، ولأمحو القرآن بكل قوتي.

٣- وشعار «قاتلوا المسلمين» الذي وزعته إسرائيل في أوروبا عند حرب الـ٦٧، لقى تجاوبًا لا نظير له في دول الغرب كلها...

٤- يقول فيليب فونداسي:

إن من الضروري لفرنسا أن تُقاوم الإسلام في هذا العالم، وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تُحاول على الأقل إيقاف انتشاره(٢).

٥- **يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه «باثولوجيا الإسلام»:**

«إنَّ الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء، والإدمان على معاقرة الخمور، وارتكاب جميع القبائح. وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي إلى ما لا نهاية، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصلية، ككراهة لحم الخنزير، والخمر والموسيقى.

إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات.

---

(١) «التبشير والاستعمار» (ص ١١٥) «جذور البلاء» (٢٠١).

(٢) «االاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، تأليف فيليب فونداسي» (ص ٢).

**ويتابع هذا المستشرق المجنون:**

اعتقد أنَّ من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر(١).

ويبدو أنَّ قائد الجيوش الإنكليزية في حملة السودان قد طبق هذه الوصية، فهجم على قبر المهدي الذي سبق له أن حرر السودان وقتل القائد الإنكليزي غوردون، هجم القائد الإنكليزي على قبر المهدي، ونبشه، ثم قطع رأسه وأرسله إلى عاهر إنكليزى وطلب إليه أن يجعله مطفأة لسجائره(٢).

٦- **صرَّح الكاردينال بور**، كاردينال برلين لمجلة تابلت الإنكليزية الكاثوليكية يوم سقوط عام ١٩٦٧ بعد أن رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لأول مرة في تاريخ المسيحية قال: إن المسيحيين لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الإسلام، وتخليص الأرض المقدسة. «نشرت التعايش المشبوه، ص ٤»

٧- **قال لويس التاسع ملك فرنسا** الذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة، في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس:

«إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلى:

- إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملًا في إضعاف المسلمين.
- عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.

---

(١) «الاتجاهات الوطنية» (ج ١) ( ص ١٩)، «وتاريخ الإمام» (ج٢) (ص ٤٠٩)، « والفكر الإسلامي الحديث (ص ٥١)، «والقومية والغزو الفكري» ( ص ١٩٢).

(٢) «القومية والغزو الفكري» ( ص ٢٢٢).

- إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة.
- الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يُضحي في سبيل مبادئه.
- العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة.
- العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبًا، وأنطاكية شمالًا، ثم تتجه شرقًا، وتمتد حتى تصل إلى الغرب[1].

## خططهم لتدمير الإسلام

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التي استمرتْ قرنين كاملين في القضاء على الإسلام، قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته، وبدؤوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام.

كانت خطواتهم كما يلي:

***أولاً- القضاء على الحكم الإسلامي:***

بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام، إلا أنَّ الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر.

كانتْ فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هي سقوط تركيا مع حليفتها ألمانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى.

---

(١) العدد ٢١٠٦ آخر ساعة، ٥ آذار ١٩٧٥ من خطبة أمير الحاج المصري لعام ١٩٧٥ الوزير أحمد كمال وزير الري المصري.

دخلتْ الجيوش الإنكليزية واليونانية، والإيطالية، والفرنسية أراضي الدولة العثمانية، وسيطرتْ على جميع أراضيها، ومنها العاصمة إستانبول.

ولما ابتدأتْ مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

( أ ) إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

( ب ) أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

( جـ ) أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام(١).

( د ) أن تختار لها دستورًا مدنيًا بدلًا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام.

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة، فانسحبتْ الدول المحتلة من تركيا. ولما وقف كرزون وزير خارجية إنكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض النواب الإنكليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفتْ إنكلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم... لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة.

فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة(٢).

---

(١) «الأرض والشعب» ( ص ٤٦ ) مجلد أول.

(٢) «كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠».

**ثانيًا- القضاء على القرآن ومحوه:**

لأنهم كما سبق أن قلنا يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حيًا يُؤدي إلى قوتهم وحضارتهم.

١- **يقول غلادستون:** ما دام هذا القرآن موجودًا، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[١].

٢- **ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:** متى توارى القرآن ومدينة مكة عن البلاد العرب، يمكننا حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه[٢].

٣- **ويقول المبشر تاكلي:** يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تمامًا، يجب أن نُبيِّن للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد فيه ليس صحيحًا[٣].

٤- **ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر** بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن نُزيل القرآن العربي من وجودهم.. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم[٤].

وقد أثار هذا المعنى حادثةً طريفةً جرت في فرنسا، وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا.

---

(١) «الإسلام على مفترق الطرق» (ص ٣٩).

(٢) «جذور البلاء» (ص ٢٠١).

(٣) «التبشير والاستعمار» (ص ٤٠) «طبعة رابعة»

(٤) المنار عدد ٩/ ١١/ ١٩٦٢.

وبعد أحد عشر عامًا من الجهود هيأتْ لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون... ولما ابتدأت الحفلة، فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري...

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرون عامًا!!؟؟

أجاب لاكوست، وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!![(١)].

١ - **يقول مرماديوك باكتول:** إن المسلمين يُمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم العربى الأن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقًا. بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأنَّ هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم[(٢)].

١ - **يقول صموئيل زويمر** رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقدة عام ١٩٣٥.

إنَّ مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم

---

(١) جريدة الأيام، عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢.

(٢) «جند الله» (ص ٢٢).

تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقًا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلَّم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات.. إنه يجود شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه(١).

١- **ويقول صموئيل زويمر** نفسه في كتاب الغارة على العالم: إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتان، مزية هدم، ومزية بناء.

**أما الهدف**: فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد..

**وأما البناء**: فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه(٢).

٣- ويقولون: إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني.

( أ ) **يقول المبشر تكلي**: يجب أن نُشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيرًا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية(٣).

( ب ) **ويقول زويمر**: مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونُسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تُساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب(٤).

---

(١) «جذور البلاء» ( ص٢٧٥).

(٢) «الغارة على العالم الإسلامي» ( ص ١١).

(٣) «التبشير والاستعمار» ( ص ٨٨).

(٤) «الغارة على العالم الإسلامي» ( ص ٨٢).

( جـ ) **يقول جب:** لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تمَّ معظم هذا التطور تدريجيًا عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الأن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيدٍ على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني[(١)].

***ثالثًا- القضاء على وحدة المسلمين:***

**١- يقول القس سيمون:**

إنَّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتُساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية[(٢)].

**٢- ويقول المبشر لاورنس براون:**

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير[(٣)].

ويكمل حديثه:

يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.

---

(١) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» ( ج٢) ( ص ٢٠٤ -٢٠٦) تأليف محمد حسين.

(٢) «كيف هدمت الخلافة؟» ( ص ١٩٠).

(٣) «جذور البلاء» ( ص ٢٠٢).

٣- **ويقول أرنولد توينبي** في كتابه (الإسلام والغرب والمستقبل):[(١)]

إنَّ الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ.

٤- وقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحلَّ رباط تونس الشديد بالبلاد الإسلامية، وتفلتت روابطه مع مكة، ومع ماضيه الإسلامي، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية[(٢)].

٥- من أخطر ما نذكره من أخبار حول هذه النقطة هو ما يلي:

في سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر أوروبي كبير، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:

إنَّ الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول انهيار حضارتنا.

واستمر المؤتمر شهرًا من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يُهدد أوروبا.

فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يُشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا.

وأخيرًا قرروا إنشاء قومية غربية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس، ليبقى العرب متفرقين.

---

(١) «الإسلام والغرب والمستقبل» ( ص ٧٣).

(٢) «هانوتو» ( ص ٢١).

وبذا أرسلت بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين[١].

**رابعًا- تشكيك المسلمين بدينهم:**

في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين يقول:

إن المسلمين يدّعون أن في الإسلام ما يُلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا نحن المبشرين أن نُقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية[٢].

تنفيذًا لذلك وضعتْ كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام، التي لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام، والتشكيك بمبادئه، والغمز بنبيه محمد ﷺ.

**خامسًا- إبقاء العرب ضعفاء: يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية:**

**يقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي»:**

لقد ثبت تاريخيًا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فليدمر العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام.

**سادسًا- إنشاء ديكتاتوريات سياسية في العالم العربي الإسلامي:**

**يقول المستشرق و.ك سميث الأمريكي**، والخبير بشؤون الباكستان: إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

---

(١) «المؤامرة ومعركة المصير» (ص ٢٥).

(٢) «التبشير والاستعمار» (ص ١٩١).

وينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره(١).

لكنهم لا ينسوا أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تتفجر.

**يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:** إن الخطر لا يزال موجودًا في أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائهم(٢).

***سابعًا- إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع الغرب:***

يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م: إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامي.. «ويتابع».

فلنعطِ هذا العالم ما يشاء، ولنقوِ في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر العالم العربى وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وينتهى معه دوره القيادي في العالم(٣).

وبما أنَّ الحقد ملأ قلوبهم وهمهم الأوحد تحقيق معتقداتهم التي أخبر الله عنها، فقد نفذ صبر الرئيس الأمريكي بوش ولم يستطع كتم عقيدته فصرح في مؤتمر صحفي أجراه يوم الأحد ١٦ / ٩ / ٢٠٠١م الموافق ٢٨ / ٦ / ١٤٢٢هـ بقوله:

«This crusade، this ware on terrorism، is goging to a long time».

---

(١) «جند الله» (ص ٢٩).

(٢) «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» (ص ١٩).

(٣) «جند الله» (ص ٢٢).

وترجمة كلامه المتقدم قاتله الله هو قوله «هذه الحرب الصليبية، هذه الحرب ضد الإرهاب سوف تأخذ وقتًا طويلًا» ثم قال «الواجب على الأمريكيين أن يتحلوا بالصبر».

**ومن أمثلة ذلك:** وهي كثيرة ما نشرته مجلة ناشونال ريفيو تحت عنوان: «إنها الحرب فلنغزهم في بلادهم» «ليس هذا أوان تعرف البحث عن أماكن المتورطين بالعمليات الإرهابية، المسؤولون عن هذه العمليات هم كل مَنْ ارتسمتْ على وجهه ابتسامة عندما سمع بالهجمات على نيويورك وواشنطن.. لا نحتاج إلى تحقيقات مطولة أو أدلة جنائية ولا إلى تحالف دولي، أُمتنا غزتها طائفة متطرفة مجرمة، علينا غزوهم في بلادهم، وقتل قادتهم وإجبارهم على التحول إلى المسيحية».

يذكر الشيخ سفر الحوالي في (كتابه كشف الغمة عن علماء الأمة): خطط الصليبيين للسيطرة على منطقة الخليج وحقول النفط، ومن ضمن ما نقل أيضًا حرص الغرب على حرب الإسلام واعتباره الخطر الأكبر عليهم في العالم الثالث، وأنقل من كلامه بعض المقتطفات التي نقلها عن الصليبيين ذات الطابع الهجومي يقول في صـ[٣٢]: والواقع إن جوهر القضية في هذه التحالفات قديمها وحديثها واحد وهو أن مصلحة الغرب تقتضي تناسي خلافاته الداخلية والتوحيد لمقاومة الخطر الخارجي الذي يَعُدُ الإسلام رأس الحربة فيه، فقد تحالفت أوروبا المتناحرة ضد الدولة العثمانية فيما سُمي «الحلف المقدس» كما ظلت تركيا رغم إنها دولة أوروبية من جهة الموقع خارج الاتفاقيات الدولية الأوروبية إلى عهد قريب لسبب واحد هو أنها مسلمة، ومنذ أسابيع فقط سُئل الرئيس التركي أوزال عن سبب عدم قبول تركيا عضوًا في الوحدة الأوروبية رغم أنها عضو حلف الناتو فأجاب بأن: السبب هو أن الغرب لا يزال ينظر إلى تركيا باعتبارها دولة إسلامية!!.

إن الحرب العالمية الأولى انتهت كما هو معلوم بالنقاط الأربعة عشر للرئيس الأمريكي «ولسُن» التي أصبحت أساس مبدأ عصبة الأمم، والتي بمقتضاها اتفق الغرب على وضع العالم الإسلامي تحت الوصاية الدولية أي تحت السيطرة الغربية، مع أن الأجزاء المهمة منه كانت قد وضعت من قبل تحت سيطرة الغرب باسم «الحماية» ومنها: عدن والكويت ومشيخات الخليج وبقيام الحرب العالمية الثانية انهارت عصبة الأمم كما انهارت القوة الاستعمارية التقليدية، وبرزت قوتان جديدتان هما أمريكا وروسيا وكان وفاق المنتصرين فيها المتمثل في مؤتمر يالطه وفي التحكم في العالم من خلال الهيئة الدولية الجديدة «هيئة الأمم المتحدة» إذ احتفظ الطواغيت الكبار بحق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي كما يسمى!!..

وقال في صـ[٣٥] وفي عدد آخر بتاريخ ٢١/ ١٢/ ١٤١٠هـ يقول كاتب آخر هو مدير المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل بالقاهرة عن تحديات أوروبا:

«يتزايد القلق في أوروبا الغربية وجنوب أوروبا بشكل خاص وفرنسا تحديدًا من تطور يطلقون عليه المد الإسلامي، وتطور آخر يسمونه التغيير الديمغرافي والتطوران حادثان في شمال أفريقيا»

- ويقول في صـ[٣٧]: وفي هذا المسار نشرت مجلة البلاغ الإسلامية الكويتية في ١٦ ذي الحجة ١٤١٠هـ أي قبل الغزو بحوالى ٢٥ يومًا مقالًا مؤثرًا بعنوان: هل انتهت الحروب الصليبية؟

**قالت فيه:** اليوم تتوالى الأخبار التي يُخيل للسامع أنها ليستْ إلا بيانات عسكرية في معركة طاحنة تدور رحاها بصمت عجيب.

وتعرضت فيه للفكرة التي طُرحت في الغرب، ونشرت عنها الفايننشال تايمز وهي: إقامة عمود دفاعى أوروبي ضد العالم الإسلامي!.

بل نشرتْ الصحافة الأمريكية: أن دول البلقان مثل: اليونان وبلغاريا قد تصبح «دول مواجهة في أوروبا ضد انتشار التطرف الإسلامي».

وأنذرت صحافة أمريكا عدوها النووي «الاتحاد السوفيتي» باحتمال وقوع الأسلحة الذرية في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية في أيدي متطرفين مسلمين وأن ذلك يعتبر تهديدًا خاصًا للبشرية والعالم المتمدن.

**وقالت:** إن المتطرف يأتي من الصحراء والمبدع يأتي من الغابات وربما كان هذا هو الفارق الأكبر بين الشرق والغرب.

وقد علَّق المحامي الأمريكي الذي أورد هذه النصوص بعنوان «إعلام أمريكا وخطر المسلمين».

**قائلًا:** بالترويج لخطر المسلمين لا بالنسبة إلى الدول الغربية فحسب بل حتى إلى الاتحاد السوفيتي يرى المرء تقاربًا بين مصالح الأعداء القدامى الذين كانوا يشتبكون في الحرب الباردة، ويُحتمل أن تتردد القضية الجديدة عن الخطر الإسلامي على العالم المتمدن أكثر فأكثر في المستقبل، ونقل الشيخ أيضًا صـ٣٧ وفي الوقت نفسه جرى الإعلان أيضًا عن وظيفة جديدة للمخابرات الأمريكية في ظل الوفاق «وهي قديمة في الواقع» فقد أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج عالم الظهيرة في أواخر ذي القعدة الماضي ما نصه تقريبًا:

«إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصبًا لمراقبة إمبراطورية الشر -يعني الاتحاد السوفيتي- سيتجه أساسًا لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ووضع العقبات والعراقيل أمامها».

وأذاعت تعليقًا لصحيفة الفايننشال تايمز قالت فيه:

إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوروبا ودول العالم الثالث فإنه يجب عليها ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي؛ لأنها بذلك تدفع دون أن تدري بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة في ذلك العالم!!!

وفي أثناء الإعلانات والشعارات المعسولة عن السلام العالمي القريب وحرية الشعوب في الحرية والاستقلال والديمقراطية.. الخ. فجَّر الرئيس الفرنسي ميتران قنبلة صليبية مذهلة حين قال: إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر فسوف أتدخل عسكريًا كما تدخل بوش في بنما.!!

والواقع أن مثار الذهول ليس مجرد تهديد بالتدخل فقد تدخلت فرنسا فعلًا في دول كثيرة منها «زائير ووسط أفريقيا وساحل العاج وتشاد والجابون» ولكنه في الجراءة على إعلان بعض مخططات الغرب السرية، وإشهار الحرب الصليبية الذي يزيد الصحوة الإسلامية اشتعالًا، ومن هنا كان تراجع ميتران الحاد في موقفه إلا أن ذلك لم يمنعه من التصريح بأن «الانتفاضة الفلسطينية خطر يُهدد المنطقة كلها بوباء التطرف».

وفي غمرة هذه الإعلانات والتصريحات التي اجتاحت الإعلام الغربي في الشهور الأخيرة جاء الحديث المكشوف للأمير حسن ولي عهد الأردن، لصحيفة نيويورك تايمز الذي قال فيه: «إنه ينبغي إجراء محادثات بين المعتدلين العرب والإسرائيليين؛ لأن الخطر الحقيقي للسلام يكمن في تنامي الأصوليين. وقال: إن العدو الحقيقي هو تصاعد الأصوليين والتطرف حيث المتطرفون اليهود من جهة والمد الإسلامي الذي يُؤثر على السياسات الممتدة من عبر أفغانستان ولبنان وشمال أفريقيا، وقال: يتصاعد نشاط المتطرفين في الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة».

وعن إسرائيل والصحوة الإسلامية يقول نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب): «وفي الشرق الأوسط نرى صراع العرب ضد اليهود يتطور إلى نزاع بين الأصوليين الإسلاميين من جانب وإسرائيل والدول العربية المعتدلة من جانب أخر. وما لم تتغلب هذه الأمم على خلافاتها وتتعرف بأنها تُواجه تهديدًا أشد خطرًا.. ص ٢٨٤ أي كما قال ولى عهد الأردن»

ونقل الشيخ في ص [٤٢] عن كتاب نيكسون (نصر بلا حرب) قوله: وفي العالم الإسلامي من الغرب إلى أندونيسيا تخلف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف.. ص [٣٠٧].

**وقال نيكسون:** إن الثوريين الشيوعيين والإسلاميين أعداء إيديولوجيين يتبنون هدفًا مشتركًا: الرغبة في الحصول على السلطة بأي وسيلة ضرورية بغية فرض سيطرة دكتاتورية تقوم على مُثُلهم التي لا تحتمل، ولن تحقق أي من الثورتين حياة أفضل للشعوب في العالم الثالث.

بل سيجعلون الأمور أسوأ، لكن إحداهما أو الأخرى، ستسود ما لم يضع الغرب سياسة موحدة لمواجهة الأبعاد الاقتصادية والروحية على حد سواء للصراع الدائر الآن في العالم الثالث.

إنَّ رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير إتجاهها... ص [٣٠٧].

ونقل الشيخ في صـ[٧٧] عن أحد محللى السياسة الأمريكية قوله في مقابلة له في قناة «CNN» تعليقًا على دعوة صدام للجهاد قال: «نحن لا نخاف من جيوش صدام وإنما نخشى من الأصوليين في الجزيرة العربية والجزائر ومصر». اهـ كلام الشيخ سفر حَفِظَهُ اللهُ.

**يقول خفير سولانا** أمين عام حلف شمال الأطلسي سابقًا في اجتماع للحلف عام ١٤١٢هـ بعد سقوط الاتحاد السوفيتي: «بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط العدو الأحمر يجب على دول حلف شمال الأطلسي ودول أوروبا جميعًا أن تتناسى خلافاتها فيما بينها وترفع أنظارها من على أقدامها لتنظر إلى الأمام لتبصر عدوًا يتربص بها يجب أن تتحد لمواجهته وهو الأصولية الإسلامية».

**يقول جلادستون** رئيس وزراء بريطانيا سابقًا موصيًا بإبعاد الناس عن دينهم تمهيدًا للحرب الصليبية: «ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق».

**ويقول ألبر مشادور:** « من يدري ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب».

**ويقول القس لورانس براون** داعيًا إلى تفريق الأمة: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا أو أمكن أن يصبحوا أيضًا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير».

**ويقول أرنولد توينب:** «إنَّ الوحدة الإسلاميه نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ»

**ويقول المستشرق الأمريكي ولك سميث** الخبير بشئون باكستان: «إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

**ويقول لاكوست** وزير المستعمرات الفرنسي عام ١٩٦٢م «ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا».

**ويقول هانوتو** وزير خارجية فرنسا سابقًا محذرًا من الإسلام وداعيًا إلى حربه: «لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر».

**ويقول سلازار**: «إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم» ويقول: «إن الخطر الحقيقي الذي يُهددنا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية».

وحرص الرئيس الروسي الأثذوكسي بوتين على تحريك هذه النزعة الصليبية ضد الإسلام في آخر اجتماع له أمام دول الكومنولث من عام ١٤٢١هـ «إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الوحيد الذي يهدد العالم المتحضر اليوم وهي الخطر الوحيد الذي يهدد نظام الأمن الفلبين إلى كوسوفو، وينطلقون من أفغانستان التي تعتبر قاعدة لتحركاتهم، فإذا لم ينهض العالم لموجهتها فإنها ستحقق أهدافها، وروسيا تحتاج إلى دعم عالمي لمكافحة الأصولية في شمال القوقاز».

فالحملات الصليبية لم تتوقف ولن تتوقف، إلا بيد إسلامية ضاربة توقف الطغيان وتُعلي كلمة الله.

إن توجيه ضربة عسكرية ما، وسريعة قدر الإمكان، هو الذي يُسيطر الآن على مخلية قادة الحرب الصليبية وأفغانستان تعد هدفًا جاهزًا وسهلًا من زواية الاقتصار على الضربات الجوية والصاروخية، لذلك اندفعت أمريكا في اتجاه أسامة بن لادن وأفغانستان والإمارة.

لقد قال بوش في مؤتمر صحفي له في ثاني يوم من الحادث عندما سُئل عن كيفية الرد على الفاعلين؟ قال: «لا أستطيع أن أقول إلا أن الدولة التي حمت الإرهابيين سوف نمسحها من على خارطة العالم» إشارة منه إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان قبل أن يعثروا على أي دليل ضدهم.

لقد قاد الحملة الصليبية بوش بكل حقد على الإسلام والمسلمين كلمة أخرى تجاهلتها كل وسائل الإعلام عندما هدد الأفغان بقوله «سوف ندخنهم «we will smoke them» «أي: يقصد تدخينهم على الطريقة الأمريكية الإجرامية البشعة على غرار ما كان يفعله في فتنام ويقتل آلافًا من المدنيين بتدخين القرى والمدن بالغازات السامة.

ولم ينتبه المسلمون لمعنى هذه الكلمة، ولم يزد أحد على ما قالته قناة الجزيرة من أنه ربما يقصد استعمال الغازات السامة، إلا أن هذه الكلمة لها مفهوم واسع إذ هي دليل على عزمهم على شن حرب إبادة جماعية بكل ما تُعنيه الكلمة من معنى، ولقد استعمل الفرنسيون الطريقة نفسها في الجزائر مع المسلمين، كان الفرنسيون يطاردون الجزائريين العزل بالرصاص في شعاب الجبال وهم يفرون أمامهم ويلجئون إلى الكهوف، فيقوم الرجل الأبيض الصليبي المتحضر، الذي ليس إرهابيًا كالمسلمين بإشعال النار في فوهات الكهوف فيموت اللاجئون إليه بالدخان، وهذا أسلوب واحد لمدلول الكلمة التي قالها بوش «سوف ندخنهم».

## المؤامرة في مخططات اليهود

الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية(١)

١- في عام ١٩٨٢ نشرت مجلة «كيفونيم» التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية، وثيقة بعنوان «استراتيجية إسرائيلية للثمانينات». ولقد نُشرتْ الوثيقة باللغة العربية،

(١) «موقع ومنتدى مجالس العرب» http: / / www. omangate. net

وتم ترجمتها إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور / عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعه عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر ١٩٨٨.

٢- ولقد رأيتُ أهمية إعادة نشر هذه الوثيقة الآن للأسباب الآتية:

- إن تقسيم العراق كأحد أهداف الحرب الحالية على العراق «مارس ٢٠٠٣» هو أحد الأفكار الرئسية الواردة في الوثيقة المذكورة.
- إن الخطط الحالية الساعية لفصل جنوب السودان وتقسيمه، هي أيضًا ضمن الأفكار الواردة في الوثيقة.
- أن الاعتراف الرسمي بالإمازيغية كلغة ثانية، بجوار اللغة العربية في الجزائر هي خطوة لا تبتعد عن التصور الصهيوني عن المغرب العربي.
- إن مخطط تقسيم لبنان إلى عدد من الدويلات الطائفية، الذي حاولت الدولة الصهيونية تنفيذه في السبيعينات والثمانينات من القرن الماضي، وفشلت في تحقيقه، هو تطبيق عملي لما جاء بهذه الوثيقة بخصوص لبنان.
- إن الحديث الدائر الآن في الأوساط الصهيونية حول تهجير الفلسطينيين إلى الأردن، والتخوفات العربية من استغلال أجواء العدوان على العراق لتنفيذ ذلك، هو من أساسيات الأفكار المطروحة في الوثيقة.
- وأخيرًا وليس آخرًا، إن الأخطار التي تتعرض لها مصر، واردة بالتفصيل في الوثيقة الصهيونية.
- والحديث عن وثيقة من هذا النوع، ليس حديثًا ثانويًا يمكن تجاهله، فهم ينصون فيها صراحة على رغبتهم في مزيد من التفتيت لأمتنا العربية. كما أن تاريخنا الحديث هو نتاج لمشروعات استعمارية مماثلة. بدأت أفكارًا، وتحولت إلى اتفاقات ووثائق، تلزمنا وتحكمنا حتى الآن

- فمعاهدة لندن ١٨٤٠ سلخت مصر منذئذ وحتى تاريخه عن الأمة العربية. فسمحت لمحمد علي وأسرته بحكم مصر فقط، وحرمت عليه أي نشاط خارجها. ولذلك نسمي هذه الاتفاقية «اتفاقية كامب ديفيد الأولى».

- واتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ قسمت الوطن العربى، هذا التقسيم البائس الذي نعيش فيه حتى الآن، والذي جعلنا مجموعة من العاجزين، المحبوسين داخل حدودا مصطنعة، محرومين من الدفاع عن باقي شعبنا وباقي أرضنا في فلسطين أو في العراق أو في السودان.

- ووعد بلفور ١٩٧١ كان المقدمة التي أدتْ إلى اغتصاب فلسطين فيما بعد.

تم تلاه وقام على أساسه، صك الانتداب البريطاني على فلسطين، في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٢، الذي اعترف في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية من أجل إنشاء وطن قومي لليهود. فأعطوا بذلك الضوء الأخضر للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

- فلما قوى شأن العصابات الصهيونية في فلسطين، أصدرت لهم الأمم المتحدة، قرارًا بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وهو القرار الذي أعطى مشروعية للاغتصاب الصهيوني. وأنشأت بموجبه دولة إسرائيل. وهو القرار الذي رفضته الدول العربية في البداية. وظلت ترفضه عشرون عامًا

- لتعود وتعترف به بموجب القرار رقم ٢٤٢ الصادر من الأمم المتحدة في ١٩٦٧، الذي ينص على حق إسرائيل في الوجود، وحقها أن تعيش في أمان على أرض فلسطين المغتصبة.

- وعلى أساس هذا القرار أبرمتْ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الموقعة في ٢٦/ ٣/ ١٩٧٩، والتي بموجبها خرجت مصر من الصراع العربي ضد المشروع الصهيوني، لتنفرد إسرائيل بالأقطار الأخرى.

- كل ذلك وغيره الكثير، بدأ أفكاراً، وأهدافًا استعمارية، وتحول فيما بعد إلى حقائق.
- وبالتالي ليس من المستبعد أبدًا إن تتحول الأفكار، التي وردتْ في الوثيقة الصهيونية المذكورة، إلى أمر واقع ولو بعد حين. خاصة الآن بعد العدوان الأمريكي على العراق، ومخاطر التقسيم التي تخدم ذات التصور الصهيوني عن المنطقة.
- والوثيقة الصهيونية منشورة في الصفحات التالية بنص كلماتها وفقراتها، مع فرق واحد، هو أنني أخذت ما جاء متفرقًا بالوثيقة بخصوص كل قطر، وقمت بتجمعيه في فقرة واحدة، وحاولت ترقيمه وتبنيده، لتسهيل متابعته.
- وأخيرًا فإن الهدف الذي رجوته من نشر هذه الوثيقة، هو أن ننظر إلى العدوان علينا في مساره التاريخي. وأن نراه على حقيقته كمخطط، موحد، منتظم، متسلسل، ممتد. وأن نحرر أنفسنا من منطق التناول المجزأ لتاريخنا، الذي يقسمه إلى حوادث منفصلة عن بعضها البعض.

آملًا في النهاية ألا تقتصر حياتنا على مجموعة من الانفعالات، وردود الفعل اللحظية المؤقتة، التي تعلو وقت الشدة.

## نص الوثيقة الصهيونية

### أولًا- نظرة عامة على العالم العربي والإسلامي:

١- إن العالم العربي الإسلامي هو بمثابة برج من الورق أقامه الأجانب «فرنسا وبريطانيا في العشرينيات»، دون أن توضع في الحسبان رغبات وتطلعات سكان هذا العالم.

٢- لقد قُسِّم هذا العالم إلى ١٩ دولة كلها تتكون من خليط من الأقليات والطوائف المختلفة، والتي تعادي كل منها الأخرى وعليه فإن كل دولة عربية إسلامية معرضة اليوم لخطر التفتت العرقي والاجتماعي في الداخل إلى حد الحرب الداخلية كما هو الحال في بعض هذه الدول.

٣- وإذا ما أضفنا إلى ذلك الوضع الاقتصادي يتبين لنا كيف أن المنطقة كلها، في الواقع، بناء مصطنع كبرج الورق، لا يُمكنه التصدي للمشكلات الخطيرة التي تواجهه.

٤- في هذا الضخم والمشتت، توجد جماعات قليلة من واسعي الثراء وجماهير غفيرة من الفقراء. إنَّ معظم العرب متوسط دخلهم السنوي حوالي ٣٠٠ دولار في العالم.

٥- إنَّ هذه الصورة قائمة وعاصفة جدًا للوضع من حول إسرائيل، وتُشكل بالنسبة لإسرائيل تحديات ومشكلات وأخطار، ولكنها تشكل أيضًا فرصًا عظيمة..

### ثانيًا- مصر:

١- في مصر توجد أغلبية سنية مسلمة مقابل أقلية كبيرة من المسيحيين الذين يشكلون الأغلبية في مصر العليا، حوالي ٨ مليون نسمة. وكان السادات قد أعرب في خطابه في مايو من عام ١٩٨٠ عن خشيته من أن تُطالب هذه الأقلية بقيام دولتها الخاصة أي دولة لبنانية مسيحية جديدة في مصر..

٢- والملايين من السكان على حافة الجوع نصفهم يُعانون من البطالة، وقلة السكن في ظروف تعد أعلى نسبة تكدس سكاني في العالم.

٣- وبخلاف الجيش فليس هناك أي قطاع يتمتع بقدر من الانضباط والفعالية.

٤- والدولة في حالة دائمة من الإفلاس بدون المساعدات الخارجية الأمريكية التي خصصتْ لها بعد اتفاقية السلام.

٥- إن استعادة شبه جزيرة سيناء بما تحتويه من موارد طبيعية ومن احتياطي يجب إذن أن يكون هدفًا أساسيًا من الدرجة الأولى اليوم... إن المصريين لن يلتزموا باتفاقية السلام بعد إعادة سيناء، وسوف يفعلون كل ما في وسعهم لكي يعودوا إلى أحضان العالم العربي، وسوف نضطر إلى العمل لإعادة الأوضاع في سيناء إلى ما كانت عليه..

٦- إن مصر لا تُشكل خطرًا عسكريًا استراتيجيًا على المدى البعيد بسبب تفككها الداخلي، ومن الممكن إعادتها إلى الوضع الذي كانت عليه بعد حرب يونيه ١٩٦٧ بطرق عديدة.

٧- إن أسطورة مصر القوية، والزعيمة للدول العربية قد تبددت في عام ١٩٥٦ وتأكد زوالها في عام ١٩٦٧.

٨- إن مصر بطبيعتها وبتركيبتها السياسية الداخلية الحالية هي بمثابة جثة هامدة فعلًا بعد سقوطها، وذلك بسبب التفرقة بين المسلمين والمسيحيين والتي سوف تزداد حدتها في المستقبل. إن تفتيت مصر إلى أقاليم جغرافية منفصلة هو هدف إسرائيل السياسي في الثمانينات على جبهتها الغربية.

٩- إن مصر المفككة والمقسمة إلى عناصر سيادية متعددة، على عكس ما هي عليه الآن، سوف لا تشكل أي تهديد لإسرائيل، بل ستكون ضمانًا للزمن والسلام لفترة طويلة، وهذا الأمر هو اليوم متناول أيدينا.

١٠ - إن دول مثل ليبيا والسودان والدول إلا الأبعد منها سوف لا يكون لها وجود بصورتها الحالية، بل ستنضم إلى حالة التفكك والسقوط التي ستتعرض لها مصر. فإذا ما تفككت مصر فستتفكك سائر الدول الأخر، إن فكرة إنشاء دولة قبطية مسيحية في مصر العليا إلى جانب عدد من الدويلات الضعيفة التي تتمتع بالسيادة الإقليمية في مصر بعكس السلطة والسيادة المركزية الموجودة اليوم هي وسيلتنا لإحداث هذا التطور التاريخي. إن التفتت للبنان إلى خمس مقاطعات إقليمية يجب أن يكون سابقة لكل العالم العربي بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية.

**ثالثًا- ليبيا:**

إن القذافي يشن حروبه المدمرة ضد العرب أنفسهم انطلاقة من دولة تكاد تخلو من وجود سكان يمكن أن يشكلوا قومية قوية وذات نفوذ. ومن هنا جاءت محاولاته لعقد اتفاقيات باتحاد مع دولة حقيقية كما حدث في الماضي مع مصر ويحدث اليوم مع سوريا.

**رابعًا- السودان:**

وأما السودان أكثر دول العالم العربي الإسلامي تفككًا فإنها تتكون من أربع مجموعات سكانية كل منها غريبة عن الأخرى، فمن أقلية عربية مسلمة سنية تسيطر على أغلبية غير عربية أفريقية إلى وثنيين إلى مسيحيين.

**خامسًا- سوريا:**

١ - إن سوريا لا تختلف اختلافًا جوهريًا عن لبنان الطائفية باستثناء النظام العسكري القوي الذي يحكمها. ولكن الحرب الداخلية الحقيقية اليوم بين الأغلبية السنية والأقلية الحاكمة من الشيعة العلويين الذين يشكلون ١٢٪ فقط من عدد السكان، تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية.

٢- إن تفكك سوريا والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل، كما هو الحال في لبنان، هو هدف إسرائيل الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير، فسوف تتفتت سوريا تبعًا لتركيبها العرقى والطائفي إلى دويلات عدة كما هو الحال الآن في لبنان.

٣- وعليه فسوف تظهر على الشاطئ دولة علوية.

٤- وفي منطقة حلب دويلة سنية.

٥- وفي منطقة دمشق دويلة سنية أخرى معادية لتلك التي في الشمال.

٦- وأما الدروز فسوف يشكلون دويلة في الجولان التي نسيطر عليها.

٧- وكذلك في حوران وشمال الأردن، وسوف يكون ذلك ضمانًا للأمن والسلام في المنطقة بكاملها على المدى القريب. وهذا الأمر هو اليوم في متناول أيدينا.

**سادسًا- العراق:**

١- إن العراق لا تختلف كثيرًا عن جارتها ولكن الأغلبية فيها من الشيعة والأقلية من السنة، إن ٦٥٪ من السكان ليس لهم أي تأثير على الدولة التي تشكل الفئة الحاكمة فيها ٢٠٪ إلى جانب الأقلية الكردية الكبيرة في الشمال.

٢- ولولا القوة العسكرية للنظام الحاكم وأموال البترول، لما كان بالإمكان أن يختلف مستقبل العراق عن ماضي وحاضر سوريا.

٣- إن بشائر الفرقة والحرب الأهلية تلوح فيها اليوم، خاصة بعد تولى الخمينى الحكم، والذي يعتبر في نظر الشيعة العراقيين زعيمهم الحقيقى وليس صدام حسين.

٤- إن العراق الغنية بالبترول والتي تكثر فيها الفرقة والعداء الداخلي هي المرشح التالي لتحقيق أهداف إسرائيل.

٥- إن تفتيت العراق هو أهم بكثير من تفتيت سوريا وذلك لأن العراق أقوى من سوريا.

٦- إن في قوة العراق خطورة على إسرائيل في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أية دولة أخرى.

٧- وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق إلى مقاطعات إقليمية طائفية كما حدث في سوريا في العصر العثماني.

٨- وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات «أو أكثر» حول المدن العراقية.

٩- دولة في البصرة، ودولة في بغداد، ودولة في الموصل، بينما تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن الشمال السني الكردي في معظمه.

**سابعًا- لبنان:**

أما لبنان فإنها مقسمة ومنهارة اقتصاديًا لكونها ليس بها سلطة موحدة، بل خمس سلطات سيادية «مسيحية في الشمال تُؤيدها سوريا وتتزعمها أسرة فرنجية، وفي الشرق منطقة احتلال سوري مباشر، وفي الوسط دولة مسيحية تسيطر عليها الكتائب، وإلى الجنوب منها وحتى نهر الليطاني دولة لمنطقة التحرير الفلسطينية هي في معظمها من الفلسطينيين، ثم دولة الرائد سعد حداد من المسيحيين وحوالي نصف مليون من الشيعة».

«ملحوظة من المحرر: كان هذا هو الوضع اللبناني زمن كتابة الوثيقة، ولكن القوى الوطنية اللبنانية نجحت في إعادة الوحدة الوطنية».

**ثامنًا- السعودية والخليج:**

١- إن جميع إمارات الخليج وكذلك السعودية قائمة على بناء هش ليس فيه سوى البترول.

٢- وفي البحرين يُشكل الشيعة أقلية السكان ولكن لا نفوذ لهم.

٣- وفي دولة الأمارات العربية المتحدة يُشكل الشيعة أغلبية السكان.

٤- وكذلك الحال في عمان.

٥- وفي اليمن الشمالية وكذلك في جنوب اليمن.. توجد أقلية شيعية كبيرة.

٦- وفي السعودية نصف السكان من الأجانب المصريين واليمنيين وغيرهم بينما القوى الحاكمة هي أقلية من السعوديين.

٧- وأما في الكويت فإن الكويتين يُشكلون ربع السكان فقط.

٨- أن دول الخليج والسعودية وليبيا تعد أكبر مستودع في العالم للبترول والمال، ولكن المستفيد بكل هذه الثروة هي أقليات محدودة لا تستند إلى قاعدة عريضة وأمن داخلي، وحتى الجيش ليس باستطاعته أن يضمن لها البقاء.

٩- وأن الجيش السعودي بكل ما لديه من عتاد لا يستطيع تأمين الحكم ضد الأخطار الفعلية من الداخل والخارج. وما حدث في مكة عام ١٩٨٠ ليس مثال لما قد يحدث.

١٠- إن شبه الجزيرة العربية بكاملها يمكن أن تكون خير مثال للانهيار والتفكك كنتيجة لضغوط من الداخل ومن الخارج وهذا الأمر في مجمله ليس بمستحيل على الأخص بالنسبة للسعودية سواء دام الرخاء الاقتصادي المترتب على البترول أو قل في المدى القريب. إن الفوضى والانهيار الداخلي هي أمور حتمية وطبيعية على ضوء تكوين الدول القائمة على غير أساس.

***تاسعًا- المغرب العربي:***

١- ففي الجزائر هناك حرب أهلية في المناطق الجبلية بين الشعبين الذين يكونان سكان هذا البلد.

٢- كما أن المغرب والجزائر بينهما حرب بسبب المستعمرة الصحراوية الأسبانية بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي تُعاني منها كل منهما.

٣- كما أن التطرف الإسلامي يهدد وحدة تونس.

**عاشرًا- إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان:**

١- فإيران تتكون من النصف المتحدث بالفارسية والنصف الآخر تركي من الناحية العرقية واللغوية، وفي طباعة أيضًا.

٢- وأما تركيا منقسمة إلى النصف من المسلمين السنية أتراك الأصل واللغة، والنصف الثاني أقليات كبيرة من ١٢ مليون شيعي علوي و٦ مليون كردي سني.

**الحادي عشر- الأردن وفلسطين:**

١- والأردن هي في الواقع فلسطينية حيث الأقلية البدوية من الأردنيين هي المسيطرة، ولكن غالبية الجيش من الفلسطينيين وكذلك الجهاز الإداري. وفي الواقع تعد عمان فلسطينية مثلها مثل نابلس.

٢- وهي هدف استراتيجي وعاجل للمدى القريب وليس للمدى البعيد وذلك أنها لن تشكل أي تهديد حقيقي على المدى البعيد بعد تفتيتها.

٣- ومن غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبته الحالية لفترة طويلة. أن سياسة إسرائيل إما بالحرب أو بالسلم يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية.

٤- إن تغيير السلطة شرقي نهر الأردن سوف يُؤدي أيضًا إلى حل مشكلة المناطق المكتظة بالسكان العرب غربي النهر سواء بالحرب أو في ظروف السلم.

٥- إن زيادة معدلات الهجرة من المناطق وتجميد النمو الاقتصادي والسكاني فيها هو الضمان لإحداث التغيير المنتظر على ضفتي نهر الأردن.

٦- ويجب أيضًا عدم الموافقة على مشروع الحكم الذاتي أو أي تسوية أو تقسيم للمناطق.

٧- وأنه لم يعد بالإمكان العيش في هذه البلاد في الظروف الراهنة دون الفصل بين الشعبين بحيث يكون العرب في الأردن واليهود في المناطق الواقعة غربي النهر.

٨- إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يسودان البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لنْ يكون لهم وجود، ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر، وأن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط.

٩- إن التميز في دولة إسرائيل بين حدود عام ١٩٦٧، وحدود عام ١٩٤٨ لم يكن له أي مغزى.

١٠- وفي أي وضع سياسي أو عسكري مستقبلي يجب أن يكون واضحًا بأن حل مشكلة عرب إسرائيل سوف يأتي فقط عن طريق قبولهم لوجود إسرائيل ضمن حدود آمنة حتى نهر الأردن وما بعده.

١١- تبعًا لمتطلبات وجودنا في العصر الصعب «العصر الذري الذي ينتظرنا قريبًا».

١٢- فليس بالإمكان الاستمرار في وجود ثلاثة أرباع السكان اليهود على الشريط الساحل الضيق والمكتظ بالسكان في العصر الذري.

١٣- إن إعادة توزيع السكان هو إذن هدف استراتيجي داخلي من الدرجة الأولى، وبدون ذلك فسوف لا نستطيع البقاء في المستقبل في إطار أي نوع من الحدود، إن مناطق يهودا والسامرة والجليل هي الضمان الوحيد لبقاء الدولة.

١٤- وإذا لم نشكل أغلبية في المنطقة الجبلية فاننا لن نستطيع السيطرة على البلاد. وسوف نصبح مثل الصليبيين الذين فقدوا هذه البلاد التي لم تكن ملكًا لهم في الأصل، وعاشوا غرباء فيها منذ البداية.

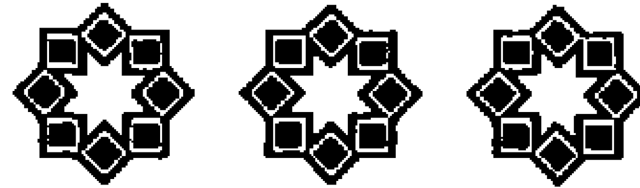
١٥- إن إعادة التوازن السكاني الاستراتيجي والاقتصادي لسكان البلاد هو الهدف الرئيسي والأسمى لإسرائيل اليوم.

١٦- إن السيطرة على المصادر المائية من بئر سبع وحتى الجليل الأعلى، هي بمثابة الهدف القومي المنبثق من الهدف الاستراتيجي الأساسي، والذي يقضي باستيطان المناطق الجبلية التي تخلو من اليهود اليوم.

**انتهت الوثيقة**

فهل قرأت الأمة هذه الوثيقة التي شرعوا في تنفيذها في العراق وغيرها من البلدان العربية؟

هذه الوثيقة هي عبارة عما تُظهره تلك الألسن، أما ما تُخفي صدورهم فهو أكبر من ذلك، والله المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الفصل التاسع

# الشيعة ودورهم في تنفيذ المؤامرات على الإسلام والمسلمين

**أخي المسلم:** بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة عن فصول المؤامرة التي يقوم بها الصليبيون والصهاينة هيا لنرى عدوًا آخر يتزى بزي أهل الإيمان ويتكلم بألسنتنا، ولكنه عدو للحق ومن حمله، إن هذا العدو هو الخطر الصفوي الشيعي الذي يكن العداء لأهل السنة والجماعة.

وفي الحرب الأخيرة التي قامت بين اليهود والشيعة، وفي تلك المسرحية الفاشلة التي صوروا فيها للمسلمين أن الخلاص من اليهود لن يكون إلا على أيدي هؤلاء الشيعة هلل لهم الكثير من المسلمين وهتفوا بهم وهم لا يدرون ما العبارة، فلما قام العلماء بكشف عورهم وزيغهم، وأنهم أخطر علينا من اليهود لعقائدهم الفاسدة في أهل السنة والجماعة استنكر كثير من المسلمين على هؤلاء العلماء ذلك البيان لأجل ذلك عقدت هذا الفصل لبيان مؤامرات الشيعة عبر العصور على المسلمين، ولكن لماذا هذا الحقد ولماذا هذا التآمر؟

**اعلم علمني الله وإياك:** أن هذا التآمر ناتج عن تلك العقيدة الخبيثة في أهل السنة والجماعة وإليك طرفًا من ذلك الاعتقاد

**١- كفر مَنْ لا يؤمن بولاية الأئمة الاثنى عشر:**

لقد نصتْ كتب الشيعة ومراجعهم: على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين، وأن من أنكرها أو أنكر أحد الأئمة فهو كافر. وقد نقل صاحب كتاب حقيقة الشيعة طرفًا من أقوال أئمة الشيعة في تقرير هذا الاعتقاد، أسوق لك بعضه: يقول رئيس محدثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق في رسالة الاعتقادات

«ص ١٠٣- ط مركز نشر الكتاب - إيران ١٣٧٠» ما نصه:.. واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا ممن بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، وينتقل حديثًا منسوبًا إلى الإمام الصادق أنه قال: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا».

وينسب أيضًا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله أنه قال:

«الأئمة من بعدي اثنا عشر؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحدًا منهم فقد أنكرني».

«وأقول الصدوق هذه وأحاديثه نقلها عنه علامتهم محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار ٢٧/ ٦١-٦٢»(١)

«ويقول علامتهم على الإطلاق جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي.. في كتابه الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ١٣ ط ٣ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٨٢: «الإمامة لطف عام والنبوة اللطف الخاص، وإلى هذا أشار الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين».

**ويقول الملا محمد باقر المجلسي** والذي يلقبونه بالعلم العلامة الحجة فخر الأمة في (بحار الأنوار) ٢٣/ ٣٩٠: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقدْ إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده وفُضِلَ عليهم يدل أنهم مخلدون في النار».

---

(١) عبد الله الموصلي «حقيقة الشيعة» ط. دار الإيمان الإسكندرية الطبعة الثانية ٢٠٠٢.

**ويقول شيخهم محمد حسن النجفي** في (جواهر الكلام) ٦/ ٦٢ط دار إحياء التراث العربي بيروت: «والمخالف لأهل الحق كافر بلا خلاف بيننا.. كالمحكي عن الفاضل محمد صالح في شرح أصول الكافي بل والشريف القاضي نور الله في إحقاق الحق من الحكم بكفر منكري الولاية لأنها أصل من أصول الدين».

«هذا ونقل شيخهم محسن الطباطبائي الملقب بالحكيم كفر مَنْ خالفهم بلا خلاف بينهم في كتابه مستمسك العروة الوثقى ١ / ٣٩٢ط٣ مطبعة الآداب النجف ١٩٧٠»[(١)].

**ويقول آية الله الشيخ / عبد الله الماقاني** الملقب عندهم بالعلامة الثاني في تنفيح المقال (١/ ٢٠٨ باب الفوائد - ط النجف ١٩٥٢): «وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على من لم يكن اثنى عشرى»[(٢)].

**وقال آيتهم العظمى ومرجعهم أبو القاسم الخوئي** في كتابه مصباح الفقاهة في المعاملات «٢/ ١١ط دار الهادي بيروت»: «..بل لا شبهة في كفرهم أي المخالفين لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم وبالعقائد الخرافية كالجبر ونحوه يوجب الكفر والزندقة، وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية.. أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين».

**ويقول شيخهم محمد حسن النجفي** وهو يُعلن بصراحة عداء الشيعة الشديد لأهل السنة، وذلك في موسوعته الفقهية المتداولة بين المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠].

دون غيرهم، وكيف يُتَصَوَّر الأخوة بين المؤمن وبين المخالف بعد تواتر الروايات وتضافر الآيات في وجوب معاداتهم والبراءة منهم»[(٣)].

---

(١) «حقيقة الشيعة» (ص ٣٨،٣٧) بتصريف يسير.

(٢) «المرجع السابق» (ص ٣٨)

(٣) «حقيقة الشيعة» (ص ٤١،٤٢،٤٣).

ويقول علامتهم السيد عبد الله شبر الذي يلقب عندهم بالسيد الأعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء رئيس الملة والدين، جامع المعقول والمنقول، مهذب الفروع والأصول، في كتابه «حق اليقين في معرفة أصول الدين» «٢/ ١٨٨- طبع بيروت»: «وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب فالذي عليه جملة من الأئمة كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخرة والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في النار في الآخرة»(١).

ومن هذه الأقوال السابقة ترى أن اعتقاد الشيعة بكفر أهل السنة هو الذي يُبرر لهم عداءهم وخياناتهم لأهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم كما سيأتي.

**٢- اعتقاد الشيعة بأن أهل السنة أعداء لأهل البيت:**

ومن أخطر الاعتقادات التي تؤجج نار الخيانة في قلوب الشيعة اعتقادهم بأن أهل السنة أعداء لأهل بيت رسول الله ﷺ؛ يكرهونهم ويبغضونهم وينتقصونهم، فأهل السنة هم الأعداء بل ألد الأعداء، ولذلك يُسمونهم النواصب أي: ينصبون العداء لأهل البيت!

وهاك بعض أقوال شيوخهم وعالمهم ومحققهم ومدققهم حسين بن الشيخ محمد آل عصفور الدرازي البحراني الشيعي في كتابه «المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية» (ص١٤٧ طبع بيروت): «بل أخبارهم عليهم السلام تُنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سُنيًّا.. ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن».

**ويقول الشيخ الشيعي على آل محسن** في كتابه «كشف الحقائق» ط دار الصفوة بيروت (ص٢٤٩): «وأما النواصب من علماء أهل السنة فكثيرون أيضًا منهم ابن تيمية وابن كثير الدمشقي وابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وابن حزم الأندلسي وغيرهم»(٢).

---

(١) «المرجع السابق» (ص ٤٢).

(٢) «حقيقة الشيعة» (ص ٤٦).

**وذكر الشيعي محسن المعلم** في كتابه «النصب والنواصب» ط دار الهادي بيروت في الباب الخامس، الفصل الثالث (ص ٢٥٩) تحت عنوان: «النواصب في العباد أكثر من مائتي ناصب على حد زعمه وذكر منهم:

«عمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وحسان بن ثابت، والزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والإمام البخاري، والزهري، والمغيرة بن شعبة، وأبو بكر الباقلاني، والشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية في مصر، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمود شكري الآلوسي.. وغيرهم كثير».

فلا أدري مَنْ بقى من أهل السنة لم يدخله الشيعة في عداد الأعداء النواصب.

**ويقول الدكتور الشيعي/ محمد التيجاني**(١) في كتابه «الشيعة هم أهل السنة» ط مؤسسة الفجر في لندن وبيروت ص ٧٩: «وبما أن أهل الحديث هم أنفسهم أهل السنة والجماعة فثبت بالدليل الذي لا ريب فيه أن السنة المقصودة عندهم هي بغض علي بن أبي طالب ولعنه، والبراءة منه فهي النصب».

ويقول في صفحة [١٦١]: «وغني عن التعريف أن مذهب النواصب هو مذهب أهل السنة والجماعة».

ويقول في صفحة [١٦٣]: «وبعد هذا العرض يتبين لنا بوضوح بأنَّ النواصب الذين عادوا عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وحاربوا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم الذين سموا أنفسهم بأهل السنة والجماعة».

ويقول في صفحة ٢٩٥: «وإذا شئنا التوسع في البحث لقلنا بأن أهل السنة والجماعة هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي بقيادة الأمويين والعباسيين».

---

(٢) أو الجاني كما سماه الشيخ / عثمان محمد الخميس.

عقد التيجاني في نفس الكتاب فصلًا بعنوان: «عداوة أهل السنة لأهل البيت تكشف عن هويتهم».

وقال في صفحة ١٥٩ منه: «إن الباحث يقف مبهوتًا عندما تصدمه حقيقة أهل السنة والجماعة ويعرف بأنهم كانوا أعداء العترة الطاهرة يقتدون بمن حاربهم ولعنهم وعمل على قتلهم ومحو آثارهم».

ثم يقول في صفحة ١٦٤: «تمعن في خفايا هذا الفصل فإنك ستعرف خفايا أهل السنة والجماعة إلى أي مدى وصل بهم الحقد على عترة النبي ﷺ فلم يتركوا شيئًا إلا وحرفوه».

ويقول في صفحة ٢٩٩: «وبعد نظرة وجيزة إلى عقائد أهل السنة والجماعة وإلى كتبهم وإلى سلوكهم التاريخي تجاه أهل البيت؛ تدرك بدون غموض أنهم اختاروا الجانب المعاكس والمعادي لأهل البيت عليهم السلام، وأنهم أشهروا سيوفهم لقتالهم، وسخروا أقلامهم لانتقاصهم والنيل منهم ولرفع شأن أعدائهم» (١).

وهذا غيض من فيض من الأقوال التي تبين اعتقاد الشيعة في عداء أهل السنة لآل البيت يبغضون ويسيئون إلى آل رسول الله، ويتقولون عليهم، وينسبون إليهم الكذب.

وسترى فيما سنعرض بعد خيانات الشيعة بناء على هذا الاعتقاد؛ كلما خان الشيعي خيانة أو دبر مكيدة لأهل السنة فإنه يعتبر ذلك من حسناته وصالح عمله؛ لأنه ينتصر لآل البيت من مبغضيهم وأعدائهم.

### ٣- اعتقاد الشيعة في حل دماء أموال أهل السنة ونجاستهم:

إن الدماء وقتل الأنفس من أهم القضايا التي عالجتها الشريعة الإسلامية بحكمة وشمول، وبينت حرمة الدم خصوصًا إذا كان هذا الدم سيُراق عن طريق الغدر حتى

---

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب «حقيقة الشيعة» (ص ٤٨- ٥٠).

ولو كان هذا الدم كافر بالله عَزَّ وَجَلَّ، قال: «**مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا**»[(١)].

ولكن برغم هذا فإن الشيعة يستحلون دماء وأموال أهل السنة، ويفتى علماؤهم بذلك، روى شيخهم محمد بن علي بن بابويه القمي والملقب عندهم بالصدوق وبرئيس المحدثين في كتابه «علل الشرئع» (ص٦٠١ طبع النجف) عن داود بن فرقد قال: قلتُ لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما تقول في قتل الناصب أي السني؟ قال: «حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإنَّ عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في دماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت فما ترى في ماله؟ قال: ما قدرت عليه».

وقد ذكر هذه الرواية الخبيثة شيخهم الحر العاملي في وسائل الشيعة (١٨/ ٤٦٣) والسيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية (٢ / ٣٠٧) إذ قال: «جواز قتلهم أي النواصب واستباحة أموالهم»[(٢)].

وأما إباحة أموال أهل السنة فيروي محدثو الشيعة وشيوخهم عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس»، أخرج هذه الرواية شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي في (تهذيب الأحكام) (٤/ ١٢٢) والفيض الكاشاني في (الوافي) (٦/ ٤٣ط دار الكتب الإسلامية بطهران)، ونقل هذا الخبر شيخهم الدرازي البحراني في (المحاسن النفسانية) (ص١٦٧)، ووصفه بأنه مستفيض، وبمضمون هذا الخبر أفتى مرجعهم الكبير روح الله الخميني في (تحرير الوسيلة) (١/ ٣٥٢) بقوله: «والأقوى إلحاق النواصب بأهل الحرب في إباحة ما اُغْتُنِم منهم، وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأى نحو كان ووجوب إخراج خمسه».

---

(١) البزار [٢٣٠٨].

(٢) «حقيقة الشيعة» (ص ٥٣).

ونقل هذه الرواية أيضًا محسن المعلم في كتابه «النصب والنواصب» ط. دار الهادي بيروت (ص٦٥١) يستدل بها على جواز أخذ مال أهل السنة؛ لأنهم نواصب في نظره[١].

ويقول فقيههم الشيخ/ يوسف البحراني في كتابه (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) (١٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) ما نصه: «إن إطلاق المسلم على الناصب، وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام خلاف ما عليه الطائفة المحقة سلفًا وخلفًا من الحكم بكفر الناصب، ونجاسته، وجواز أخذ ماله بل قتله».

ويقول البحراني أيضًا في موضع آخر (١٠-٣٦٠): «وإلى هذا القول ذهب أبو صلاح وابن إدريس وسلار، وهو الحق الظاهر من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها بكفر المخالف ونصبه وشركه، وحل ماله ودمه كما بسطنا عليه الكلام بما لا يحوم حوله شبهة النقض والإبرام في كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب»[٢].

وأما عن نجاسة أهل السنة في اعتقاد الشيعة فيقول مرجعهم المرزا حسن الحائر الإحقاقي في كتابه (أحكام الشيعة) (١/ ١٣٧ مكتبة جعفر الصادق الكويت): «النجاسات» وهي اثنا عشر، وعد الكفار منها، ثم عد النواصب من أقسام الكفار».

**ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري** في كتاب (الأنوار النعمانية) (٢/ ٣٠٦ ط الأعلمي بيروت): «وأما الناصب وأحواله، فهو يتم ببيان أمرين: الأول: في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه أشر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه نجس بإجماع علماء الأمة رضوان الله عليهم»[٣].

---

(١) «حقيقة الشيعة» (ص ٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص٦٠).

(٣) «حقيقة الشيعة» (ص٦٤-٥٦) بتصرف يسير.

وبناء على هذه الروايات الخبيثة التي كونتْ اعتقاد الشيعة في كفر أهل السنة، واستباحة دمائهم وأموالهم، والحكم بنجاستهم سترى العجب فيما بعد حينما نقلب صفحات التاريخ نفتش عن خيانة الشيعة، فالشيعي الذي يقرأ في عقائده وأحكامه أنه مأمور بقتل السني ولكن يستحسن أن يغرقه في الماء أو يقلب عليه حائطًا حتى لا يدع دليلًا يشهد به عليه كما يقول فقهاؤهم: إذا وجد فرصة يتحالف فيها ولو مع الشيطان لقتل النواصب «أهل السنة» فإنه سيراها فرصة ذهبية، ولن يتوانى، فلا بأس أن يتحالف مع شياطين التتار أو شياطين الصليبيين أو شياطين الأمريكان والإنجليز.

وفي رواية: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[1]

وذكر حسين الدرازي البحراني (....-١٢١٦هـ)[2] في كتابه المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية[3] في آخر رواية إسحاق بن عمار: لولا إنَّا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم، ورجل منكم خير من ألف رجل منهم لأمرناكم بالقتل لهم، ولكن ذل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ[4].

وعلَّق الدرازي عليها قائلًا: وربما يثبت من هذه الرواية أن جواز قتلهم مخصوص بحضورهم صلوات الله عليهم وإذنهم، وقد عرفت أن الأخبار جاءت بالإذن في حال غيبتهم كحال حضورهم فلعل هذا مخصوص بزمن التقية[5].

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ٥٣٣).

(٢) انظر: ترجمته في «الأعلام» (٢/ ٢٥٧).

(٣) قال الشيخ محمد مال الله رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الكتاب: «وهو الكتاب الأول من مطبوعات جمعية أهل البيت لتحقيق وطبع ونشر التراث الإسلامي بالبحرين. وعندما انتبه أهل السنة بالبحرين لهذا الكتاب أخفاه الشيعة وأصبح نادرًا وشاء الله تعالى أن أحصل على نسخة منه بواسطة أحد الأخوة» انظر: كتاب موقف الخميني من أهل السنة [٤٧] حاشية [٢٨].

(٤) انظر: «المحاسن النفسانية» (ص ١٦٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص ١٦٦).

الصلاة خلف أهل السنة «النواصب» باطلة وغير صحيحة.

وهذا بناء على أنهم كفار أي أهل السنة كما في النقل المتقدم، ونزيد ذلك بيان بذكر بعض الروايات:

( أ ) عن الفضل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن مناكحة الناصب والصلاة خلفه فقال لا تناكحه ولا تصل عليه(١).

وعلق عليها الحر العاملي «١٠٣٣-١١٠٤هـ» (٢)فقال: «هذا مخصوص بغير وقت التقية»(٣).

( ب ) عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال. لا تصلوا خلف ناصب ولا كرامة(٤).

( جـ ) جامع الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله أنه قال: مَنْ صلّى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلّى خلف الأئمة(٥).

( د ) عن صفوان الجمال قال:

«قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام إن عندنا مصلى لا نُصلي فيه وأهله نصّاب وإمامهم مخالف أتم به؟

قال: لا. قلت: إن قرأ أقرأ خلفه؟ قال: نعم.

قلت: فإن نفدت السورة قبل أن يفرغ.

---

(١) انظر: «وسائل الشيعة» (٣/ ٣٨٣).

(٢) انظر: «ترجمة في الأعلام» (٦/ ٩٠).

(٣) انظر: «وسائل الشيعة» (٣/ ٣٨٣).

(٤) انظر: «مستدرك الوسائل» (٣/ ٤٩٠).

(٥) انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

قال: سبّح وكبّر إنما هو بمنزلة القنوت وكبّر وهلل[١].

عقب الكاشاني (...- ١٠٩١)[٢] في (الوافي) على الأحاديث الآمرة بالصلاة خلف أهل السنة «النواصب» فقال: هذه الأخبار حملها في التهذيب[٣] على شدة التقية والخوف.

### تحريم نكاح أهل السنة:

**نُورد بعض الروايات في ذلك:**

١- عن الفضيل بن يسار قال: سألتُ أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن المرأة العارفة[٤] هل أزوجها الناصب؟

٢- قال: لا، لأن الناصب كافر.

قلت: فأزوجها لرجل غير الناصب ولا العارف؟

فقال: غيره أحب إليّ منه[٥].

٣- عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن لامرأتي أختًا عارفة على رأينا، وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟

قال: لا ولا نعمة إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[٦].

---

(١) انظر: «وسائل الشيعة» (٣/ ٤٣٣).

(٢) انظر: ترجمته في أمل الآمل (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) أي: الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) المسمى لديهم بشيخ الطائفة، انظر ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٨٤-٨٥).

(٤) أي: الشيعة.

(٥) انظر: «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٣١)، و«التهذيب» (٧/ ٣٠٣).

(٦) انظر: «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٢٤).

٤- عن عبد الله بن سفيان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سأله أبي أسمع عن نكاح اليهودية والنصرانية.

فقال: نكاحها أحب إليّ من نكاح الناصبية[١].

٥- عن سليمان الحمار عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لا ينبغى للرجل المسلم منكم أن يتزوج الناصبية، ولا يزوج ابنته ناصبيًا ولا يطرحها عنده[٢].

٦- عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟

فقال: لا، لأن الناصب كافر[٣].

٧- عن الفضيل بن يسار قال: سألتُ أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مناكحة الناصب والصلاة خلفه[٤].

فقال: لا تُناكحه ولا تُصل خلفه.

## مخالفة أهل السنة واجبة عند الرافضة

بل إن مقياس صحة أي خبر عند الرافضة لابد أن يكون خلاف ما عليه أهل السنة، ويوضح لنا ذلك الهالك الخميني حيث أورد روايات دالة على ذلك، وعلّق عليها قائلًا:

( أ ) فمن الأولى: مصححة عبد الرحمن بن أبي عبد الله وفيها: فإنْ لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه.

---

(١) انظر: «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٢٦)، و«الفروع من الكافي» (٣/ ٣٥١).

(٢) انظر: «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٢٦).

(٣) انظر: «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٢٤)، و«الاستبصار» (٣/ ٢٨٤).

(٤) انظر: «بحار الانوار» (١٠٠/ ٣٧٨).

( ب ) وعن رسالة القطب أيضًا بسندٍ فيه إرسال عن الحسن بن السري قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا ورد عليكم حديثان فخذوا بما خالف القوم.

ثم قال: وعلى أي حال لا إشكال في أن مخالفة العامة من مرجحات باب التعارض(١) وختم كلامه بخلاصة هي «فتحصل من جميع ما ذكرنا من أول البحث إلى هنا أنَّ الراجح المنصوص منحصر في أمرين: موافقة الكتاب والسنة، ومخالفة العامة»(٢).

ولم يتبين لنا حفيد ابن سبأ ما هو الكتاب والسنة هل المقصود بهما ما يُدين به المسلمون من كتاب الله العزيز، وسنة نبيه الثابتة فهي ناسخة لعقائد الرافضة أم خرافات الزنادقة وزارة وأبي بصير(٣).

وتأمل أخي أنهم بمخالفتهم لأهل السنة خرجوا من الدين بالكلية نسأل الله العافية.

**قصة وعبرة:**

( أ ) ذكر حسين الموسوي(٤) فقال: «...ومازال الاعتقاد عند معاشر الشيعة أن لكل فرد من أهل السنة ذيلًا في دبره، وإذا شتم أحدهم الآخر وأراد أن يغلظ له في

---

(١) انظر: «التعادل والترجيح للهالك الخميني» (ص ٨٣).

(٢) انظر: «التعادل والترجيح للهالك الخميني» (ص ٨٠-٩١) وقد ألف أحد مشايخ الرافضة وهو المدعو يوسف البحراني، كتابًا سماه «الشهاب الثاقب في بيان معنى النصب وما يترتب عليه من المطالب.

(٣) «موقف الشيعة من أهل السنة» باختصار وتصرف.

(٤) ألف الموسوي كتاب «لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار» انتقد فيه مذهب الرافضة الإمامية مدللًا على ذلك من كتبهم المعتمدة بالإضافة لذكره كثير من الفضائح والوقائع والأحداث التي تجري في الحوزات العلمية ومن بعض مشايخ الرافضة مما حدا ببعض مراجع الشيعة إلى التهجم عليه وتخطئته وسلبه جميع درجاته العلمية.

الشتيمة قال له: «عظم سني في قبر أبيك» وذلك لنجاسة السني في نظرهم إلى درجة لو اغتسل ألف مرة لما طهر، ولما ذهبت عنه النجاسة...»(١)

( ب ) وقال أيضًا: «مازالت أذكر أن والدى رَحِمَهُ اللَّهُ التقى رجلًا غريبًا في أحد أسواق المدينة، وكان والدى رَحِمَهُ اللَّهُ محبًا للخير إلى حد بعيد، فجاء به إلى دارنا ليحل ضيفًا عندنا في تلك الليلة فأكرمناه بما شاء الله تعالى، وجلسنا للسمر بعد العشاء وكنت وقتها شابًا في أول دراستي في الحوزة، ومن خلال حديثنا تبين أن الرجل سني المذهب ومن أطراف سامراء جاء إلى النجف لحاجة ما، بات الرجل تلك الليلة، ولما أصبح أتيناه بطعام الإفطار فتناول طعامه ثم همَّ بالرحيل، فعرض عليه والدي رَحِمَهُ اللَّهُ مبلغًا من المال فلربما يحتاجه في سفره، شكر الرجل حسن ضيافتنا، فلما غادر أمر والدي بحرق الفراش الذي نام فيه وتطهير الإناء الذي أكل فيه تطهيرًا جيدًا لاعتقاد بنجاسة السني وهذا اعتقاد الشيعة جميعًا، إذ أن فقهاءنا قرنوا السني بالكافر والمشرك والخنزير وجعلوه من الأعيان النجسة»(٢).

وبعد هذه النصوص والروايات المكذوبة التي يدين بها الرافضة نعرف من خلالها سبب من أسباب قتلهم للسنة فإن مجرد القتل مطلوب شرعًا عندهم.

## صور من مؤامرة الشيعة

### ١- الفاطميون يمالئون الفرنجة ويكتبون إليهم:

ومن تلك المؤامرة التي قام بها الشيعة مع الصليبين ما ذكره المقريزي في الخطط والآثار «من أن صلاح الدين الأيوبي لما تولى وزارة العاضد الفاطمي وكان قد ولاه لصغر سنة وضعفه كما ظن به قوي نفوذه في مصر، وأخذت سلطة العاضد في

---

(١) انظر: كتاب «لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار» ( ص٨٢).

(٢) انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

الضعف، حتى ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي، وتجلى استبداده بأمر الدولة، وإضعاف الخلافة الفاطمية، حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد، وقد أتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة، ودعوتهم إلى مصر فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقى من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه(١).

وفعلًا جاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة ٥٦٥هـ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أممًا كثيرة، جاءوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية، وخوفًا من استيلاء المسلمين على القدس، وأرسل إلى عمه نور الدين محمود بدمشق، يستنجده فأمده، وبعث صلاح الدين جيشًا بقيادة ابن أخيه وخاله شهاب الدين وأمدهما بالسلاح والذخائر، واضطروهم للبقاء في القاهرة خشية أن يقوم رجال القصر الفاطمي وجند السودان الناقمين بتدبير المؤامرات ضده(٢).

وكان من فضل الله أن ردَّ كيد الفرنجة والشيعة الفاطميين الذين كاتبوهم ففشلتْ هذه الحملة، وانصرف الفرنجة عن دمياط، وذلك لما تسرب إليهم من قلق من جراء ما عانوا في سبيل تموين قواتهم، وكما وقع الخلاف بين قوادهم على الخطة التي يتبعونها في مهاجمة المدينة، فضلًا عن ذلك بلغهم أن نور الدين محمود قد غزا بلادهم وهاجم حصن الكرك وغيره من نواحيهم، وقتل خلقًا من رجالهم، وسبى كثيرًا من نسائهم وأطفالهم وغنم من أموالهم(٣).

وهكذا دائمًا في كل خيانة يحدثونها يجعلون الأمة الإسلامية بين شقى الرحى، بين عدو خارجي وعدو داخلي، فاللهم انتقم من الخونة ولو كانوا من أهل السنة.

---

(١) المقريزي: «الخطط والآثار» (٢/ ٢).

(٢) انظر ابن كثير: «البداية والنهاية» (١٢: ٢٦٠).

(٣) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٦٠)، حسن الحبشي/ «نور الدين والصليبيون» (ص١٤٧) وما بعدها.

**ومن مؤامرات الشيعة مع الفرنجة:**

ومن تلك المؤامرات التي قامت بها الشيعة قبحهم الله ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما ذهب الفرنجة في هذا العام حتى عادوا مرة أخرى عام ٥٦٤هـ.

قال ابن كثير فيها: طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجًا أفواجًا، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين وقد سكنها أكثر شجعانهم فلما سمع الفرنج بذلك أتوا من كل فج وناحية في صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقًا وأسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا أثقالهم موئلًا لهم، ثم تحركوا نحو القاهرة.. فأمر الوزير شاور رجاله بإشعال النار فيها على أن يخرج منها أهلها؛ فهلكت للناس أموال كثيرة، وأنفس، وشاعت الفوضى، واستمرت النيران أربعة وخمسين يومًا، عندئذٍ بعث العاضد الفاطمي إلى نور الدين بشعور نسائه يقول: أدركني واستنفذ نسائي من الفرنج، والتزم له بثلث خراج مصر، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش لتسييرها إلى مصر، فلما أحس شاور بوصول جيوش نور الدين، أرسل إلى ملك الفرنج يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد لا يوافقني على تسليم البلد، فاعتذر لهم وصالحهم على ألف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف ليرجعوا؛ فانتشروا راجعين خوفًا من عساكر نور الدين وطمعًا في العودة إليها مرة أخرى، وشرع شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله وضيق على الناس...(١)

**٢- *ومن مؤامرات الشيعة أيضًا:***

ما حدث في سنة ٥٦٢هـ لما أقبلت جحافل الفرنج إلى الديار المصرية، وبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين محمود في الذهاب إليها، وكان

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٥).

كثير الحنق على الوزير شاور الفاطمي فأذن له فسار ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب...

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاؤا من كل فج إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم وأن معهم ألف فارس، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين إلا أميرًا واحدًا يُقال له: شرف الدين برغش فإنه قال: مَنْ خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم على العدو، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا قتالًا عظيمًا، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وهزموهم... ولله الحمد(١).

### ٣- التعاون مع الفرنجة لانتزاع الإسكندرية من يد صلاح الدين:

إن أسد الدين شيركوه لما كان قد أظفره الله بالفرنجة في الوقعة السابقة بمصر برغم خيانة الخونة، رأى أن يفتح الإسكندرية، ففتحها واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين، ثم توجه إلى الصعيد فملكه، وعندئذٍ اتفق الفاطميون مع الفرنجة على حصار الإسكندرية لانتزاعها من يد صلاح الدين في أثناء غياب أسد الدين شيركوه، فامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات والحال جدًّا فسار إليهم أسد الدين شيركوه فصالحه الوزير شاور عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار، فأجاب إلى ذلك، وخرج منها وسلمها للمصرين، ثم عاد إلى الشام، وقرر شاور للفرنجة على مصر في كل سنة مائة ألف دينار، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة(٢).

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٢).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣).

**٤- مؤامرة الوزير مؤيد ابن العلقمي الشيعي في دخول التتار بغداد:**

مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ: وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيرًا للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يُخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامرته ضد الخلافة، وكانت خيوط المؤامرة تتمثل في ثلاث مراحل:

( أ ) **المرحلة الأولى:** إضعاف الجيش، ومضايقة الناس حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبًا من مائة ألف مقاتل... فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف[(١)].

( ب ) **المرحلة الثانية:** مكاتبة التتار: يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهَّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال[(٢)].

( جـ ) **المرحلة الثالثة:** النهي عن قتال التتار، وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتلهم[(٣)]، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يُريد مصالحهتم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصلحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٢).

(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٢).

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ٨٣).

والفقهاء، والأمراء والأعيان، فتمَّ بهذه الحيلة قتل الخليفة، ومن معه من قواد الأمة وطلائعها، بدون أي جهد من التتار.

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يُصالح الخليفة، وقال له الوزير العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويُقَال: إن الذي أشار إليه بقتله الوزير العلقمي ونصير الطوسي(١)، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون مواليًا لآل رسول الله ﷺ مَنْ يسلط الكفف على قتلهم، وسبيهم وعلى سائر المسلمين(٢).

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلتْ المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد(٣).

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبنى للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف به عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده(٤).

(١) المقريزى: «الخطط والآثار».

(٢) «منهاج السنة» (٣/ ٨٣).

(٣) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٣).

(٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

وكان الوزير ابن العلقمي الرافضي الخائن شديد الحنق على العلماء من أهل السنة، حتى أنه كان يتشفى بقتلهم، ومن أبرزهم في ذلك الوقت الشيخ محي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وهو وأولاده الثلاثة «عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم» وأكابر الدولة واحدًا واحدًا، وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة فيذهب به إلى مقبرة الغلال فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي -قبحه الله ولعنه- أن يُعطِل المساجد والمدارس ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعَلَمهم بها وعليها[(١)].

**تقديرات ضحايا هذه الخيانة الشيعية:**

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اختلف الناس في كمية مَنْ قُتِلَ ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقيل: ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[(٢)].

«القتلى في الطرقات كأنها التلال، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنتْ من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء، والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[(٣)].

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٠٣).
(٢) السابق (١٣/ ٢٠٢).
(٣) السابق (١٣/ ٢٠٣).

## خيانات الشيعة ومحاولاتهم الفتك بصلاح الدين الأيوبي

لما تولى صلاح الدين زمام الحكم أظهر السنة ودحض البدعة، وجعل المذهب المعمول به في دولته مذهب أهل السنة والجماعة، وقضى على مظاهر التشيع... لذا لم ينس الشيعة أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي أزل دولتهم الفاطمية في مصر ومهَّد للسُّنَّة من جديد، لذلك حاولوا مرارًا الفتك به لإقامة الدولة الفاطمية من جديد، واستعانوا في هذه المؤامرات بالفرنج وكاتبوهم.

**يقول المقريزي في السلوك:**

«وفيها أي سنة ٥٦٩هـ اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد آخر خليفة فاطمي بمصر، وأن يفتكوا بصلاح الدين وكاتبوا الفرنج؛ ومنهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله بن كامل القاضي، والشريف الجليس، ونجاح الحمامي، والفقيه عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديوان النظر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجابر بن إسماعيل بن عبد القوي، والواعظ زين الدين بن نجا، فوشي ابن نجا بخبرهم إلى السلطان، وسأله أن ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور والموجود كله، فأُجيب إلى ذلك؛ فأحيط بهم وشنقوا.. وتتبع أي صلاح الدين من له هوى في الدولة الفاطمية، فقتل كثيرًا وأسر كثيرًا، ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر، وزاجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد، وقبض على رجل يُقال له قديد بالإسكندرية من دعاة الفاطميين يوم الأحد خامس عشر من رمضان»(١).

وبرغم قتل الخائنين المتآمرين إلا أن الفرنجة جاءوا حسب المكاتبة.

---

(١) «السلوك لمعرفة دولة الملوك» (١/ ٥٣، ٥٤).

**قال المقريزي:** «وفيها نزل أسطول الفرنج [١] بصقلية على ثغر الإسكندرية لأربع بقين من ذي الحجة بغتة، وكان الذي جهز هذا الأسطول غاليالم بن رجار متملك صقلية ولي بعد أبيه في سنة ٥٦٠هـ.

ولما أرسى هذا الأسطور على البر أنزلوا من طرائدهم ألفًا وخمسمائة فرس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، وما بين فارس وراجل وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب، والحصار ست سفن والتي تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبًا فكانوا نحو الخمسين ألف راجل، ونزلوا على البر مما يلي المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السور، وقتل من المسلمين سبعة، وزحفت مراكب الفرنج إلى الميناء، وكان بها مركب المسلمين فغرقوا منها، وغلبوا على البر وخيموا به، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة سود عظيمة، وكان السلطان صلاح الدين على فاقوس، فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنج؛ فشرع في تجهيز العساكر، وفتحت الأبواب وهاجم المسلمون الفرنج وحرقوا الدبابات، وأيديهم الله بنصره... وقتل كثير من الفرنج، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يُقدر على مثله بلا عناء، وأقلع باقي الفرنج في مستهل سنة سبعين» [٢].

أرأيت كم حجم الخيانة ومقدارها لولا أن مَنَّ الله على صلاح الدين ورجاله ونصرهم، وبالطبع كما قال المقريزي بعد عناء وأرواح ودماء أُسيلت، وما هذا إلا بفعل الشيعة.

---

(١) قال د/ محمد مصطفى زيادة في تعليقه على السلوك: «وهذه الحملة البحرية كانت دليلًا للمؤمراة الثورية التي قام بتدبيرها عمارة اليمني، وقد تقدم أن المتآمرين كاتبوا الفرنج ولم يكن حاكم صقلية يعلم بها حاق بالمتآمرين، فبعث مراكبه حسب الاتفاق المبيت معهم (١٠/ ٥٥).

(٢) «السلوك لمعرفة دول الملوك» (١/ ٥٥-٥٦).

ولم تكد تمضي هذه السنة ٥٦٩هـ وتدخل سنة ٥٧٠هـ حتى دبر الشيعة خيانة أخرى لإقامة الدولة الفاطمية والفتك بصلاح الدين.

**قال المقريزي:**

«...وفيها جمع كنز الدولة والي أسوان العرب والسودان، وقصد القاهرة يُريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالًا جزيلة، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين، وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها؛ فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطير مهذب بن مماتي فسار وأوقع بشادي وبدد جموعه وقتله.

ثم سار فلقيه كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فرَّ منها كنز الدولة بعد ما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كنز الدولة في سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة»(١).

ولم تكن هذه الخيانة مجرد مؤامرة للفتك بصلاح الدين السني الذي أزال دولة الشيعة في مصر، وإنما ترتب عليها أن استفحل خطر الفرنجة في بلاد الشام، وعندما عزم السلطان صلاح الدين على التوجه إليهم كان من أهم معوقاته خيانة الشيعة له في داخل سلطنته بمصر.

**قال ابن كثير:**

«استهلتْ سنة ٥٧٠هـ والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج، ولكن دهمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله في كثرة المراكب وآلات الحرب والحصار والمقاتلة..

---

(١) المرجع السابق (١/ ٥٧،٥٨).

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضًا رجلًا يُعرف بالكنز سماه بعضهم عباس ابن شادي، وكان من مقدمي الديار المصرية والدولة الفاطمية، كان قد استند إلى بلد يُقَال له أسو ـ. وجعل يجمع عليه الناس فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان، وكان يزعم أنه سيعيد الدولة الفاطمية، ويدحض الأتابكة التركية..»[1].

لما زالت دولة بني بويه «الشيعية» وبادت، جاء بعدها قوم آخرون من الأتراك السلاجقة الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم، ويرفعون قدرهم. والله المحمود أبدًا على المدى [2] وقاموا بنصرة السنة، وإخماد الرفض وأهله، ولكن هذه الدولة السنية لم تسلم من خيانات الشيعة وغدرهم.

ففي سنة ٤٥٠هـ جاء البساسيري الرافض الخبيث بجيوش إلى بغداد مقر السلطان السلجوقي طغرلبك، وكان غائبًا عنها ومعه الرايات البيض المصرية، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله الفاطمي، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة، وسألوه أن يجتاز من عندهم، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيم بها والناس إذ ذاك في مجاعة شديدة.. ونهب أهل الكرخ الروافض دور أهل السنة بالبصرة وتملك أكثر السجلات والكتب الحكمية، بعد ما نهب دار قاضي القضاة الدامغاني، وبيعت للعطارين، وأعادت الروافض الأذان بحي على خير العمل في نواحى بغداد، وخطب ببغداد للمستنصر بالله العبيدي، وضربت له السكة وحُوصرت دار الخلافة، ثم نُهبتْ والروافض في غاية السرور..وانتقم البساسيري من أعيان أهل السنة ببغداد فأخذ الوزير ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفى رقبته مخنقة، وأركب جملًا أحمر، وطيف به البلد وخلفه مَنْ يصفعه بقطعة من جلد، وحين مَرَّ على الكرخ دور الرافضة نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه وسبوه... ثم لما

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (١٢/ ٦٨،٦٩).

فرغوا من التطرف به جيء به إلى المعسكر؛ فألبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شدقيه، ورفع إلى الخشبة فجعل يضرب إلى آخر النهار؛ فمات رَحِمَهُ اللَّهُ وكان آخر كلامه: «الحمد لله الذي أحياني سعيدًا، وأماتني شهيدًا»[١] وقد أصبحتْ بلاد الشام مسرحًا للمنازعات بين السلاجقة « الذين هم من أهل السنة» والفاطميين «الشيعة» مما أدى إلى تفكك وحدة المسلمين ومهّد الطريق أمام الصليبين لغزو بلاد الشام في يسر وسهولة، حيث وصلوا إلى أطرافها في سنة ٤٩٠هـ.

وتبرز هنا خيانات الفاطميين فقد أرسل بدر الجمالي وزير المستعملي الفاطمي الشيعي سنة ٤٩٠هـ سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضًا خلاصته: أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

ولما كان هدف الصليبيين هو السيطرة على بيت المقدس فقد كان ردهم غامضًا واكتفوا ببث شعور الطمأنينة في نفوس الفاطميين، واكتشفوا بذلك ضعف المسلمين وتفككهم.

ولما قام الأمير «كربوق» صاحب الموصل من قبل السلاجقة بتجهيز قوة لمنع سقوط أنطاكية بيد الصليبيين وقف الفاطميون موقف المتفرج، ولم يكتفوا بذلك بل استغلوا هذه الفرصة فسيروا جيشًا إلى بيت المقدس الذي كان بيد السلاجقة وحاصروه، ونصبوا عليه أكثر من أربعين منجنيقًا حتى تهدمت أسواره وسيطروا عليه[٢].

واستغل زعماء الشيعة الإسماعيلية الخلاف بين بعض السلاطين السلاجقة في نحو سنة ٤٨٨هـ، وتقربوا من رضوان بن تاج الدولة تتش الذي كان على بلاد الشام، وحصلوا عنده على مكانة مرموقة فتشيع لآرائهم، ولم يعبأ بما أحرزه الصليبيون من

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٧٦-٧٩) بتصريف وإيجاز.

(٢) د/ أنس أحمد كرزون: نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد.

انتصارات واستيلاء على بعض بلاد الإسلام في آسيا الصغرى(١) فقد استولوا على أنطاكية سنة ٤٩١هـ ثم سيطروا على المعرة عام ٤٩٢هـ ثم واصلوا سيرهم إلى جبل لبنان؛ فقتلوا مَنْ به من المسلمين، ثم نزلوا إلى حمص فهادنهم صاحبها على مال يدفعه.

**قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:**

«في جمادى الأولى سنة ٤٩١هـ ملك الفرنجة أنطاكية بعد حصار شديد بمواطأة بعض المستحفظين على الأبراج وهرب صاحبها... ولما بلغ الخبر الأمير كربوق صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق وجناح الدولة صاحب حمص وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض أنطاكية فهزمهم الفرنج، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأخذوا منهم أموالًا جزيلة... ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان؛ فأخذوها بعد حصار ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٢).

**دورهم في الحرب على الدولة العثمانية «السنيّة»:**

لقد كان دور الرافضة مؤثرًا وخطيرًا في عدائهم للدولة العثمانية ممثلًا بالدولة الصفوية التي كانت تحكم إيران آنذاك وإليكم مقتطفات عن هذا الدور الشائن والقذر على مدى سنين طويلة من عمر هذه الدولة:

**١- تحالف الرافضة مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية أيام إسماعيل الصفوي:**

ابتداءً يعد نسب الصفويين إلى صفي الدين الأردبيلي، (٦٥٠-٧٣٥هـ/ ١٢٥٢-١٣٤٣م) وهو الجد الأكبر للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية. استطاع الشيخ صفي الدين عن طريق إحدى الفرق التي تزعمها أن يشق طريقه في المجتمع

---

(١) «زبدة الحلب» (٢/ ١٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٥٥).

الإيراني وأشيع أن صفي الدين وأولاده ينتمون إلى علي بن أبي طالب، وقد لجأ صفي الدين إلى التقيّة إذ كان يظهر بأنه سنّي الاتجاه ومن أتباع المذهب الشافعي.

ولما تمهدتْ السبل أمام هذه الدعوة «الشيعية» أعلن أحد أحفاده إسماعيل الصفوي هذه الدعوة بعد أن فرض المذهب الشيعي على أهل إيران الذين كانوا في غالبيتهم من أهل السنة، وأعلن المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا وذلك بالقوة والبطش وإرهاب الناس ولم يكتف بذلك بل نقل دعوته الشريرة الباطلة إلى الأقاليم المجاورة، وافتتح ممالك العجم جميعها، وكان يقتل مَنْ ظفر به وما نهبه من الأموال قسمه بين أصحابه ولا يأخذ منه شيئًا ومن جملة ما ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان، وكاد أن يدّعي الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره.

**قال قطب الدين الحنفي في الأعلام:** «أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس، وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد من بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم وكان شديد الرفض...»[(١)] ولقد تزعم الشاه إسماعيل المذهب الشيعي وحرص على نشره، ووصلت دعوته إلى الأقاليم التابعة للدولة العثمانية، وكانت الأفكار والعقائد التي تنشر في تلك الأقاليم يرفضها المجتمع العثماني السني حيث كان من عقائدهم الفاسدة تكفير الصحابة، لعن العصر الأول، تحريف القرآن الكريم، وغير ذلك من الأفكار والعقائد فكان من الطبيعي أن يتصدى لتلك الدعوة السلطان سليم زعيم الدولة السنية فأعلن في اجتماع لكبار رجال الدولة والقضاة ورجال السياسة وهيئة العلماء في عام ٩٢٠هـ ١٥٤١م أن إيران بحكومتها الشيعية ومذهبها الشيعي يمثلان خطرًا جسيمًا لا على الدولة العثمانية بل على العالم الإسلامي كله وانه لهذا يرى الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية، وكان رأي السلطان سليم هو رأي علماء أهل السنة في

---

(١) «الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي» (ص ٢٤٠).

الدولة، لقد قام الشاه إسماعيل عندما دخل العراق بذبح المسلمين السنيين على نطاق واسع، ودمر مساجدهم، ودمر مقابرهم...(١)

واسمع معى أخي القارئ لهذا الكلام النفيس الذي صدر عن السلطان سليم في رسالته إلى الشاه إسماعيل يتوعده ويتهدده بكل عزة وإباء: «إنَّ علماءنا ورجال القانون قد حكموا عليك بالقصاص يا إسماعيل بصفتك مرتدًا، وأوجبوا على كل مسلم حقيقي أن يُدافع عن دينه، وأن يحطم الهراطقة في شخصك أنت وأتباعك البلهاء ولكن قبل أن تبدأ الحرب معكم فإننا ندعوكم لحظيرة الدين الصحيح قبل أن نشهر سيوفنا وزيادة على ذلك فإنه يجب عليك أن تتخلى عن الأقاليم التي اغتصبتها منا اغتصابًا ونحن حينئذٍ على استعداد لتأمين سلامتك»(٢)، بل جاء في خطاب آخر مشابه بعد أن قدم للتعريف بنفسه: «أنا الملك الهمام السلطان سليم خان ابن السلطان الأعظم مراد خان، أتنازل بتوجيه إليك أيها الأمير إسماعيل يا زعيم الجنود الفارسية... وإذ أفتى العلماء والفقهاء الذين بين ظهرانينا بوجوب قتلك ومقاتلة قومك فقد حقَّ علينا أن ننشط لحربك، ونخلص الناس من الشرك»(٣)

وهكذا وبفضل الله تعالى المسلمون على الجيش الصفوي في معركة جالديران ودخل تبريز منتصرا، وعاد سليم الأول بعد أن استولى على الكثير من الأقاليم التي كانت محتلة بأيدي الصفويين، وهنا يجيء الدور الخياني للرافضة بعد أن ديستْ هيبتهم بالأقدام، وخسروا معركتهم مع أهل الحق، راحوا يتواطئون مع النصارى ضد المسلمين وأقاموا تحالفًا مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية السنية، وكانت الاتفاقية بينهم تنص على:«أن يقدم البرتغال أسطوله ليساعد الفرس في غزو البحرين والقطيف كما يقدم

(١) «عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية» / د. على محمد الصلابي.

(٢) «جهود العثمانين لإنقاذ الأندلس» (ص ٤٣٥).

(٣) «جهود العثمانين لإنقاذ الأندلس» (ص ٤٣٥).

البرتغال المساعدة للشاه إسماعيل لقمع الثورة في مكران وبلوجستان، وأن يكون الشعبان البرتغالي والفارسي اتحادًا ضد العثمانيين»(١).

ووصلت ثقة أعداء الإسلام بالرافضة أن وجه البوكيرك إلى الشاه إسماعيل الصفوي الرسالة التالية: «أني أقدِّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند وإذا أردت أن تنقضّ على بلاد العرب، أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يُريد»(٢). وقد تضمن مشروع التحالف البرتغالي الصفوي تقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ بينهما حيث اقترح أن يحتل الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين(٣).

«بل إنَّ الشاه لم يتوقف عن البحث عن حلفاء ضد الدولة العثمانية التي أصبحتْ القوة الكبرى التي تحول بينه وبين الوصول إلى البحر المتوسط، وكان مستعدًا لأن يتحالف حتى مع البرتغاليين أشد القوى خطرًا على العالم الإسلامي حينذاك، وهكذا بينما كان البرتغاليون يخشون وجود جبهة إسلامية قوية ضدهم في المياه الإسلامية، وجدوا أن هناك مَنْ يُريد أن يتعاون معهم، فلا غرو أن وافق الشاه أن تظل هرموز تحت السيطرة البرتغالية في مقابل حصوله على الاحساء»(٤).

**٢- تحالف الرافضة مع النصارى ضد الدولة العثمانية أيام عباس الصفوي:**

انتهز الشاه عباس الصفوى اضطراب الدولة العثمانية وباشر في تخليص عراق العجم واحتل تبريز ووان وغيرهما، واستطاع أن يحتل بغداد، وقد أنزل الشاه عباس

---

(١) «فتح العثمانين عدن» (ص ١١٣).

(٢) «جهود العثمانين لإنقاذ الأندلس» (ص ٤٣٧).

(٣) «قراءة جديدة في تاريخ العثمانين» (ص ٦٣).

(٤) المصدر السابق (ص ٦٤).

الصفوي أقصى العقوبات بأعداء الدولة من السنّة فأما أن يقتلوا أو تسمّل عيونهم ولم يكن يتسامح مع أي منهم إلا تخلى عن مذهبه السني وأعلن ولاءه للمذهب الشيعي[(١)].

ولقد بالغ الشاه عباس الصفوي في عداءه للمذهب السني بملوك المسيحيين وإمعانًا في ضرب الدولة العثمانية حامية المذهب السنى فقد عقد اتفاقات تعاون مشترك معهم من أجل تقويض أركان الدولة العثمانية السنية، وعامل الشاه عباس الصفوي المسيحيين في إيران معاملة حسنة على عكس معاملته للسنّة، وقد كان لمعاملته المتميزة للمسيحيين أن نشطت الحركة التنصيرية في إيران وأصبحت إيران سوقًا رائجًا للتجارة الأوربية، لقد توج تسامحه مع المسيحيين بأن أعلن في عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م أوامره بعدم التعرض لهم والسماح لهم بحرية التجول في ربوع الدولة الصفوية[(٢)].

ولقد جامل الشاه عباس الصفوي المسيحيين، وشرب معهم الخمر احتفالًا بأعيادهم كما أنه سمح لم بالتبشير بالمسيحية في داخل إيران، وإعطاهم امتيازات ببناء الكنائس في كبرى المدن الإيرانية وهذه المعاملة للمسيحيين كانت نكاية في الدولة العثمانية السنية[(٣)].

تعاون الشيعة مع اليهود حقيقة لا وهم: قال الأستاذ/ عبد الله محمد الغريب: «تعاون الشيعة مع العدو الصهيوني في جنوب لبنان حقيقة ثابتة، وليس أسطورة اخترعها خصوم الرافضة، فلقد تحدثت الصحف ووكالات الأنباء المحلية والعالمية عن هذا التعاون ولمسه المسلمون والنصارى في الجنوب لمس اليد واعترف به الطرفان الشيعي واليهودي».

---

(١) «الإسلام في آسيا»، د. محمد نصر مهنا (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) «عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية» د. علي محمد الصلابي (ص ٣٦٢، ٣٦١).

(٣) «الإسلام في آسيا» (ص ٢٥٣).

قالت وكالة رويتر في تقرير لها من النبطية في ١ / ٧ / ١٩٨٢ : (إن القوات الصهيونية التي احتلتْ البلد سمحت لمنظمة أمل بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لها وبحمل جميع ما لديها من أسلحة.

وصرح أحد قادة مليشيات منظمة أمل ويُدعى حسن مصطفى: إن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع عنا ضد الفلسطينيين، وبعد أن أعلنت إسرائيل عن عزمها الانسحاب من لبنان ضاعفت منظمة أمل من مطاردتها للقوات الفلسطينية في بيروت الغربية والجنوبية، وفي جنوب لبنان، وكانت ادعاءات إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية تُشبه ادعاءات أمل، فهل تتم مثل هذه الأمور بشكل عفوي بين الطرفين؟

تجيبنا على هذا السؤال صحيفة (الجروزاليم بوست) في عدد لها بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٨٥: (إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل.. إنَّ إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وإن الوقت قد حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة. كما يجيبنا على هذا السؤال رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية إيهود براك حيث يقول: «إنني على ثقة تامة من أن أمل ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية».

ويجيبنا على السؤال أيضًا وزير الخارجية السويدي (بيير أوبيرت) الذي أكد في جنيف في ٢٤/ ٦/ ١٩٨٥أنه نقل رسالة من رئيس حركة أمل نبيه بري إلى القيادة الإسرائيلية.. إلا أنه رفض إعطاء تفاصيل عن الرسالة..[1].

---

(١) «وجاء دور المجوس» (٢/ ١٦٠-١٦٢) بإيجاز.

وفي تقرير نشرته مجلة الأسبوع العربي بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٣عن مقابلة أجرتها المجلة مع حيدر الدايخ أحد قادة أمل في الجنوب جاء فيه:

«وصلنا إلى معسكر حيدر الدايخ.. وكانت عناصره ترتدي الثياب العسكرية وتحمل الأسلحة.. بعضهم لم يتجاوز العشرين، وبعضهم أطلق لحيته فأدركنا عندئذٍ أن هذه العناصر من أفراد الجيش الشيعي، وأن إسرائيل هي التي تُدربهم، خصوصًا عندما شاهدنا على بعد أمتار قليلة من المعسكر (فيلا) يتمركزون فيها الإسرائيليون.. وكان أحد الإسرائيليين بين الحين والآخر يرفع منظاره إلى عينيه ويحدق في الوجوه...».

اقتربنا من حيدر الدايخ في وسط المعسكر، وقد رفع العالم اللبناني وقد كتبت بعض السيارات (قوات كربلاء) وسألنا حيدر عن سبب التسمية؟ فقال: موقعة كربلاء لها مدلولات كثيرة في نظري، هي مأساة الإمام الحسين الذي حارب الظلم، ونحن نُحارب الظلم، وفي رأي أن لبنان كله يمر بكربلاء حاليًا، لأن موقف لبنان مثل موقف الحسين بكربلاء، كان أعداء الإمام كثيرين والأصدقاء تخلوا عنه، وهكذا لبنان، لذلك نسترشد بالإمام الحسين ونمشي على خطاه. وسألنا: أحد عساكر الدايخ عن سبب حمله السلاح فأجاب: إنَّ السبب في حملي السلاح يعود إلى المخاطر التي تتعرض لها الطائفة الشيعية، وإلى التفتت الذي قد يعترضها في المستقبل.

وسألنا حيدر الدايخ: هل تعتبر أن تسميتكم الجيش الشيعي تعود إلى أن عناصركم من الطائفة الشيعية؟ فقال: نحن في منطقة شيعية وجميع عناصري (أولاد الجنوب اللبناني) هم من الطائفة الشيعية، لكن هذا لا يعني أننا طائفيون، بل ليس لدينا أي بعد أو تفكير طائفي، يا أخي إذا كنا شيعة ماذا نفعل؟ هل نغير هويتنا؟ هل نُغير طائفتنا كي نرضي بعض الناس؟ نحن لا يمكن أن نتخلى عن هذه الهوية، ولا يُمكن أن نكر بأننا مسلمون.

ثم يمضي الدايخ في حديثه: «كل الناس تعلم والحكومة أيضًا بأننا نحمل السلاح منذ بداية الأحداث، وخضنا المعارك ضد الإرهاب الفلسطيني، وضد التجاوزات التي كانت تحدث في الجنوب».

ثم يثني على إسرائيل فيقول: «كنا نحمل السلاح قبل دخول إسرائيل إلى الجنوب، ومع ذلك فإنها فتحت لنا يدها، وأحبت أن تُساعدنا فقامت باقتلاع الإرهاب الفلسطيني من الجنوب وغيرها، ولن نستطيع أن نرد لها الجميل، ولن نطلب منها أي شيء لكي لا نكون عبئًا عليها»[(١)].

وأرجو بعد نقل هذه الدلائل على خيانة القوم، وتعاونهم مع العدو الصهيوني أن يفيق كل مسلم يرى بعض الفصائل الشيعية في لبنان كحزب الله وهي تُحارب إسرائيل فيخدع بمواقفها، إنَّ الأمر لا يعدو أن يكون مجرد دفاع قومي أو وطني تتأجج ناره وتخمد حسب تقلبات السياسة، فمتى غضبت عليهم إسرائيل حصل التصادم، ومتى رضيت أخمدت النار، وفي الأمر من الخفايا ما سينكشف إن شاء الله ربما لنا، وربما لأجيال من بعدنا.

## حول خيانة الشيعة في الحرب الأمريكية على العراق

لم تزل روح التذمر والسخط موجودة عند الشيعة في العراق فهي لا تبرح من صدروهم، ومع طلعة كل شمس كانوا يتطلعون إلى إعلان دولة الشيعة في العراق أو التوحيد مع أم الشيعة إيران، وهذا لا يكون إلا بالإطاحة الحاكم، والتخلص من قيوده.

وبمجرد ما واتتهم الفرصة عندما أعلنتْ أميريكا وبريطانيا الحرب على العراق بحجة محاربة الإرهاب وإحلال الديمقراطية... وجد الشيعة لهم متنفسًا للتخلص من نظام صدام حسين.

---

(١) «وجاء دور المجوس» (٢/ ١٦٣-١٦٥).

وظهرتْ خيانتهم في أنهم لم يشاركوا في المقاومات التي قام بها سواء الجيش أو الشعب العراقي ضد هذا العدو الغازى، ووقفوا موقف المتفرج، ومَنْ يدري لعلهم أعانوا العدو الصليبي وأمدوه بما استطاعوا من المعلومات كما فعل ابن العلقمي والطوسي.. قديمًا أيام التتار.

وعندما سقطت بغداد خرج الشيعة في الشوارع كالكلاب المسعورة يخطفون وينهبون ويخربون حتى المستشفيات... وكل هذا في ظل حماية سادتهم الأمريكيين..

واستغل العدو الأمريكي هذه المناظر التي أحدثها الشيعة في العراق في إظهار نفسه بدور المنقذ المخلص لهذا الشعب المضطهد..

والواقع أننا في الوقت الحالي أمام مشكلة معلوماتية يعرف منها حقيقة الأمر تفصيلًا، وذلك لما اكتنف هذه الحرب من غموض، ولكن يومًاسنكشف إن شاء الله هذا الغموض، إما لنا وإما لأجيال بعدنا ليؤكد الحقيقة التي لا تستعبد على القوم وهي تآمرهم وخيانتهم.

ومن بعض المقتطفات الإخبارية يمكن أن نرى كيف أن الشيعة كانوا متطلعين إلى زوال النظام العراقي وإحلال نظام شيعي محله، أو تكون فيه أغلبية شيعية.

وفي جريدة الأهرام أيضًا بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٠٣ ذكرت أنه تظاهر نحو ٥٠٠ عراقي في بغداد للمطالبة بإقامة حكومة إسلامية، وأعلنوا رفضهم قيام أي حكومة علمانية تُشكلها الولايات المتحدة، وطالب المتظاهرون الذين يُمثلون الحوزة الشيعية في مدينة النجف بمنع العراقيين حريتهم في اختيار حكومتهم.

وفي جريدة الأسبوع المصرية بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠٣ تحت عنوان: «قادة المعارضة العراقية عملاء مباشرون لإسرائيل» ذكرت أنه عندما أطلقتْ أمريكا ما أسمته إعادة ترتيب العراق روجتْ دوائر صهيونية عديدة في أمريكا وإسرائيل على حد سواء لاسم

«أحمد الجلبي» أحد قادة المعارضة العراقية الواقعين المتعرفين بالكيان الصهيوني وإمكانية تعاونه مع هذا الكيان في وقت لاحق في مرحلة ما بعد إعادة ترتيب العراق... وكان جلبي في إشارة واضحة تبين موقفه من الكيان الصهيوني قد قال في لقاء صحفي نشرته صحيفة «هاآرتس العبرية»: من المفضل ألا يقترب منا القادة الإسرائيليون، وألا يبحثون عن اتصال... مضيفًا: عليهم ألا يُسارعوا إلينا عندما نكون في السلطة وهذا لتمويه وصرف الأعين عن علاقته بالكيان الصهيوني وأحمد جلبي أحد قادة المعارضة الشيعة يُعتبر من وجهة نظر الصهاينة أحد أهم المعارضين المعروفين على الساحة الدولية منذ عام ١٩٩١؛ خاصة بعد فشل التمرد الشيعي في ذلك العام، والذي نفى على أثره... علمًا بأنه قد قام بزيارات سرية لإسرائيل عدة مرات التقى فيها بعدد من المسئولين الصهاينة، من أبرزهم «إفرايم هاليفي» رئيس المؤسسة الأمنية الإسرائيلية المسماة مجلس الأمن القومي والرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد، وليس أحمد جلبي فقط هو مَنْ يُصارع في هذا المجال.. فهناك غيره كثير على هذه الشاكلة أغلبهم يرى نفسه أحق المتآمرين للحصول على أكبر قدر من الغنائم وأهمها كرسي الحكم.

**منهم:** ذلك المعارض الذي يسكن واشنطن «نجيب صالحي» أحد الضباط الكبار في الجيش العراقي قبل أن يفر إلى الولايات المتحدة ليخدم بكل ما أوتي من قوة أعداء العراق.

**ومنهم:** كما جاء في إحدى المجالات البحثية التي يصدرها مركز الدراسات الإسرائيلية عن الحالمين بالحكم في بغداد الشريف علي بن الحسين من سلالة العائلة الحاكمة التي حكمت العراق قبل الإطاحة بالملكية وإبعادها عن الحكم.. وهو يعتقد أن على العراق العودة إلى النظام الملكي.

**ومنهم:** سعيد صلاح جعفر يقول عنه الإسرائيليون: إنه الصديق المخلص لدولة إسرائيل: «أن والد سعيد قدم خدمات جليلة لليهود يوم أن كان وزيرًا للداخلية بالعراق.

ولولا مساعدته لما نجحت حملة تهجير اليهود، ويضيف أن سعيد ورث حب إسرائيل واليهود عن أبيه، وقد هرب إلى لندن ليعمل على توحيد قوى المعارضة العراقية، وانتخب رئيسًا لبرلمان المنفى خاصة بعد دعم الولايات المتحدة له.

وسعيد صالحي هذا له علاقات قوية جدًا مع قادة يهود العالم خاصة داخل أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ذلك إلى جانب دعمهم المالي السري كي يستميل أكبر عدد من المعارضة العراقية لصالح إسرائيل».

وفي جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ تحت عنوان: (الشيعة يُطالبون أمريكا بتعويضهم عن عقود الاضطهاد تحت حكم صدام: «ذكرت الصحيفة أنه في انعقاد أول جلسة لمجلس الحكم الانتقالي والذي مثل الشيعة فيه ١٣ ممثلًا والسنة ٥، والأكراد ٥، وتركماني ١، ومسيحي ١، وطالب رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق محمد باقر الحكيم قوات الاحتلال الأمريكي بتعويض الشيعة عن عقود الاضطهاد، وكان قد صرح لوكالة رويتر بأن شيعة العراق قد ينقلبون ضد قوات الاحتلال إذا لم يحصلوا على تعويض سياسي مناسب عن عقود الاضطهاد التي عانوا خلالها في ظل الحكم السابق».

إن القوم لا يهمهم إلا الصالح الشخصي لهم فقط، فهم يعلونها صراحة بأنهم لم يعترضوا على الاحتلال إلا إذا لم يلبوا مطالبهم ويقوم بتعويضهم عما أسموه الاضطهاد السياسي، واعتقد أنه سيفعل؛ لأنَّ العدو ماهر في شراء ذمم الخونة.

وفي حين يُطالب الشيعة بتعويض عن الاضطهاد السياسي في العقود الماضية كما زعموا[1] يُقاوم أهل السنة الاحتلال الأمريكي البريطاني ويبذلون دمائهم في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) لم يكن هذا اضطهادًا، وإنما كان ردًا على خيانتهم وشغبهم الذي لا ينتهي.

وفي تقرير إخباري لجريدة الأخبار بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٣ نشرت صورة لجمع كبير من الناس في مسجد وهو يتبرعون بدمائهم للجرحى المقاومين وكان التعليق تحتها:

«المسلمون السنة في العراق يتبرعون بدمائهم بعد صلاة الجمعة في جامع عبد القادر الجيلاني في بغداد الصورة للأخبار من أ.ف.ب».

وهكذا لو قبلت في وابل الأخبار والنشرات التي تصدر عن الأوضاع في العراق لما أعجزك أن تقف على خيانات الشيعة في العراق والتعامل مع كل الأعداء اليهود والصليبيين ظنًا منهم بأنهم هم الذين سيعيدون الحكم للحوزة الشيعية، ويعاونهم في تأسيس دولة شيعية.

ولكم بإذن الله ستظل المقاومة مقاومة أهل السنة حتى يرحل الغزاة، أو يهلكون ساعتها ستنكشفُ خيانات الخائنين أكثر وأكثر، طال الأمد في تحقيق هذا الهدف أو قصر، والرجاء في الله وحده فهو المستعان.

## الخطة السرية لآيات إيران في ضوء الواقع الجديد

نشرتْ رابطة أهل السنة في إيران مكتب لندن هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية.

**نص الرسالة:** «إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغرب سوف تُهاجمنا وتنتصر علينا».

وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الاثنى عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن وبناءًا على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين نحمل واجبًا خطيرًا وثقيلًا وهو تصدير الثورة؛ وعلينا أن نعترف أن حكومتنا فضلًا عن مهمتها

في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب، فهى حكومة مذهبية ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات.

لكن نظرًا للوضع العالمي الحالي والقوانين الدولية كما اصطلح على تسميتها لا يمكن تصدير الثورة بل ربما اقترن ذلك بأخطار جسيمة مدمرة.

ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات، وبآراء شبه إجماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسينية تشمل خمس مراحل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة، ونوحد الإسلام أولًا لأن الخطر الذي يُواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب لأن هؤلاء «الوهابيين وأهل السنة» يُناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورًا للبلد أمرًا مخالفًا للشرع والعرف، . هم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضادين.

**بناء على هذا:** يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عدد مساجدنا و(الحسينيات)، ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهيئ الجو في المدن والقرى الداخلية إليها، ويقيمون فيها إلى الأبد للسكنى والعمل والتجارة، ويجب على الدولة والدوائر الحكومية أن تجعل هؤلاء المستوطنين تحت حمايتها بشكل مباشر ليتم إخراج إدارات المدن، والمراكز الثقافية والاجتماعية بمرور الزمن من يد المواطنين السابقين من السنة والخطة التي رسمناها لتصدير الثورة خلافًا لرأى كثير من أهل النظر، ستثمر دون ضجيج أو إراقة للدماء أو حتى رد فعل من القوى العظمى في العالم، وإنَّ الأموال التي ستنفق في هذا السبيل لن تكون نفقات دون عائد.

طرق تثبيت أركان الدولة: نحن نعلم أن تثبيت أركان كل دولة، والحفاظ على كل أمة أو شعب ينبني على أسس ثلاثة:

**الأول:** القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.

**الثاني:** العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.

**الثالث:** الاقتصاد المتمركز في أيدي أصحاب رؤوس الأموال.

إذا استطعنا أن نزلزل كيان تلك الحكومات بإيجاد الخلاف بين الحكام بين الحكام والعلماء، ونُشتت أصحاب رؤوس الأموال في تلك البلاد ونجذبها إلى بلادنا، أو إلى بلاد أخرى في العالم نكون بلا ريب قد حققنا نجاحًا باهرًا وملفتًا للنظر؛ لأننا أفقدناهم تلك الأركان الثلاثة.

وأما بقية الشعوب التي تشكل ٧٠ إلى ٨٠٪ من سكان كل بلد فهم أتباع القوة والحكم ومنهمكون في أمور معيشتهم، وتحصيل رزقهم من الخبز والمأوى؛ ولذا فهم يدافعون عمن يملك القوة.

ولاعتلاء أي سطح فإنه لابد من صعود الدرجة الأولى إليه.

وجيراننا من أهل السنة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل (الخليج الفارسي)! التي تبدو دولًا متحدة في الظاهر إلا أنها في الحقيقة مختلفة. ولهذه المنطقة بالذات أهمية كبرى سواء في الماضي أو الحاضر كما أنها تُعتبر حلقوم الكرة الأرضية من حيث النفط، ولا توجد في العالم نقطة أكثر حساسية منها، ويملك حكام هذه المناطق بسبب بيع النفط أفضل إمكانيات الحياة..

**فئات شعوب المنطقة: وسكان هذه البلاد هم ثلاث فئات:**

**الفئة الأولى:** هم البدو وأهل الصحراء الذين يعود وجودهم في هذه البلاد إلى مئات السنين.

**الفئة الثانية:** «هم الذين هاجروا من الجزر والموانئ التي تعتبر من أرضنا اليوم، وبدأت هجرتهم منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي، واستمرت في عهد نادرشاه افشار وكريم خان زند، وملوك لبقلجار، وأسرة البهلوي، وحدثت هجرات متفرقة منذ بداية الثورة الإسلامية».

**والفئة الثالثة:** هم من الدول العربية الأخرى ومن مدن إيران الداخلية.

أما التجارة وشركات الاستيراد والتصدير والبناء فيسيطر عليها في الغالب غير المواطنين الأصليين، ويعيش السكان الداخليون من هذه البلاد على إيجار البنايات وبيع الأراضي وشرائها، وأما أقرباء ذوي النفوذ فهم يعيشون على الرواتب العائدة من بيع النفط.

أما الفساد الاجتماعي والثقافي والأعمال المخالفة للإسلام فهي واضحة للعيان. ومعظم المواطنين في هذه البلاد يقضون حياتهم في الانغماس في الملذات الدنيوية، والفسق والفجور!

وقد قام كثير منهم بشراء الشقق وأسهم المصانع، وإيداع رؤوس الأموال في أوروبا وأمريكا، وخاصة في اليابان وإنجلترا والسويد وسويسرا خوفًا من الخراب المستقبلي لبلادهم.

إنَّ سيطرتنا على هذه الدول تُعني السيطرة على نصف العالم.

**أسلوب تنفيذ الخطة المعدة:** ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نُحسن علاقاتنا مع دول الجوار، ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة

وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نحسن علاقاتنا مع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين؛ ذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد.

وفي حال علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بيننا وبينهم فسوف يُهاجر بلا ريب عدد من الإيرانيين إلى هذه الدول؛ ويُمكننا من خلالها إرسال عدد من العلماء كمهاجرين ظاهرًا ويكونون في الحقيقة من العاملين في النظام، وسوف تحدد وظائفهم حين الخدمة والإرسال.

لا تفكروا أنَّ خمسين سنة تعد عمرًا طويلًا؛ فقد احتاج نجاح ثورتنا خطة دامتْ عشرين سنة، وإنَّ نفوذ مذهبنا الذي يتمتع به إلى حد ما في الكثير من تلك الدول ودوائرها لم يكن وليد خطة يوم واحد أو يومين، بل لم يكن لنا في أي دولة موظفون فضلًا عن وزير أو وكيل أو حاكم، حتى إن الفرق الوهابية والشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية كانت تعتبرنا من المرتدين، وقد قام أتباع هذه المذاهب بالقتل العام للشيعة مرارًا وتكرارًا، صحيح أننا لم نكن في تلك الأيام، لكن أجدادنا قد كانوا، وحياتنا اليوم ثمرة لأفكارهم وآرائهم ومساعيهم، وربما لن نكون نحن أنفسنا في المستقبل لكن ثورتنا ومذهبنا باقيان. ولا يكفي لأداء هذا الواجب المذهبي التضحية بالحياة والخبز والغالي والنفيس، بل يتوجب أن يكون هناك برنامج مدروس، ويجب إيجاد مخططات ولو كانت لخمسمئة عام مقبل فضلًا عن خمسين سنة؛ فنحن ورثة ملايين الشهداء الذين قُتِلوا بيد الشياطين المتأسلمين «السنة»، وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلمًا بـ«عليّ وأهل بيت رسول الله» ويعترف بأخطاء أجداده، ويعترف بالتشيّع كوارثٍ أصيل للإسلام.

**مراحل مهمة في طريقنا:**

**أولًا:** ليس لدينا مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة العشرية الثانية هي الأولى في هذه الدول الخمس، وعلى ذلك فمن واجب مهاجرينا العملاء المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:

١-شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت، ويزيدوا عدد السكان.

٢-العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

٣-هناك في بعض هذه الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمدن الصغيرة الأخرى، فيجب أن يشتري هؤلاء المهاجرين العملاء الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القرى ويبيعوا ذلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أُخرجت من أيديهم.

**ثانيًا:** يجب حث الناس «الشيعة» على احترام القانون وطاعة منفذي القانون وموظفي الدولة، والحصول على تراخيص رسمية للاحتفالات المذهبية وبكل تواضع وبناء المساجد والحسينيات؛ لأنَّ هذه التراخيص الرسمية سوف تطرح مستقبلًا على اعتبار أنها وثائق رسمية. ولإيجاد الأعمال الحرة يجب أن نُفكر في الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية لنجعلها موضع المناقشة في المواقع الحساسة، ويجب على الأفراد في هاتين المرحلتين أن يسعوا للحصول على جنسية البلاد التي يقيمون فيها باستغلال الأصدقاء، وتقديم الهدايا الثمينة، وعليهم أن يرغبوا الشباب بالعمل في الوظائف الحكومية والانخراط

خاصة في سلك الجندية. وفي النصف الثاني من هذه الخطة العشرين يجب بطريقة سرية وغير مباشرة استثارة علماء السنة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك عبر توزيع منشورات انتقادات باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبية من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا سيكون سببًا في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إما أن يلقوا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية، أو أنهم سيكذبون كل ما نشر بأسمائهم) وسوف يدافع المتدينون عن تلك المنشورات بشدة بالغة وستقع أعمال مريبة) وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سببًا في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم؛ وهم بذلك سوف لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبرون كل الخطابات الدينية والاحتفالات المذهبية أعمالًا مناهضة لنظامهم، وفضلًا عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلماء والحكام في تلك البلاد؛ وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية، ولن تكون لهم حماية خارجية إطلاقًا.

**ثالثًا:** وفي هذه المرحلة حيث تكون ترسّخت صداقة عملائنا لأصحاب رؤوس الأموال والموظفين الكبار، ومنهم عدد كبير في السلك العسكري والقوى التنفيذية وهم يعملون بكل هدوء ودأب، ولا يتدخلون في الأنشطة الدينية، فسوف يطمئن لهم الحكام أكثر من ذي قبل، وفي هذه المرحلة حيث تنشأ خلافات وفرقة، وكدر بين أهل الدين والحكام فإنه يتوجب على بعض مشايخنا المشهورين من أهلك تلك البلاد أن يعلنوا ولاءهم ودفاعهم عن حكام هذه البلاد وخاصة في المواسم المذهبية، ويبرزوا التشيع كمذهب لا خطر منه عليهم، وإذا أمكنهم أن يعلنوا ذلك للناس عبر وسائل الإعلام فعليهم ألاّ يترددوا ليلفتوا نظر، الحكام ويحوزوا على رضاهم فيقلدوهم الوظائف الحكومية دون خوف منهم أو وجل. وفي هذه المرحلة ومع حدوث تحولات في الموانئ

والجزر والمدن الأخرى في بلادنا، إضافة إلى الأرصدة البنكية التي سوف نستحدثها سيكون هناك مخططات لضرب الاقتصاد في دول الجوار. ولا شك في أنَّ أصحاب رؤوس الأموال، وفي سبيل الربح والأمن والثبات الاقتصادي سوف يرسلون جميع أرصدتهم إلى بلدنا؛ وعندما نجعل الآخرين أحرارًا في جميع الأعمال التجارية والأرصدة البنكية في بلادنا فإن بلادهم سوف تُرحب بمواطنينا وتمنحهم التسهيلات الاقتصادية للاستثمار.

**رابعًا**: وفي المرحلة الرابعة سيكون قد تهيأ أمامنا دول بين علمائها وحكامها مشاحنات، والتجار فيها على وشك الإفلاس والفرار، والناس مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة؛ وفي وسط هذه المعمة فإن عملاءنا ومهاجرينا سيعتبرون وحدها حماة السلطة والحكم، وإذا عمل هؤلاء العملاء بيقظةٍ فسيمكنهم أن يتبوؤوا كبرى الوظائف المدنية والعسكرية ويضيّقوا المسافة بينهم وبين المؤسسات الحاكمة والحكام، ومن مواقع كهذه يُمكننا بسهولة بالغة أن نشي بالمخلصين لدى الحكام على أنهم خونة؛ وهذا سيؤدي إلى توقيفهم أو طردهم واستبدالهم بعناصرنا. ولهذا العمل ذاته ثمرتان إيجابيتان:

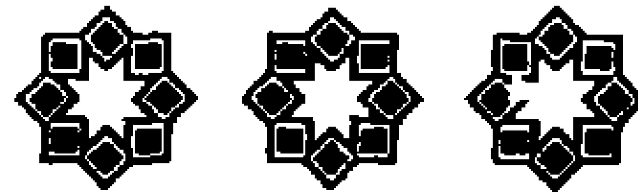
**أولًا**: إن عناصرنا سيكسبون ثقة الحكام أكثر من ذي قبل.

**ثانيًا**: إن سخط أهل السنة على الحكم سيزداد بسبب ازدياد قدرة الشيعة في الدوائر الحكومية، وسيقوم أهل السنة من جراء هذا بأعمال مناوئة أكثر ضد الحكم، وفي هذه الفترة يتوجب على أفرادنا أن يقفوا إلى جانب الحكام، ويدعوا الناس إلى الصلح والهدوء، ويشتروا في الوقت نفسه بيوت الذين هم على وشك الفرار وأملاكهم.

**خامسًا**: وفي العشرية الخامسة فإن الجو سيكون قد أصبح مهيأ للثورة؛ لأننا أخذنا منهم العناصر الثلاثة التي اشتملت على: الأمن، والهدوء، والراحة؛ والهيئة الحاكمة ستبدو كسفينة وسط الطوفان مشرفة على الغرق تقبل كل اقتراحات للنجاة بأرواحها.

وفي هذه الفترة سنقترح عبر شخصيات معتمدة ومشهورة تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع، وسنساعد الحكام في المراقبة على الدوائر وضبط البلد؛ ولا ريب أنهم سيقبلون ذلك، وسيحوز مرشحونا وبأكثرية مطلقة على معظم كراسي المجلس؛ وهذا الأمر سوف يُسبب فرار التجار والعلماء حتى الخَدَمة المخلصين، وبذلك سوف نستطيع تصدير ثورتنا الإسلامية إلى بلاد كثيرة دون حرب أو إراقة للدماء.

«وعلى فرض أنَّ هذه الخطة لم تُثمر في المرحلة العشرية الأخيرة فإنه يُمكننا أن نُقيم ثورة شعبية ونسلب السلطة من الحكام، وإذا كان في الظاهر أن عناصرنا الشيعية هم أهل تلك البلاد ومواطنوها وساكنوها، لكننا نكون قد قمنا بأداء الواجب أمام الله والدين وأمام مذهبنا، وليس من أهدافنا إيصال شخص معين إلى سدة الحكم فإنَّ الهدف هو فقط تصدير الثورة؛ وعندئذ نستطيع رفع لواء هذا الدين الإلهي، وأن نُظهر قيامنا في جميع الدول، وسنتقدم إلى عالم الكفر بقوة أكبر، ونُزين العالم بنور الإسلام والتشيع حتى ظهور المهدي الموعود». ا.هـ. هذه رسالة سرية واحدة وفقنا الله تعالى لنشرها؛ وهناك كتب ورسائل وبحوث مهمة جدًا ألفها كبار.



# بروتوكولات آيات قـم حول الحرمين المقدسين

## أولًا- بروتوكولات القتل والتخريب والسرق والاغتيالات:

النص «كأني بحمران بين أعين وميسر بن عبد العزيز يخطبان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»(١)

البروتوكول الذي بين يدي القارئ من نصوصهم السرية المقدسة، ولم يظهر إلا في الأزمان المتأخرة (٢) بعد أن صارت لهم قوة وشوكة.

وهو نص خطير، وحلم رافضي قديم، كان الآيات يمنون أتباعهم بحصوله، فكان الروافض يترقبون وقوعه بين حين وآخر، ولا شك بأن هذا النصب وأمثاله يعبر عن تطلعاتهم، ويوصر أحلامهم وأهدافهم في القيام بمجازر دموية في الأمة الإسلامية، وتختار هذه الفئة الحاقدة لذلك أشرف موقع وهو بيت الله الحرام كما ترى فهي تعد الأتباع بحدوث هذه الملحمة في المستقبل حتى تسمى بعض أعيانهم الذين يقومون بالقتل لكنها توقف العمل بهذا البروتوكول السري، ريثما تقوم لهم دولة وكانوا يقولون لأتباعهم بأنه سيكون لهم دولة في آخر الزمان يحققون بواسطتها هذه الأعمال، والخطط، فهم يقولون: «إن دولتنا آخر الدول...»(٣). والخطورة الكبرى التي ينبغي أن يعرفها المسلمون جميعًا أن هذا سيجري اليوم تطبيقه بموجب المذهب الجديد لدولة الآيات. فهذا البروتوكول سينفذ بحكم مبدأ عموم ولاية الفقيه، المتضمن نقل أعمال مهديهم إلى الفقيه الشيعي.

---

(١) «بحار الأنوار» للمجلسي (ج ٥٣)، (ص ٤٠) وعزاه إلى الاختصاص للمفيد.

(٢) وقد كان شيوخهم قديمًا إذا كتبوا في الغيبة صدروا كتبهم بنصوصهم التي تأمر بكتمان أسرارهم عمن ليس من أهلها، انظر: مثلًا كتاب الغيبة للنعمانى من شيوخهم في القرن الثالث، والذي قال في مقدمته «وجعلته أبوابًا صدرتها بذكر ما روى في صوت سر آل محمد عمن ليس من أهله» الغيبة ( ص ١٧).

(٣) «الإرشاد المفيد» (ص ٣٤٤)، «أعلام الورى» للطبرسي (ص ٤٣٢).

ولا شك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة يدل دلالة أكيدة أنَّ المقصود بالقتل هم المسلمون؛ بل حجاج بيت الله الحرام، وأن هذا ما يحلمون به ويخططون له.

وما جرى على أرض البلد الطاهر في العام المنصرم«عام ١٤٠٧هـ» هو فيما يبدو تمهيد لهذه الخطورة، وتخطيط لهذا العمل، ولكن خيب الله سبحانه آمالهم(١).

١- قطع أيدي وأرجل المشرفين على الحرم: «يقول النص: «كيف بكم» يعني الحجبة على الكعبة كما يعني النص «لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة؛ ثم يُقَال لكم: نادوا نحن سراق الكعبة»(٢).

**ونص ثان يقول:** «إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام... وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سرقة الكعبة»(٣).

**ونص ثالث يقول:** «يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجًا، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم، ويعلقها في الكعبة، وينادى مناديه هؤلاء سراق الله؛ ثم يتناول قريشًا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف»(٤).

هذه النصوص في الغالب في القرن الثاني تقريبًا إسنادها إلى جعفر المتوفى في سنة«١٤٨هـ» ويحتمل أنها موضوعة بعده. وعلى أية حال فهي تُصور الرغبة الكامنة في

---

(١) هذا ما كان عند الطبعة الأولى للكتاب؛ ثم وقع بعد ذلك في عام ١٤٠٩هـ حوادث التفجيرات التي ذهبت بعد الحجاج الآمنين، وكشف الله سبحانه الجناة، وتبين أن جميعهم من الرافضة تصديقًا لما قلناه عنهم، والله المستعان في الدفاع عن بيته المطهر، وعليه التكلان في كشف شر هؤلاء الزنادقة.

(٢) «الغيبة» للنعماني (ص ١٥٦).

(٣) «الإرشاد المفيد» (ص ٤١١)، وانظر: «الغيبة» للطوسي (ص ٢٨٢).

(٤) «االغيبة» (ص ٢٠٩).

نفوس هذه الفئة بالانتقام من صلاح المسلمين، وجيل التابعين الذين يجاورون في الحرم، وتخض منهم مَنْ يتولى الإشراف على شؤون الحرمين

٢-سرقة أموال الحجاج واغتصابها كلما حانت الفرصة.

يقول النص «خذ مال الناصب حيثما وجدته، وادفع إلينا الخمس».

**ونص ثانٍ** قالوا فيه «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[1] لأنهم في منزلة الكفار عندهم.

***خطط العدوان على بيت الله الحرام:***

**١-نزع الحجر الأسود من الكعبة:**

يقول النص: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يحب أحد من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم... ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه»[2]

**٢- هدم الحجرة النبوية**، وإخراج الجسدين الطاهرين للخليفتين الراشدين، وكسر المسجد النبوي «حسب تعبيرهم».

**٣- يقول النص:** «وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأخرج مَنْ بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما، فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشدّ من الأولى»[3].

**٤-نص آخر يقول:** «هل تدري أول ما يبدأ به القائم، يعني: قائمهم الذي سيتولى خميني القيام بكافة أعماله بحكم مذهبه في رواية الفقيه، ومنها هذا العمل، وغيره من

(١) «تهذيب الأحكام» للطوسي (٢/ ٤٨)، «وسائل الشيعة» للعاملي (١١/ ٦٠).

(٢) «الوافي» للفيض الكاشاني، باب فضل الكوفة ومساجدها، المجلد الثاني» (ج ١) (ص ٢١٥).

(٣) «بحار الأنوار» (ج ٥٣) (ص ١٠٤-١٠٥).

الأعمال التي ذكرنا نصوصها» «أول ما يُبدأ به يخرج هذين، يعني: خليفتي رسول الله ﷺ، رطبين غضين فيحرقهما، ويذريهما في الريح ويكسر المسجد»(١).

٥- **ونص ثالث يقول:** «وهذا القائم... هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين فيخرج اللات والعزى «يعنون خليفتي رسول الله أبا بكر وعمر رضي الله عنهما» طريين فيحرقهما»(٢).

### ٣- هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي:

يُقرر القوم عبر بروتوكولاتهم بأن منتظرهم سيقوم بهدم المسجدين الشريفين، ويتستر بدعوى أنه سيردهما على أساسهما.

**يقول نصهم:** «إنَّ القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ وآله إلى أساسه»(٣).

### بروتوكولات للتغيير الفكري:

١- **محاولة تغيير القرآن الكريم: يقول النص:** «كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل، قلت «الراوي»: أو ليس كما أنزل فقال: «لا، محي منه سبعون من قريش بأسمائهم، وأسماء آباء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلا إزراء على رسول الله ﷺ وآله لأنه عمه»(٤).

٢- **الشريعة الجديدة المنتظرة: تقول بروتوكولاتهم:** «إذا قام القائم... استخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى مَنْ غاب بأنطاكية حتى يحكم بين أهل بين أهل التوراة

---

(١) «بحار الأنوار» (ج ٥٢) (ص ٣٨٦).

(٢) «عيون أخبار الرضا» (١/ ٥٨)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٤٢).

(٣) «الغيبة» للطوسي (ص ٢٨٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

(٤) النعماني «الغيبة» (ص ١٧١-١٧٢)، «فصل الخطاب» (ص ٧).

بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن». فهذا القانون «بغض النظر عن الجانب الخرافي في الرواية» يصور ما يطمح إليه شيوخ الروافض مما يشبه إلى حد كبير فكرة الديانة العالمية التي ترفع شعار الماسونية. وهي فكرة إلحادية تقوم أساسًا على إنكار الديانات السماوية تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة.

**كتب جديدة وقضاء جديد يفرضان على الناس بعد الاستيلاء على مكة:**

في حومة هذه البروتوكولات التي تسعى لتغيير كتاب الله سبحانه، وابتداع شريعة جديدة لم يأذن بها الله، والرجوع إلى حكم داود لا شريعة محمد ﷺ وتطبيق شرائع الأديان لا حكم القرآن. نلتقي بعد ذلك ببروتوكول آخر يعد نتيجة لهذه المقدمات والتغيرات ويتم إعلانه بعد الاستيلاء على مكة المكرمة وهو إلغاء مهديهم «أو نائبه وفق الاتجاه لعموم ولاية الفقيه» لحكم القرآن، وإحلال كتاب آخر محله.

**يقول النص:** «يقوم القائم بأمر جديد، وقضاء جديد، لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يُبايع الناس على كتاب جديد».

**تغيير أصل الدين «وهو التوحيد»:**

**١- ومن شعاراتهم في ذلك: إعلان البراءة من المشركين:**

إليك هذه النصوص من كتبهم: ١- عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراء من عدونا وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

٢- وعن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]. يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما إمام واحد.

٣- وعن الباقر في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]. قال: لئن بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين.

٤- وعن عبد الله، قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠].

قال: العمل الصالح: المعرفة بالأئمة، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا: التسليم لعلي لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له، ولا هو من أهله. وفي رواية أخرى: لهم عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: قال: لا يتخذ مع ولاية آل محمد صلوات الله عليهم غيرهم.

٥- عن جابر الجعفى عن أبي جعفر في قوله سبحانه: ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾(١) [البقرة:٤١].

قال: يعني عليًا.

٦- وعن جابر الجعفي قال: سألتُ أبا عبد الله رضي الله عنه عن قوله الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

قال: هم أولياء فلان، وفلان، وفلان «يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه» اتخدوهم أئمة من دون إمام.

٧- وعن أبي عبد الله في قوله سبحانه: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠].

قال: يعني أئمة دون أئمة الحق.

---

(١) فالضمير يعود كما هو واضح من السياق إلى القرآن الكريم، وهم أرجعوه إلى «علي رضي الله عنه» وهو غير مذكور أصلًا، والخطاب في الآية لبني إسرائيل.

٨- وعن جابر الجعفى قال: أما قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].يعني: لمن والى عليًا .

والروايات في هذا الباب كثيرة، وهي محاولة لهدم الأصل الأول في الإسلام، وهو التوحيد، وإعطاء الشرك صفة الشرعية، وهي كذلك محاولة خطيرة بتفسير التوحيد والشرك والكفر بغير معانيها الحقيقية

***تحويل المسلمين إلى كربلاء:***

تتحدث نصوصهم مثلًا عن محاورة جرت بين كربلاء والكعبة فيقول جعفرهم: «إنَّ أرض الكعبة قالت مَنْ مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

فأوحى الله إليها كما يفترون أنَّ كفي وقري ما فَضْلُ ما فضلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربية كربلاء ما فضتلك ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف، ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم[(١)].

ولكن الكعبة لم تقبل الأمر الإلهي، وتلتزم بالتواضع، وتصبح كالذنب الذليل المهين لأرض كربلاء كما تقول نصوصهم فحلت بها العقوبة من الله؛ بل إن العقوبة حلت بكل أرض وماء لإعراضها عن التواضع لكربلاء، يقول النص عندهم: «فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحًا حتى أفسد طعمه...»[(٢)].

---

(١) «كامل الزيارات» (ص ٢٧٠)، «بحار الأنوار» (ج١٠١) (ص ١٠٩). الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(١) «بروتوكولات آيات قُم حول الحرمين المقدسين» تأليف الدكتور عبد الله الغفاري فقد أجاد في شرحها وأفاد فجزاه الله خيرًا.

فالكعبة في نظرهم تستحق السحق من جيش أبرهة، وزمزم في ذوق هؤلاء الزنادقة فاسد الطعم.

***المخطط سري لـ « المجلس الأعلى للثورة الإسلامية» في العراق***

**الشيعة يُخططون لنقل تجربتهم في العراق للدول الإسلامية عمان وفيما يلي نص الوثيقة:**

- المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الرئاسة إلى قيادات المكاتب والفروع من بيان سري وعاجل.

بتوجيه ورعاية سماحة آية الله العظمى السيد «علي خامنئي»، المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران دام ظله «وتحت شعارات شيعة علي هم الغالبون» تم عقد المؤتمر التأسيسي الموسّع لشيعة العالم في مدينة «قم» المقدسة، حضره كافية قيادات الأحزاب الشيعية والمراجع ورؤساء الحوزات الدينية والأساتذة والمفكرين والباحثين، وتم مناقشة عدة جوانب مهمة، وخرج بالتوصيات التالية:

ضرورة تأسيس منظمة عالمية تُسمى «منظمة المؤتمر الشيعي العالمي»، ويكون مقرها في إيران وفروعها في كافة انحاء العالم، ويتم تحديد هيئات المنظمة وواجباتها، ويتم عقد مؤتمر خاص خلال كل شهر.

دراسة وتحليل الوضع الراهن على الساحة الإقليمية، والاستفادة من تجربتنا الناحجة في العراق، وتعميمها على بقية الدول وأهمها السعودية والأردن واليمن ومصر والكويت والإمارات والبحرين والهند وباكستان وأفغانستان، والتأكد على الخطة الخمسينية والعشرينية، والبدء بتطبيقها فورًا بناء قوات عسكرية غير نظامية لكافة الأحزاب والمنظمات الشيعية بالعالم عن طريق زجّ أفرادها في المؤسسات العسكرية

والأجهزة الأمنية، والوظائف الحساسة، وتخصيص ميزانية خاصة لتجهيزها وتسليحها وتهيئتها: لدعم وإسناد إخواننا في السعودية واليمن والأردن.

استثمار كافة الإمكانيات والطاقات في كافة الجوانب وتوجيهها لخدمة الأهداف الإستراتيجية للمنطقة، والتأكد على احتلال الوظائف التربوية والتعليمية.

التنسيق الجدي والعملي مع كافة القوميات والأديان الأخرى، واستغلالها بشكل تام: لدعم المواقف والقضايا المصيرية لأبناء الشيعة بالعالم، والابتعاد عن التعصّب الذي يصب لمصلحة أبناء العامة.

تصفية الرموز والشخصيات الدينية البارزة لأبناء العامة، ودس العناصر الأمنية في صفوفهم للإطلاع على خططهم ونواياهم.

على كافة المرجعيات والحوزات الدينية في العالم تقدير تقارير شهرية، وخطة عمل سنوية لرئاسة المؤتمر، تتضمن كافة المعوقات والإنجازات في بلدانهم، والمقترحات اللازمة لتحسين وتطوير أدائها.

إنشاء صندوق مالي عالمي مرتبط برئاسة المؤتمر، وتُفتح له فروع في كافة أنحاء العالم، وتكون الموارد أحيانًا جمع الأموال من الحكومات العرفية، وخاصة العراق، وتبرعات التجار الأثرياء،وزكاة الخمس، وكذلك التنسيق مع الجمعيات والمنظمات الخيرية والإنسانية: لاستلام المساعدات، والمعونات المادية لدعم متطلبات المؤتمر الإدارية والإعلامية والعسكرية.

تشكيل لجنة متابعة مركزية لتنسيق الجهود في كافة الدول، وتقويم أعمالها.

متابعة الدول والسلطات والأحزاب، وشنّ حرب شاملة ضدها في كافة المجالات، وأهمها المجال الاقتصادي من خلال تشجيع الصادرات الإيرانية، ومقاطعة البضائع السعودية والأردنية والسورية والصينية.

المكتب السياسي للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بغداد[١].

**الوثائق الرافضية بعد سقوط العراق: الوثيقة الأولى:**

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله المعصومين، يا شيعة علي عليه السلام: وبعد سقوط النظام الصدّامي السني الكافر، وإرجاع الحق لنا وما يمتلكه العراقيون من ثروات نفطية ومعدنية وزراعية ومائية فإنه عاد لنا الخمس واستلامه من قبل شيعة علي عليه السلام ومن قبل الحوزة العلمية، وكما وعدتنا أمريكا وبريطانيا لاستلام الحكم بعد مرور سنة، واستلامنا زمام الأمور في السنة المقبلة للأسف ظهر بعض الشيعة يتعاونون مع أبناء العامة «السنّة» على عدم السلب والنهب والحرق، وعمل الفوضى وخصوصًا في بغداد من أجل استلامنا السلطة ومن قبل الحوزة. إنَّ أهم عمل تقومون به حرق المكاتب العلمية وخصوصًا منها الدينية لأبناء العامة وأهم شيء حرق المطابع التي تطبع كتبهم لتعليم ما يُسمى بتفسير القرآن والسنة والحديث الشريف والتاريخ الإسلامي حتى يتسنى لنا وضع كتب جديدة ودراسات جديدة لمعالم القرآن والسنة والحديث الشريف، والتاريخ الإسلامي الشيعي وسنة أهل البيت المعصومين ومن خلالها تعليمهم رسالة الخميني -قدس الله سره- وترك ما جاء به أهل العامة، والله يعصمنا منهم.

**قيادة قوات بدر**

**الوثيقة الثانية:**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله المعصومين.

يا شيعة أبا الحسنين علي سلام الله عليه وعلى آل بيته:

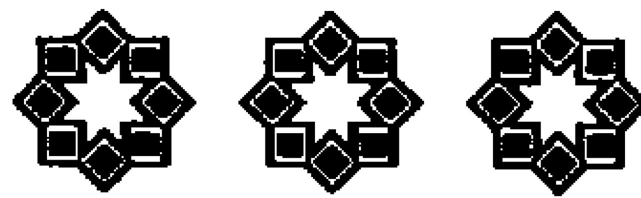
بارك الله بكم وبما عملتوه من حرق وسلب وتهديم دور الكفرة يا أمة علي إن ورائكم قوة ضاربة. لا تخشوا أحد من أهل السنة ففيلق بدر بالإنذار ينتظرون الأمر بعد

---

(١) موقع شبكة الشفا الإسلامية على الإنترنت.

خروج دول التحالف واستلامنا السلطة فإن أهل الأنبار وتكريت والموصل قلة ونحن الأقوى وناصرنا علي فهو أمام أهل الأرض والسماء، ولا تبدو العداوة لهم هذه الأيام، لا نُريد منكم سوى احتلال بغداد من قبل أهل العمارة خصوصًا والجنوب عامة وطبع الصور لسادتنا ونشر الكاسيت وأقراص الفيديو في أي مكان والشوارع والسيارات والمجلات وخصوصًا وقت رفع أذانهم أو خطبهم وقرب جوامعهم. إن كهرباء الجنوب لأهل الجنوب وليست لهم لا تجعلوها تصل إليهم. اشتروا كتبهم وأحرقوها خصوصًا ما يسمونه بالصحاح، واندسوا في جوامعهم والتشويش على صلاتهم فلا صلاة لهم في ديارنا حتى ينصرنا الله عليهم وهذه الرسالة وصلتكم وهي وصية الإمام الحجة «عج».

قيادة قوات فيلق بدر.



الفصل العاشر

# وسائل النجاء من مؤامرات الأشقياء

أخي المسلم... أختي المسلمة بعد هذه الرحلة الطويلة التي قضيناها مع المؤامرة والمتآمرين قد تقول: ما النجاة من كيد هؤلاء الأشقياء؟ وكيف نُواجه الأمة تلك المؤامرات؟

**اعلم علمني الله وإياك:** أنه لا مخرج من تلك الفتن، ومن تلك المؤامرات إلا بالرجوع إلى كتاب رب الأرض والسماوات وهدى سيد الكائنات ﷺ فقد جاء في الحديث الصحيح: أن الرسول ﷺ وعظ الصحابة موعظة وجلتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون، فقيل: يارسول الله! وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد. فقال: «**عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًا، وسترون بعدي اختلافًا شديدًا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كلَّ بدعة ضلالة**».[(١)]

وفي حديث آخر أنه ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**».[(٢)] وفي الحديث الآخر: «**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويُمسى كافرًا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذٍ بدينه كالقابض على الجمر**»، أو قال: «**على الشوك**». ومعنى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب «السنة»، باب في لزوم السنة «٤/ ٢٠١» برقم [٤٦٠٧]. والترمذي في كتاب «العلم»، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/ ٤٤) برقم [٢٦٧٦]. وابن ماجه في «المقدمة»، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٥) برقم [٤٢]. وأحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦). والحاكم (١/ ٩٥). كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وإسناد الحديث صحيح، انظر «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» للألباني (٨/ ١٠٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، لكنه أعنى الحديث يصلح أن يكون شاهدًا للحديث الذي قبله.

الحديث: «كما أنه لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد، وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان لا يُتصور حفظ دينه، ونور إيمانه إلا بصبر شديد عظيم، وتعب جسيم».

وها هي معالم النجاة التي من خلالها ينجو العبد، وتنجو الأمة من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

## التمسك بالقرآن والسنة

ومن الواجب على الأمة في هذه المرحلة الشديدة الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلن تستطيع الأمة مواجهة تلك المؤامرات إلا بالتمسك بما فيه صلاحها في الدنيا والآخرة، وتأمل أخي إلى تلك القصة التي تحمل بين طياتها العبر والعظات والتي تُبين لنا أنه لا عز للأمة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، إنها قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ذهب لفتح بيت المقدس وهاك أحداثها:

«قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفًا هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذ نزل وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه فقال: ادعوا لي رأس القوم فدعوا له الجلومس فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوبًا أو قميصًا فأتى بقميص كتان فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان قال: وما الكتان؟ فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه البلاد لا تُصلح بها الإبل فلو لبست شيئًا غير هذا وركبت برذونًا لكان ذلك أعظم في أعين الروم فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله

بديلًا فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال: احسبوا ما كنتُ أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجمله فركبه(١)

ولقد أمرنا الله سبحانه بالتمسك بكتابه، وأخبرنا أنه مصدر عزنا وشرفنا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤].

وهو المخرج من الفتن ووعظنا ﷺ موعظة: عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وجلتْ منها القلوب وذرفتْ منها العيون فقلنا: يارسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد وإنه مَنْ يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**».

وهيا أيها الأحباب لنرى أثر القرآن في إسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور:

**أولًا: الهداية إلى الصراط المستقيم:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، اللهم اهدنا به ﷺ.

مَنْ تمسك بالقرآن الكريم في جميع شؤونه، فقد اهتدى كل الهدى، ومن اهتدى بهدى الله فقد فاز في دنياه وأخراه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) «البداية والنهاية» (جزء ٧- صفحة ٥٩).

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البَقَرَة:١-٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: عن المتمسك بهداه، ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البَقَرَة:٣٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣].

فقد تكفل الله تعالى لمن تمسك بالقرآن الكريم بألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة(١).

«فالقرآن كتاب هداية إلى خيري الدنيا والآخرة، والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإصال إلى البغية وهذا هو الظاهر في معناه، لأنَّ الأصل عدم الترادف فلا يكون هُدى مرادفًا لدل، ولأنَّ المفهوم من الُهدى الدلالة الكاملة وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي. وهو أسعد بقواعد الأشعري لأنَّ التوفيق الذي هو الإيصال عند الأشعري مِنْ خلق الله تعالى في قلب الموفَّق فيُناسب تفسير الهداية بما يُصلح له ليكون الذي يهدى يوصل إلى الهداية الشرعية. فالقرآن هدى ووصفه بالمصدر للمبالغة أي هو هاد».

والهدى الشرعي هو الإرشاد إلى ما فيه صلاح العاجل الذي لا ينقض صلاح الآجل. وأثر هذا الهدى هو الاهتداء فالمتقون يهتدون بهديه، والمعاندون لا يهتدون لأنهم لا يتدبرون، وهذا معنى لا يختلف فيه وإنما اختلف المتكلمون في منشأ حصول الاهتداء وهي مسألة لا حاجة إليها في فهم الآية. وتفصيل أنواع الهداية تقدم عنه قوله تعالى:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾. ومحل «هدى» إن كان هو مصدر صدر جملة أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف هو ضمير «الكتاب» فيكون المعنى الإخبار عن الكتاب بأنه الهدى وفيه من

---

(١) انظر: «التفسير الميسر» لنخبة من العلماء [٣٢٠].

المبالغة في حصول الهداية به ما يقتضيه الإخبار بالمصدر للإشارة إلى بلوغه الغاية في إرشاد الناس حتى كانَ هو عين الهُدى تنبيهًا على رجحان هُداه على هدى ما قبله من الكتب.

**ثانيًا:** القرآن دستور سعادة في الدنيا والآخرة ففيه حل لجميع المشاكل التي تعتري الأمة سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال رب العالمين: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

أي: ومَنْ يتقِ الله فيما أمره به، وتَرَكَ ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله.

قال الإمام أحمد: عن أبي ذر قال: جعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتلو عَلَيَّ هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

حتى فرغ من الآية، ثم قال: «**يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم**». وقال: فجعل يتلوها ويُرددها عليَّ حتى نَعَستُ، ثم قال: « **يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟**» قلت: إلى السعة والدّعة أنطلق، فأكون حمامة من حمام مكة، قال: «**كيف تصنع إن أخرجت من مكة؟**». قال: قلت: إلى السعة والدّعة، وإلى الشام والأرض المقدسة. قال: «**وكيف تصنع إن أخرجتَ من الشام؟**». قلت: إذًا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: «**أو خير من ذلك؟**». قلت: أو خير من ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع، وإن كان عبدًا حبشيًا**»[1]

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (ح ٢١٥٩١) والطبراني في «المعجم الوسيط» [٢٤٧٤] وإسناده ضعيف لانقطاعه.

وقال ابن أبي حاتم: عن عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وإن أكثر آية في القرآن فرجًا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ وفي المسند: عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**».

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾.

يقول: يُنجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

وقال الربيع بن خثيم: ﴿ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ أي: من كل شيء ضاق على الناس(١).

فماذا بقي من خيري الدنيا والآخرة يريده التقي بعد هذه الوعود من رب العالمين الذي لا يُخلف الميعاد.

**وَلستُ أَرى السَّعادةَ جمعَ مالٍ وَلكنَّ التَّقِيَ هُوَ السَّعيدُ**

**ثالثًا**: أنَّ التمسك بالقرآن والسنة سبب من أسباب التمكين في الأرض فقد وعد الله مَنْ تمسك بالقرآن الكريم أن يمكن له الله تعالى في الأرض، ويسر له أسباب الاستقرار وعدم الاضطراب. قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]. فعلّق الوعد بالتمكين هنا بأربعة أمور:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (ج ٨/ ص ١٤٦).

(أ) وجود الجماعة المؤمنة، وتحقق الإيمان فيها.

(ب) عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وتنفيذ أوامر الله عملًا وليس ادعاءً فقط.

(جـ) التزام نهج الصحابة، لقوله: «منكم» فالخطاب لهم، وينسحب على مَنْ نهج نهجهم.

(د) انتفاء الشرك في العبادة: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور:٥٥].

١- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]. وهنا علَّق الله سبحانه وتعالى نصره للمؤمنين بقيامهم بنصرة دينه سبحانه.

٢- و قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٠-١٣].

فرتب النصر والفتح هنا على الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس.

وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وصدق رسول الله الذي يقول ولا يقول إلا حقًا: «**إن الله تعالى ليرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين**»[(١)].

---

(١) الحديث، أخرجه مسلم (٢/ ٥٠٢).

التمسك بالقرآن والسنة سبب من أسباب الأمن والاستقرار مَنْ تمسك بالقرآن الكريم أمنه الله تعالى من الخوف في نفسه وأهله، وفي عاجله وآجله.

قال تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨]. والخوف هنا نكرة في سياق النفي تعمّ[1].

و قال تعالى عمن استقام على القرآن الكريم متمسكًا به أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

و قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

هل أنعم الله تعالى على أمة من الأمم بعد الإيمان والتوفيق للعمل الصالح بأعظم من نعمة الأمن؟ وتيسير سبل العيش؟

لم ينعم الله تعالى على عبده المؤمن الميسر له سبل الإطعام من الجوع، بأعظم من نعمة الأمن.

فمَنْ أمِنَ، عَبَدَ الله تعالى كما أمره... ومن أمِنَ، استجمع قوى فكره وطاقات عقله، ووجهها للبناء المثمر، والعمل الهادف.

أمَّا الخائف عياذًا بالله تعالى فيطيش عقله، وينخلع لبه، ويكون كُلُّ همه أنْ يأمنَ الضرر على نفسه وأهله وماله. أما أن يهتدى مع الخوف إلى عمل يتقنه، أو بناء حضارة

---

(١) النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، وقد تكون نصًا فيه تكون ظاهرة. انظر «مذكرة الأصول» للشنقيطي (٣٦٢-٣٦٤).

ينجزه، فهيهات هيهات. فالعنصر الأصيل في عمارة الأرض بالخيرات هو الطعام والأمن، فكما لا يستغني الجسم عن الطعام، فلا تستغني النفس عن الأمن.

ولذا امتن الله تعالى على عباده بهاتين النعمتين في معرض إقامة الحجة عليهم، مع أنه ما بهم من نعمةٍ إلا وهو تعالى مسديها إليهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش:١-٤].

نعم، ما أعظمهما من نعمتين مقيمتين الحجة بأعظم برهان، على وجوب عبادة من أنعم بهما، سبحان الله تعالى ربي وبحمده.

## إحياء عقيدة الولاء والبراء في الأمة

**اعلم علمني الله وإياك:** أن الولاء والبراء قاعدة من قواعد الدين، وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما، فيجب على المرء المسلم أن يُوالي في الله ويحب في الله ويُعادي في الله، فيُوالي أولياء الله ويحبهم ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم ويبغضهم، قال ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»**.

**وإليك الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة:**

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٨-٢٩].

**يقول العلامة السعدي:**

«وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأنَّ الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله، وجهاد أعدائه، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١]. فمَنْ والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يُريدون أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أولياءه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

**وفي هذه الآية**: دليل على الابتعاد عن الكفار، وعن معاشرتهم وصداقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يُولي كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يُستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران:٢٨].

أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان، وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصي أعمالهم ويحاسبهم عليها ويُجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القبائح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصًا، ولما في السماء والأرض عمومًا، وعن كمال قدرته، **ففيه**: إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحى العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب الله، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم

ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله. «قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج»: وأما قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ قال مجاهد: لا مصانعة، والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا» الخ..(١)

ويقول القطان في «تفسيره»: «في هذه الآية تحذير كبير من اتخاذ الكافرين أولياء، فالله سبحانه وتعالى نبّهنا في الآية السابقة أن نلتجئ إليه، وأفهمنا أن كل شيء بيده، وهنا يحذّرنا من أن نتخذ الكافرين أصدقاء وناصرين: فما دام الله وحده هو مالك الملك، يعزّ ويذل، ويعطي ويمنع، فهل يجوز للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم؟ إنَّ في هذا خذلانًا للدِّين وإضعافًا للولاية الإسلامية، ومَنْ يسلك هذا المسلك فإن الله يتخلى عنه، ولا يجوز للمؤمن أن يرضى بولاية الكافرين إلا مضطرًا، فيتقي أذاهم بإظهار الولاء لهم.

وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الإسلامية، وهي ولاية الله، ولْيحذَروا أن يخرجوا منها إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه، كما هو حاصل اليوم، حيث ألقى طائفة من المسلمين بأنفسهم في أحضان أعدائهم وأعداء الله في الشرق والغرب، فأذاقهم الله الذل ونصَر عليهم اليهود. وهو سينصرهم لو رجعوا إليه، لا إلى مطامعهم، ووحدوا صفوفهم وباعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله لا في سبيل الكراسي والمناصب(٢).

ويقول الله تعالى عن أهداف أعداء الله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) «تفسير السعدي» (ج١/ ص١٢٧).

(٢) «تفسير القطان» (ج١/ ص١٨٧).

يقول الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة، أن من تولى اليهود، والنصارى، من المسلمين، فإنه يكون منهم بتوليه إياهم. وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمنًا ما تولاهم، وهو قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

ونهى في موضع آخر عن توليهم مبينًا سبب التنفير منه. وهو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وبيَّن في موضع آخر: أن محل ذلك، إذا لم تكن المولاة بسبب خوف، وتقية، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨].

**فهذه الآية الكريمة فيها:** بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا وإيضاح، لأنَّ محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك المولاة.

**ومَنْ يأتي الأمور على اضطرار فليس كمثل آتيها اختيارًا**

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدًا اختيارًا، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم(١).

ويقول العلامة الفطان «يا أيها الّذين آمنوا، لا يحلُّ لكم أن تتّخذوا اليهودَ ولا النصارى نُصراءَ لكم على أهل الإيمان بالله ورسوله، فمن اتخذَهم كذلك فهو منهم، والله ورسوله بريئان منه».

﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ إن اليهود بعضُهم أنصار بعض، والنصارى بعضهم أنصار بعض، وقد يتحالف اليهود والنصارى معًا، أما أنْ يتحالفوا أو يصدُقوا مع المسلمين فلا. وفي واقعنا الحاضر شاهد على ذلك... ولقد نقض اليهود ما عقَده الرسول الكريم معهم من العهد من غير أن يبدأهم بقتال. وكذلك فعلت أوروبا في الحرب الصليبية، وتفعل أمريكا اليوم مع كل مَنْ يطلب الحرية لشعبه، والمسلمين خاصة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. إنَّ الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم منكم بموالاة أعداء المؤمنين. فإن اليهود بتدبير من النصارى، وبقوة سلاحهم أيضًا جاؤا واغتصبوا فلسطين، وأجواء من سورية ومصر، بمعونة أمريكا وسلاحها ومالها، ولا يزالون في حماية أمريكا. وحتى أوروبا والدول الغربية جميعًا فإنهم يعطفون على اليهود أعداء العالم أجمع ونحن بحكم جهلنا، لا نزال نستنصر أمريكا وغيرها ونطلب المعونة منها، مع أننا لو اجتمعت كلمتُنا ووحّدنا صفوفنا، لما احتجنا إلى شيء من ذلك. ولكنّنا تفرّقنا، وبعدنا عن ديننا، ومزّقتنا الأهواء وحب المناصب. بذلك قوى اليهود من ضعفنا، فهم يهدّدوننا، ويهاجمون بلداننا وقرانا، ويعيثون في الأرض فسادًا. هذا وكلُّ منّا يود المحافظة على منصبه ويبيع في سبيله كل ما عداه، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن فريقًا من ضعاف الإيمان يفعل ذلك فقال: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي

---

(١) «أضواء البيان» (ج١/ ص٤٣٧).

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥٢].

هذا تصويرٌ لحال المنافقين وبعض ضعاف الإيمان في المدينة. لم يكونوا واثقين من نجاح دعوة الإسلام، فكانوا يوالون اليهود ويُسارعون إلى ذلك كلّما سنحت لهم فرصة. لذا ورد قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾ بمعنى: إننا نخاف أن نتعرض لكارثة عامة فلا يساعدوننا. عسى الله يا محمد أن يحقق النصرَ لرسوله وللمسلمين على أعدائهم، أو يُظهر نفاق أولئك المنافقين، فيصبحوا نادمين آسفين على ما كتموا في نفوسهم من كفر وشك. وقد تحقق وعد الله بالنصر للمؤمنين.

كان هذا النداء موجهًا في الأصل إلى المسلمين في المدينة المنورة، لكنه جاء في الوقت ذاته موجّها لكل المسلمين في جميع أركان الأرض، وفي كل زمان ومكان. وقد أثبت التاريخ والواقع أن عداء النصارى لهذا الدين وأهله في معظم بقاع الأرض لم يكن أقلَّ من عداء اليهود، وأكبر شاهدٍ هو ما يجري اليوم من دَعم أمريكا وأوروبا جميعها لليهود، وتثبيتهم في فلسطين بكل ما يستطيعون من قوة ومال. فالنصارى بدافعٍ من تعصبهم قد حملوا للإسلام منذ ظهرره كلَّ عداوة وضغنٍ ولا يزالون. ولا نزال نُعاني من الحروب الصليبية التي لم تنتهِ إلى الآن. ولذلك فإن قوله تعالى: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾حقيقةٌ قائمة.

أما النصارى العرب الذين يعيشون معنا، ولا يمالئون الأعداء ضدّنا فإنهم مواطنون في ديار الإسلام، لهم ما لنا وعليهم ما علينا. والمعاملة التي يلقَونها أكبر شاهد على ذلك. بل إنهم في كثير من الحالات قد أخذوا وأكثر مما لهم. وحتى اليهودُ الذين يعيشون في البلاد العربية، فإنهم معزَّزون مكرمون ما داموا يخدمون المجتمع

الذي يعيشون فيه ضمن القانون، ونحن عندما نطلق كلمة نصارى أو يهود نقصد بذلك أولئك المعتدين من الغربيين وغيرهم[(١)].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [المائدة: ٥٤].

**أما الأحاديث والآثار فكثيرة وأذكر منها:**

١- ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن «**تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر**»[(٢)].

٢- روى ابن أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»[(٣)].

٣- روى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»[(٤)].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: قوله: «**ووالى في الله**»: هذا بيان للازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب. وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطنًا وظاهرًا. وقوله: «**وعادى في**

(١) «تفسير القطان» (ج١/ ص٤٠٩).

(٢) «المسند» للإمام أحمد: (ج٤/ ٣٥٧،٣٥٨)، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ، الناشر المكتب الإسلامي وهو حديث حسن.

(٣) «الإيمان» لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، توفي سنة ٢٣٥هـ: (ص ٤٥)، تحقيق الألباني وقال: أخرجه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا وهو حسن، المطبعة العمومية بدمشق وانظر «المسند»: (٤/ ٢٨٦).

(٤) ذكره السيوطي في «الجامع الصغير»: (١/ ٦٩) وقال الألباني: حديث حسن، انظر «صحيح الجامع الصغير»: (٢/ ٣٤٣، ح ٢٥٣٦).

الله» هذا بيان للازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه. أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنًا وظاهرًا، إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومما سبق يتضح أنَّ الولاء في الله هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم.

**والبراء هو**: بغض أعداء الله ومجاهدتهم. وعلى ذلك جاءتْ تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بـ«أولياء الله»، والفريق الثاني: بـ«أولياء الشيطان» قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

[البقرة: ٢٥٧]

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

واعلم أنَّ الله سبحانه لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1] [الأنعام: ١١٢].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (ص ٤٢٢)، الناشر: إدارات البحوث العلمية بالرياض بدون تاريخ.

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكُتب وحُجج كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

[غافر:٨٣]

والواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحًا يُقاتل به هؤلاء الشياطين، ومن ثَمَّ لا خوف ولا حزن لأنَّ: ﴿كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

والعامّي من الموحّدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣].

«فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان»(١).

## المنافقون يُوالون الكفار

من المظاهر موالاة كثير من المنافقين لأعداء الدين وهذا أخطر ما ارتكبه المنافقون: موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر:١١-١٢].

وَ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة:١٤].

---

(١) بتصريف: انظر «كشف الشبهات» للإمام محمد بن عبد الوهاب: (ص ٢٠)، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ، الناشر مؤسسة النور بالرياض. وانظر «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»: (ج ٤/ ٤٦).

ذكر السدي ومقاتل: أنها نزلت في عبد الله بن أُبيّ وعبد الله بن نبتل من المنافقين: فقد كان أحدهما يُجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود[1]. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣].

وفي هذه الحقبة الأخيرة رأينا ما يبكي العيون من موالاة كثير من المسلمين لأعداء دينهم وخذلانهم أبناء عقيدتهم كما حدث في الحرب الصليبية على العراق فرأينا من يفتح لهم دياره ومطاراتهم لضرب إخواننا في العراق، وفريق آخر منح لهم المجال الجوي والبري، وفريق آخر أصدر الفتاوى المفصلة لضرب الكفار للمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## صور من الولاء والبراء

وفي هذه الصفحات الآتية سنقف مع صور مشرقة للحب في الله، والبغض في الله لمن ضربوا أروع الأمثلة للولاء والبراء لذا نصرهم الله على عدوهم وعاشوا أعزة بدينهم وعقيدتهم.

**يقول الدكتور / محمد سعيد القحطاني** حفظه الله **ومن هذه الأمثلة:** موقف صحابة رسول الله ﷺ من كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه من المخلفين الثلاثة، حيث قاطعوهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك.

وانظر إلى هذه المقاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ يُصلون خلف رسول الله في مسجد أسس على التقوى: لقد هجروهم ولم يُكلموهم حتى في التحية الإسلامية!!

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي: (ص ٢٣٥)، و «تفسير القرطبي»: (ج ١٧/ ٣٠٤).

فمن يا ترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا؟!

أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين، حتى وهذا المؤمن مهجور من إخوانه وأحبابه، مقاطع عنهم حتى في رد السلام. مبتلى بإغراء مادي عظيم، ومحين له المنصب ورفعة المكان في الدنيا: فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، فإنه كما جاء في حديثه الطويل لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته بهجره ومن معه، حتى زوجته ذهبت إلى أهلها فأجأه أمر عجيب وخطير في آن واحد.

**يقول كعب** رضي الله عنه: «فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: مَنْ يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء فتممت بها التنور فسجرته بها»[(١)].

لقد صدق كعب رضي الله عنه في قوله: «وهذا أيضًا من البلاء» أجل إنه بلاء عظيم، ولقد كان ولاء كعب رضي الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الإغراء والإغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين، وكان براؤه من ملك غسان واضحًا في حرقه لكتاب ذلك الملك.

فانظر إلى هذه العظمة وهذا الصدق في الولاء والحب للإسلام والمسلمين والبعد عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجاهتها التي لا تُساوي عند الله جناح بعوضة.

---

(١) القصة بطولها في «صحيح البخاري» كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك (٨/ ١١٣) (ح ٤٤١٨) وانظر القصة أيضًا في «تفسير الطبري» (١١/ ١٠) وابن كثير (٤/ ١٦٦-١٦٨).

**قال ابن حجر وهو يشرح قصة كعب:** دلَّ صنيع هذا على قوة إيمانية ومحبته لله ولرسوله وإلا فمَنْ صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمنة من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب...

ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعى إليه من الراحة والنعيم حبًا في الله ورسوله كما قال ﷺ : **«وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»**(١)

**ومثال آخر:** قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي وموقفه مع ملك الروم، حيث أغراه حتى بمشاطرة ملكه فرفض، وهدده بالقتل والحرق فأبى أن يتنصر. كل ذلك دلالة واضحة، وبرهان صادق لعمق ذلك الولاء ورسوخ هذه العقيدة في تلك النفوس العظيمة. ولئن كان موقف عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ الذي تحدثنا عنه سابقًا عظيمًا في منعه أباه من دخول المدينة إلا بإذن رسول الله ﷺ : فإن موقف أبي عبيدة رضي الله عنه أعجب من ذلك وأعظم فلقد قُتِلَ أباه في معركة بدر لأنه كان كافرًا محاربًا لله ورسوله، ولم تكن صلة الأبوة لتمنعه دون تنفيذ الولاء والنصرة لله ورسوله ودينه والمؤمنين. والبراءة والجهاد لعدو الله الذي رضى بالبقاء في حزب الشيطان ليكون حربًا على المؤمنين.

**ومثال آخر:** فقد روت كتب السير أن زيد ابن الدثنة(٢) رضي الله عنه ، اشتراه صفوان ابن أمية بعد يوم الرجيع ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وخرجوا بزيد إلى التنعيم حيث

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٢١) والحديث سبق تخريجه (ص ٤٠) وانظر تعليق ابن القيم على القصة في «زاد المعاد» (٣/ ٥٨١).

(٢) زيد ابن الدثنة: بفتح الدال وكسر المثلثة ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري شهد بدرًا وأُحُدًا، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بـ التنعيم. انظر «الإصابة» (١/ ٥٦٥).

اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان ابن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟

**قال زيد:** والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي فقال: أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا، ثم قتلوا زيدًا رضي الله عنه (١).

فانظر إلى هذا الحب وهذا التفاني وذلك الولاء، وقوة النصرة! إنه رضي الله عنه وهو في مكانه البعيد عن رسول الله لا يرضى أن تمس رسول الله صلى الله عليه وسلم شوكة، فضلًا عن أن يُصيبه أكبر من ذلك!!

هذا هو الولاء الصادق الذي بنته هذه العقيدة في النفوس فأخرجتْ للناس هذه النماذج العظيمة التي تقصر دون عظمتها كل عظمة أرضية.

**ومثال آخر:** روى الإمام أحمد وغيره أنَّ أنس بن النضر غاب عن قتال بدر فقال: غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين؟ لئن الله أشهدني قتالًا للمشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال: أنا معك، قال سعد: فلم أستطيع أن أصنع ما صنع، قال: فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم فكانوا يقولون فيه وفي أصحابه: نزل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (٢).

[الأحزاب: ٢٣]

---

(١) انظر القصة في «السيرة» لابن هشام (٣/ ١٨١).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ٣١٠) و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩٤).

إن سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- كانوا شديدي الاعتزاز بدينهم فلم تخدعهم المظاهر الجوفاء، ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية، وأصدق مثال على ذلك قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قابل رستم، فقد كان الفرس مدججين بالسلاح وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، ووضعوا البسط والنمارق في مجلس رستم وله سرير من الذهب، فأقبل ربعي يسير على فرس له زباء[1] قصيرة، معه سيف غمده لفافة ثوب خلق، ورمح وجحفة [2]وقوس

فلما انتهى إلى أدنى البسط قيل له: انزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه ثم قالوا له: ضعْ سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم فأذن له وقال: هل هو إلا رجل واحد! فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه وزجه نصل يُقارب الخطو، ويزج النمارق والبسط، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطًا إلا أفسده وتركه منهتكًا مخرقًا، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه! فكلمه فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمَنْ قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدًا، حتى نفضي إلى موعد الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم. كم أحب إليكم، أيومًا أو يومين؟ قال: لا بل حتى نُكاتب أهل رأينا

---

(١) الزباء: أي طويلة الشعر كثيرته.

(٢) الجحفة: الترس.

ورؤساء قومنا، وأراد مقاربته ومدافعته فقال: إن مما سنَّ لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثًا فانظر في أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك. وإن كنت عن نصرنا غنيًا تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجًا منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع مَنْ ترى، قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم[١].

ومما يُوضح أيضًا صورة الولاء في نفوس أولئك الأخيار قوله ﷺ في غزوة تبوك: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**» قالوا: وهم بالمدينة؟».

قالوا: «**وهم بالمدينة حبسهم العذر** » متفق عليه[٢].

فانظر إلى هذا الولاء والتناصر حتى ممن حبسهم العذر، لأنَّ هذا أمر لا غدر لهم في تركه، فهم مع إخوانهم بالدعاء والمتابعة.

أما اليوم فيرى المغرورون والمبهورون والمنهزمون أنَّ الكفار كما قال أحدهم: خصوم شرفاء، بل يرونهم أصدقاء أوفياء.

ولكن الذي يجب على المسلمين اليوم أن يفهموه: هو أن الاقتداء بسيرة رسول الله ﷺ وسلفنا الصالح في كل شيء، وفي قضية الولاء والبراء من باب أخص هو الأمر المطلوب منهم، وليس عليهم بعد ذلك أن تقوم أصوات أرباب التبعية،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٥١٩-٥٢٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٨/ ١٢٦) (ح ٤٤٢٣) كتاب «المغازي» و«صحيح مسلم» (٣/ ١٥١٨) (ح ١٩١١) كتاب «الإمارة».

والولاء للغرب الكفار والشرق الملحد لتُنادي بما قاله، وردد من قبلهم أن هذا الفعل رجعية وتقهقر. بل إنَّ عزم المسلمين المخلصين على تحقيق مقتضيات هذه العقيدة، والإصرار على تحكيم الشريعة الربانية هو سبيل النجاح وطريق الفلاح، في الدنيا والآخرة، وجدير بهم أن يرتفعوا إلى المستوى المطلوب منهم ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩][١].

**ومن تلك الأمثلة للحب في الله تعالى:** يقول أبو الدرداءِ رضي الله عنه: «ما أنصف إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله ويفرقوننا في الدنيا، إذا لقيته قال: أحبكَ يا أبا الدرداء، فإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني»[٢]

**ويقول أيوب السختياني** رحمه الله: إنَّه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنَّه مات، فكأنما فقدتُ بعض أعضائي، وكان أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة، إذا نظر إلى نصراني أغمض عينيه، فقيل له في ذلك، فقال رحمه الله: «لا أقدرُ أن أنظر إلى مَنْ افترى على الله وكذب عليه»[٣]

فانظر يا رعاك الله كيف كان تعظيم الله وتوقيره في قلب الإمام أحمد يجعله لا يطيق النظر إلى مَنْ افترى على الله وكذب عليه، وأي افتراء أعظم من مقالة النصارى أن لله ولد تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا قال عمر بن الخطاب في شان النصارى: «أهينوهم ولا تظلموهم، فإنهم سبُّوا الله تعالى أعظم المسبة».

وهذا بهلول بن راشد رحمه الله من أصحاب مالك بن أنس رحمه الله دفع إلى بعض أصحابه دينار ليشتري به زيتًا، فذُكر للرجل أن عند نصراني زيتًا أعذب ما يوجد. فانطلق إليه الرجل بالدينارين وأخبر النصراني أنه يريد زيتًا عذبًا لبهلول بن راشد، فقال

---

(١) «الولاء والبراء».

(٢) «الزهد» لابن المبارك (ص ٢٣٢).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٢).

النصراني: نتقرب إلى الله تعالى بخدمة بهلول كما تتقربون أنتم إلى الله بخدمته وأعطاه بالدينارين من الزيت ما يعطى بأربعة دنانير، ثم أقبل الرجل إلى بهلول وأخبره الخبر، فقال بهلول: قضيت حاجةً فاض لى الأخرى، رُدَّ عليّ الدينارين فقال: لم؟ قال: تذّكرت قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

فخشيت أن آكل زيت النصراني فأجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير[١].

وسُئِل الإمام أحمد عن جار رافضي؟ فقال: «لا تسلم عليه، وإذا سلم لا يُرد عليه»[٢] وكان ابن رجاءٍ من الحنابلة، يهجرُ من باع لرافضي كفنه، أو غسله، أو حمله[٣] ولما كان العزُّ بن عبد السلام في دمشق، وقعَ فيها غلاءٌ فاحش، حتى صارت البساتينُ تُباع بالثمن القليل، فأعطتهُ زوجته ذهبًا وقالت: اشرِ لنا بستانًا نُصيّف فيه، فأخذ الذهبَ وباعهُ، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا؟ قال: نعم بستانًا في الجنة. إنّي وجدتُ الناس في شدةٍ، فتصدقتُ بثمنه، فقالت المرأة: جزاك الله خيرًا[٤]

دخل أبو الوليد الطرطوشي -يرحمه الله- على الخليفة في مصر، فوجدَ عنده وزيرًا راهبًا نصرانيًا، قد سلّم إليه القيادة، وكان يأخذُ برأيه، فقال الطرطوشى:

يَا أيُّهَا الملكُ الذِّي جَوُدهُ ... يَطلُبُهُ القَّاصدُ والرَّاغبُ
إنَّ الذِّي شرفتُ مِنْ أجلِه ... يَزعمُ هَذا أنَّه كاذبُ

(١) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ج١) ( ص ٣٣٧).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤).

(٣) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٧).

(٤) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٤).

فعندئذٍ اشتد غضبُ الخليفة، فأمرَ بالراهب فسُحبَ وضُرب، وأقبل على الشيخ فأكرمهُ وعظَّمهُ بعد ما كان قد عزم على إيذائه.

**يقول القرافي معلقًا على هذه القصة:** «لما استحضر الخليفةُ تكذيب الراهب للرسول ﷺ وهو سببُ شرفه، آبائهِ وأهل الأرض، بعثهُ ذلك عن البعدِ عن السكون إليه والمودة، وأبعدهُ عن منازلِ العزِّ إلى ما يليقُ به من الذلِ والصغار»[1]

## صور موالاة الكفار[2]

أخي المسلم: هناك في المجتمعات الإسلامية صور عديدة من صور موالاة من أمر الله تعالى بمعادته والتبرء منه، وإليك بعض هذه المظاهر

١ - الرضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة[3].

ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار: إنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويُجاريهم على مذاهبهم الإحادية.

ومن الأدهى والأمر ذلك الخبر الذي يُندى له الجبين حينما يُسئل أحد علماء الأزهر وهو في أمريكا: هل النصارى واليهود الموجودون اليوم كفار لأن القرآن يُكفرهم؟

**فيقول ذلك الشيخ:** إنَّ النصارى واليهود اليوم ليسوا كفار، أما الذين ذكروا في القرآن فهم الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ !!!

---

(١) «الفروق» (٣/ ١٦).

(٢) من أحسن من كتب في ذلك الإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبه.

(٣) انظر نواقض الإسلام في «مجموعة التوحيد» ( ص ١٢٩) مطبعة الحكومة بمكّة.

فهذ لا يكفرهم أمر معلوم من الدين بالضرورة، ومن المعلوم في معتقد أهل السنة والجماعة: أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملًا. فالذي يحب الكافر لأجل كفره فهو كافر بإجماع الأمة، ولم يُخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين.

**يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما حب القلب وبغضه، وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته. ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يُعطى ثواب الفاعل الكامل، ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]»[1].

**إذن:** فالمحبة والرضى أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كفرًا إذا كانا للكفار أو إيمانًا إذا كانا للمؤمنين.

٢- التولي العام واتخاذهم أعوانًا وأنصارًا وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير في تفسيرها: «مَنْ اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم، ويُظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء. أي: قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم

(١) «شذات البلاتين»: (ج ١ / ٣٥٤)، «رسالة الأمر بالمعروف».

وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعيونهم على مسلم بفعل»[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة :٥١].

**قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها:** «مَنْ تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه »[(٢)]

**وقال ابن حزم:** «صح أن قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[(٣)].

**وقال ابن تيمية:** «أخبر الله في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه:

فدلَّ على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء، ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضًا»[(٤)].

**وقال ابن القيم:** «إنَّ الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى، فهو منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يُقر ولا تُقبل منه الجزية. بل إما الإسلام أو السيف؛ لأنه مرتد بالنص والإجماع، ولا يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين؛ لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل

---

(١) «تفسير الطبري»: (ج ٣/ ٢٢٨).

(٢) المصدر السابق: (ج ٦/ ٢٧٧)

(٣) «المحلى»: (ج ١٣/ ٣٥) تحقيق حسن زيدان ١٣٩٢هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

(٤) انظر «الإيمان» لابن تيمة: (ص ١٤) طبع المكتب الإسلامي.

من دين إلى الدين الباطل بعد إقراره بصحة ما كان عليه، وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك»(١).

ويستبعد سيد قطب أن يكون بين المسلمين، من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين. وإنما المراد ولاء التحالف والتناصر. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ : «إن الولاية المنهى عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم، فبعيد جدًا أن يكون بين المسلمين مَنْ يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين. إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعًا من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بإبطاله. يُوضح ذلك قوله تعالى بشأن المسلمين لم يهاجروا: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢].

أي: ولاية التناصر والتعاون وليس ولاية الدين. نقول هذا: لأنَّ البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة. ناسين ما يُقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم.

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة: أن تظن أن لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

---

(١) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم: (ج١ / ٦٩، ٦٧).

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[١]

٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾.

[البقرة: ١٠١-١٠٢]

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا السحر، وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام. فمَنْ كان من هذه الأمة مواليًا للكفار: من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل وإتباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل: كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك[٢]. وإنَّ هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الإسلام اليوم، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في «العالم الإسلامي» لا ينكره إلا مكابر جاهل، فها هي الببغوات من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألسنتنا قد آمنت بالشيوعية مذهبًا تارة وبالاشتركية تارة أخرى، وبالديمقراطية نظامًا أو العلمانية دستورًا، فأخذت هذه المبادئ الكافرة وطبقتها في بلاد المسلمين ملزمة الناس بعبادتها «في الطاعة والانقياد والتنفيذ» ونصبت العداء لكل مسلم موحد يُنادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ

(١) «في ظلال القرآن»: (ج٢ / ٩٠٩-٩١٠) بتصريف. وسيرد مزيد من التفصيل إن شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان.

(٢) انظر «فتاوى ابن تيمية»: (ج٢٨ / ١٩٩-٢٠١).

وإنَّ من الإيمان ببعض ما هم عليه: مسألة فصل الدين عن الدولة، وإنه لا علاقة للإسلام بالسياسة، فهذه أيضًا فرع للقضية السابقة، لم توجد إلا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم. ولكن أين الإسلام دين العدل ودين السياسة ودين القوة من «هرطقة» رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الإسلام قناعًا مزيفًا فيقول: الإسلام علاقة بين العبد وربه، والسياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تمت إلى الدين بصلة(١).

٤- مودتهم ومحبتهم: وقد نهى الله عنها بقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر الله أنك لا تجد مؤمنًا يواد المحادِّين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان يُنافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله. فإذا كان الرجل يُوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلًا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب»(٢).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

٥- الركون إليهم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

---

(١) هناك كُتّاب أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم: د. محمد البهي وسيد قطب والمودودي وغيرهم. ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه بمراجعة كتاب «العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي» للأخ الدكتور / سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

(٢) «الإيمان»: (ص ١٣).

**قال القرطبي**: الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به[١]. **وقال قتادة**: معنى الآية: لا توادوهم ولا تطيعوهم. وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم.

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإنَّ صحبتهم كفر أو معصية. إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة كما قيل:

**عَنْ المَرءِ لَا تسألْ عَنْ قرينهِ ... فَكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يَقتدي**[٢]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾

[الإسراء: ٧٤-٧٥]

وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق -صلوات الله وسلامه- عليه فكيف بغيره؟[٣].

٦- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].

والمداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم. حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار، ولئلا يصمهم أولئك الكفرة بأنهم «متعصبون»!

---

(١) «تفسير القرطبي» (ج ٩ / ١٠٨)، وانظر «البغوي والخازن»: (ج٣/ ٢٥٦). أما البيت فهو لطرفه بن العبد.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «مجموعة التوحيد»: (ص ١١٧) ط. دار الفكر.

وصدق المصطفى ﷺ، إذ يقول في مثل هؤلاء: «**لتتبعنَّ سَنَن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم**». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»(١).

إنَّ المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير، ثم تكبر وتنمو حتى تُؤدي والعياذ بالله إلى الخروج من الملة. وهذه إحدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه، وليعلم أنه هو الأعز وهو الأقوى إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته.

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين: أنَّ من أكبر العوامل في انتصارهم بعد الإيمان بالله ورسوله الاعتزاز بالإسلام. يُصدّق ذلك ويؤيد قول الفاروق رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»(٢).

٧- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يُصافون المنافقين، ويُواصلون رجلًا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم(٣).

**وبطانة الرجل**: خاصته، تشبيهًا ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنونه أمره، ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بيّن الله العلة في النهي عن

---

(١) «صحيح البخاري»: (ج١٣ / ٣٠٠) (ح ٧٣٢٠) كتاب الاعتصام، و«صحيح مسلم»: (ج ٤ / ٢٠٥٤) (ح ٢٦٦٩). واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (ج ١ / ٦٢) كتاب الإيمان. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في «تلخيصه».

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص ٦٨).

مباطنتهم فقال: أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك.

والعداوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقيعة فيهم، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين[(١)]. وفي «سنن أبي داود» قوله صلى الله عليه وسلم: «**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٢)].

٨- طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به[(٣)].

قال تعالى ناهيًا عن ذلك: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١][(٤)].

٩- مجالستهم، والدخول وقت استهزائهم بآيات الله: قال تعالى في النهى عن

١٠- مجالستهم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

---

(١) انظر «تفسير البغوي»: (١ / ٤٠٩)، و«تفسير ابن كثير»: (٢ / ٨٩).

(٢) «سنن أبي داود»: (ج ٥ / ١٦٨، ح ٤٨٣٣) كتاب الأدب، وفي «المسند»: (ج ١٦ / ١٧٨، ح ٨٣٩٨)، طبعة شاكر، والترمذي: (ج ٧ / ١١١، ح ٢٣٧٩) في «الزهد»، وقال هذا: حديث حسن غريب.

(٣) «مجموعة التوحيد»: (ص ١١٧).

(٤) «تفسير ابن كثير»: (ج٣ / ٣٢٢).

قال ابن جرير: قوله: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ أي: إنكم إذا جالستم مَنْ يكفر بآيات الله ويستهزئ بها، وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

«وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم»(١).

وفي الحديث: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابكم**»(٢).

١١- توليتهم أمرًا من أمور المسلمين:

كالإمارة والكتابة وغيرها، والتولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوع من توليهم. وقد حكم الله أن مَنْ تولاهم فإنه منهم. ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم. والولاية تُنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبدًا.

والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا. والولاية صلة فلا تُجامع معاداة الكافر أبدًا. ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتّاب مثلًا ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان: لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال. فهذا الملك «الصالح» كان في دولته نصراني يسمى: محاضر الدولة أبا الفضل ابن دخان ولم يكن في المباشرين أمكن منه. كان قذى في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين. بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم برده إلى دين النصرانية وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يُكاتب الفرنج بأخبار المسلمين، وأعمالهم، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها.

---

(١) «تفسير الطبري»: (ج٥ / ٣٣٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (ج٨ / ٨٠، ح٥٧٠٥) بتحقيق أحمد شاكر، و«صحيح البخاري»: (ج٨ / ١٢٥، ح ٤٤١٩) كتاب «المغازي»، و«صحيح مسلم»: (ج٤ / ٢١٨٥، ح ٢٩٨٠).كتاب «الزهد».

وكان مجلسه معمورًا برسل الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الإدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يُؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. وحدث أن اجتمع في مجلس «الصالح» أكابر الناس من الكُتّاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق. وقال من جملة كلامه: إنَّ النصارى لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة؛ لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدًا. والله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وأول أمانتهم وعقد دينهم: «بسم الأب والابن وروح القدس إله واحد» فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له:

**كَيف يَدري الحِسابُ مَنْ جَعَلَ الوَا ... حدُ ربُ الورى تَعالى ثَلاثةً**

ثم قال: كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة؟ وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان دينارًا وأخذ لنفسه اثنين ولاسيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة؟.

وانصرف القوم واتفق أن كبت النصراني بطنته، وظهرت خيانته فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه(١).

١٢- استئمانهم وقد خونهم الله: قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

---

(١) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم: (ج١ / ٢٤٢- ٢٤٤) بتصرف يسير.

١٣- الرضى بأعمالهم والتشبه بهم، والتزيى بزيهم[١].

١٤- البشاشة لهم والطلاقة، وانشراح الصدر لهم، وإكرامهم وتقريبهم[٢].

١٥- معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم: ويضرب القرآن لذلك مثالين هما: امرأة لوط التي كانت ردءً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط. وكذلك فعل امرأة نوح[٣].

١٦- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم[٤].

وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة فقد رأينا «أفراخ المستشرقين» مثلًا: ينشرون فضائلهم وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد و....و.... إلخ كذلك جاء مَنْ ينشر «فضائل» الغرب أو الشرق مضفيًا عليها ألقاب التقدم والحضارة والرقي، وواصمًا الإسلام والمنتسبين إليه بالرجعية والجمود، والتأخر عن مسايرة الركب الحضاري والأمم المتقدمة.

١٧- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم:

مثل: السادة والحكماء ومبادأتهم بالسلام «ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهما عدوَّ الله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه. أو يُشير بيده إلى رأسه إشارة إلى منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يُخْشى على فاعله أن يكون مرتدًا عن الإسلام؛ لأنَّ هذا من أبلغ الموالاة والمودة والتعظيم لأعداء الله»[٥].

---

(١) «مجموعة التوحيد» (١١٧).

(٢) «مجموعة التوحيد» (١١٧).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (ج٦ / ٢١٠).

(٤) «مجموعة التوحيد» (ص ١١٧)، و«رسائل سعد بن عتيق»: (ص ١٠١).

(٥) «تحفة الإخوان» للشيخ حمود التويجري: (١٩)، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن. أما الكافر فله الإهانة والذلة. وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن مبادأتهم بالسلام فقال: «**لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**»(١).

١٨- السكنى معهم في ديارهم، وتكثير سوادهم(٢).

قال رسول الله ﷺ: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»(٣).

وقال: «**لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمَنْ ساكنهم أو جامعهم فليس منا**»(٤).

١٩- التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم(٥).

٢٠- وهذه الصورة من أخطر ما ابُتليت به أُمَّتُنا في هذا العصر. ذلك أنَّ وجود ما يُسمى في المصطلح الحديث «الطابور الخامس» قد أفسد أجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة، وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق، أم في الدين والدنيا معًا. وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنه الشيخ محمد قطب أنه قال: حين

---

(١) «صحيح مسلم» (ج٤ / ١٧٠٧، ح ٢١٦٧) كتاب السلام، وأبو داود: (ج٥ / ٣٨٤، ح ٥٢٠٥) في «الأدب».

(٢) «الرسائل المفيدة» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: (ص ٦٤).

(٣) أبو داود: (ج٣ / ٢٢٤، ح ٢٧٨٧) كتاب الجهاد، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن، انظر «صحيح الجامع الصغير»: (ج ٦ / ٢٧٩، ح ٦٠٦٢).

(٤) الحاكم في «المستدرك»: (ج٢ / ١٤١)، وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٥) «الإيمان. حقيقته. أركانه. نواقضه» د. محمد نعيم ياسين: (ص ١٤٧).

خرج الاستعمار الإنجليزي من مصر: «خرج الإنجليز الحمر وبقى الإنجليز السمر!!» نعم إن داءنا هم الإنجليز السمر.

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة «دنلوب» في التربية والتعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة: فرويد وماركس ودور كايم في أفكارهم الخبيثة؟(١).

إنهم المستغربون من أبناء هذه الأمة الذين حققوا لأعداء الله ما لا يحلمون به. ولكن هيهات لهم فإن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

٢١- مَنْ هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضًا للمسلمين وحبًا للكافرين(٢).

٢٢- مَنْ انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة(٣).

## إعداد العدة

**واعلم أخي علمني الله وإياك:** أنَّ من الأمور التي يجب على الأمة الأخذ بها فهي فرض تأثم الأمة إن لم تأخذ به ألا وهو إعداد العدة للعدو المتربص بالأمة الدوائر

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

---

(١) يراجع كتاب «التطور والثبات في حياة البشرية» للأستاذ محمد قطب: (ص ٣٥) فصل: اليهود الثلاثة، وكتاب «هل نحن مسلمون؟»: (ص ١٣٣)، وكتاب «مذاهب فكرية معاصرة».

(٢) «الردة بين الأمس واليوم»: (ص ٣٣).

(٣) المصدر السابق: (ص ٤٠).

أي ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم.

﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة.

ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الَّرمْي، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الَّرمْيُ» **ومن ذلك: الاستعداد** بالمراكب المحتاج إليها عند قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأنَّ ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ ممن تعلمون أنهم أعداؤكم.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾ ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك الإنفاق ولهذا قال تعالى مرغبًا في ذلك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. المالية في جهاد الكفار قليلًا كان أو كثيرًا ﴿يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾ أجره يوم

القيامة مضاعفًا كثيرة، حتى إنَّ النفقة في سبيل الله، تُضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئًا[1].

**واعلم أن إعداد العدة يشتمل على جوانب كثيرة، وكلها مرتبط بعض ببعض:**

يقول الشيخ/ أحمد بن حمدان بن محمد الشهري المطلب الأول: تعبئة الجيش وتجنيد الجند ودور ذلك في التمكين من الأمور التي وردت في القرآن الكريم فيما يتعلق بالجهاد تعبئة الجيش وتجنيد الجند، ولقد ذُكرت في القرآن ذكرًا ظاهرًا وربط الله سبحانه وتعالى بها النصر والغلبة، ووصف بها سبحانه الدولة المسلمة وجعلها من أبرز مزاياها، وامتنَّ سبحانه وتعالى بذلك، وجعله من نعمائه، يبرز ذلك جليًا في تلك الدولة المسلمة، المملكة العزيزة دولة نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الذي دعا ربه أن يُؤتيه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فحققه الله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص:٣٥]

ويذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن تلك الدولة التي مكن لها والتي كانت تتبنى الدعوة إلى الله وتُجاهد من أجلها؛ يذكر أول مزية لها ويبرزها سبحانه وتعالى وهي تعبئة الجيش القوي عندها، وتجنيد الجند وترتيبهم وتفقدهم من الملك تفقدًا جادًا حازمًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

[النَّمْل:١٧]

وفي هذه الآية نرى كيف بلغ الاعتناء بالتجنيد، والجيش لتلك الدولة ذات الملك العظيم، وحمل دعوة الحق وتبليغها ذلك المبلغ العظيم، ونلمح ذلك الاعتناء من لفتات في الآية تُبرز عند تأملها.

---

(١) «تفسير السعدي» (ج١ / ص ٣٢٤).

وإليك هذه اللفتات مجملة في النقاط التالية:

**١- اللفتة الأولى:**

كثرة الجند وبلوغه من الكثرة عددًا هائلًا، وذلك نلمحه في كلمة ﴿ وَحُشِرَ ﴾ وكلمة ﴿ جُنُودُهُۥ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ ﴾. قال الراغب عند مادة «حشر»: الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم... ولا يُقال الحشر إلا في الجماعة. قال تعالى: ﴿ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةً ﴾ [ص: ١٩]. وقال: ﴿ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ [الحشر: ٢]. وقال: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾[1] [النمل: ١٧].

أما كلمة ﴿ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ في الآية فالجنود جمع الجمع، فهي جمع الجند؛ فإنه يُقال في الأصل: لكل مجتمع جند، وجمع الجند جنود وأجناد[2].

ومن خلال تلك اللفتة التي تشخصها ألفاظ الآية وكلماتها نرى الاعتناء بكثرة الجند الكثرة الهائلة في تلك الدولة العظيمة، ونلمس درسًا يُؤخذ لكل دولة تتبنى دعوة الحق وتجاهد لها أن تعتني بالتجنيد وكثرة الجيش، ونأخذ في الاعتبار كذلك أن هذا لا يُعارض ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

ففي هذه الآية ذم الله سبحانه وتعالى الالتفات بالقلب إلى الكثرة والاتكال إلى العدد والأسباب، وجعلها هي عامل النصر الأساسي، وإنما المتوجب على المؤمنين إعداد الأسباب وإتقانها ثم صرف القلوب إلى واهب النصر وحده دون الالتفات بها إلى السبب، وجمع القوى بكليتها إليه واعتمادها في نيل النصر عليه.[3]

---

(١) «المفردات» [١١٩].

(٢) انظر «المفردات» كذلك: [١٠٠].

(٣) راجع كتاب «الدعوة والدعاة بين تحقيق التوكل واستعجال النتائج» (ص ٦٠).

وهذا التجنيد كان حال أمة الإسلام في عصرها الأول، فلقد كان المسلمون كلهم جنودًا في أهبة الاستنفار، وبعث المدد أو إعداد الجيش؛ كلهم عن بكرة أبيهم لا يعذر منهم إلا أصحاب الأعذار، فما لواحد منهم بد إذا سمع صوت النفير إلى الجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

### ٢- اللفتة الثانية في الآية:

هي وضع كل الطاقات الممكنة في الجيش، وتوجيه كل القوى في إعداده وإكماله، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل:١٧]. فلقد كان يكفي الجن عن الإنس في إعداد جيش عظيم، أو لعله قد كان يكفي الإنس والجن في الجيش فما لازم الطير أن يكونوا في الجند، وتجري عليهم أنظمة الجيش الحازمة الصارمة عند التخلف عن الحضور في صفوف الجند دون عذر مقنع، إنَّ الطير يعرف موضعها عند ملوك الزمان في الغالب فهم يضعونها في القصور والغابات والصروح العظام للزينة، أما كون نبي الله سليمان وضعها ضمن جنده وفي جيشه مع الجن والإنس؛ فيدل ذلك على شدة الاعتناء بجيش الدولة وتعبئته بكافة الإمكانات المستطاعة، وذلك هو شأن الدولة القوية المؤمنة التي تسعى لإقامة دين الله وجهاد أعدائه، ودوامها على ذلك.

### ٣- اللفتة الثالثة:

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي الجند من الجن والإنس والطير ومعنى ﴿ يُوزَعُونَ ﴾ أي يكفون، أي يسيرون بانتظام في حشرهم إليه، ويوجد على كل صنف من يزعه، أي يكفه ويرده على نظام الجميع في التحرك والسير.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «جعل على كل صنف مَنْ يرد أولاها على أخرها لئلا يتقدموا في المسير...»(١).

**ومن هذا نستفيد:** أن تلك الكثرة المختلفة الأصناف في ذلك الجيش على نظام فائق منضبط عند الاجتماع وعند السير والتنقلات، وهذه ميزة ضرورية لجند الدولة المجاهدة، فالكثرة دون تنظيم، ودون مَنْ يقوم على تنظيمها كثرة همجية غوغائية، وهي السبب المباشر في هزيمة الجيش عند المواجهة أو إنهاكه وضياعه عند التنقل والتحرك.

تلكم هي أهم خصال جيش الدولة المجاهدة التي مكَّن الله لها في الأرض والتي تسعى لنشر دعوة الحق وتمكينها فيمن حولها؛ فكثرة المجندين للجهاد سواءً في السلم أو الحرب مطلب ضروري والكثرة يُسعى إليها، ولا يُتكل عليها، ولقد استعاذ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من القلة وقرنها في دعاءه بالذلة، فقال: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة...**»(٢).

**وبناءً على هذا:** فينبغي الإكثار من الجند والتجنيد عند الاقتدار، سواءً كان ذلك التجنيد في السلم أو لمواجهة الحرب، وإنشاء الجهاد والفتوح كما قال نبي الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٧]

أما تعبئة الجيش بما أمكن من طاقات وقدرات وتقويته، فهو مطلب لقوة الجيش وتمكينه من النصر، وسبب له أمر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة باعتماده وصرف القوى إليه.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

---

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ١٤١).

(٢) تمام الحديث في سنن النسائd. الاستعاذة (٨/ ٢٦١).

فالله سبحانه وتعالى أمر في هذه الآية بإعداد كل ما في الوسع والاستطاعة من قوة لمواجهة الأعداء، والقوة كل ما يتقوى به في الحرب(١)، **ومن ذلك**: السلاح والقسي والحصون وآلات الحرب، ولقد ثبت عنه ﷺ من حديث عقبة بن عامر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي...**» قالها ثلاث مرات(٢). فتقوية الجيش مطلوبة بكل ما أمكن من عدة الحروب وعتادها وآلاتها، والرمي هو أقوى تلك القوى وأولاها بالاعتناء.

أما التعبئة العددية، واعتبار الأعداد، فهو أمر اعتبره القرآن، ورتب عليه غلبة أهل الإيمان في حالة معينة، وعذرهم حين يقل العدد في حالة أخرى، وأوجب عليهم المواجهة ووعدهم النصر حين يبلغ العدد حالة ثالثة ويتحلى أهل الإيمان بالصبر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية من طرق عدة قوله رضي الله عنه:- «لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مئتين ومئة ألفًا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى» فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦] الآية، «فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم»(٣).

---

(١) راجع «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٣٢٠).

(٢) «سنن أبي داود» الجهاد (٣/ ١٣) ومسلم في «الإمارة» في فضل الرمd (٥/ ٦٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٣٧).

وهنا نرى كيف أن الله سبحانه وتعالى اعتبر الكمية العددية في لقاء المؤمنين لأعدائهم، وحدد لها حالات وأرقامًا تجاه أرقام كذلك من أعدائهم الكافرين، وعليه يتعين لجند الإيمان وجيش الدعوة اعتبار العدد منهم تجاه العدد من أعدائهم، وبناء تقديراتهم في مواجهة الأعداء بما ورد في الآيات المذكورة آنفًا. وتعبئة جيوشهم وإرسال كتائب مقاومة الأعداء بناءً على القيمة العددية التي اعتبرت في الآيات، حتى لا يُؤتوا عن قلة، وما ورد في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة:٢٤٩]،إنما هو في حالة قلة أهل الإيمان وانعدام المدد، أما في حالة توافر أهل الإيمان وكثرتهم فينبغي لهم اعتبار العدد الذي عدَّه الله سبحانه في كتابه، وضمن لهم الغلبة إذا توفر مع الصبر.

ولقد أرشد النبي ﷺ على أفضل ما تكون عليه التعبئة العددية للجيوش وفصائلها من سرايا وكتائب؛ كل حسب ما يُلائم دوره في الجيش ومهامه بحيث يتناسب العدد مع أداء المهام، فلا يثقل فتتعثر المهمة لكثرته، ولا يقل فتكون الغلبة أو الانسحاب لقلته، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن تغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**»(١). رواه أبو داود وغيره.

### *المطلب الثاني: الصناعة ودورها في النصر والتمكين:*

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مصنوعات عدة ومتنوعة، إلا أنَّه سبحانه وتعالى لم يذكر مصنوعًا من تلك المصنوعات إلا في معرض تمكينه لدعوة الحق، وجعله مظهرًا من مظاهر تمكينها، أو عاملًا أساسيًا في تحققه لها عن طريق ذلك المصنوع أو يذكره سبحانه وتعالى في معرض امتنانه سبحانه وتعالى على أهل الإيمان وبني الإنسان، ويعد سبحانه تلك الصنعة أو ذلك المصنوع من نعمائه عليهم

(١) «سنن أبي داود» الجهاد (٣/ ٣٦). وهو عند أحمد والترمذي والحاكم.

وتعليمه لهم ، قال تعالى مبينا كيف أنجى نبيه نوحًا على نبينا ﷺ بوسيلة صناعية علَّمه صناعتها وهي السفينة: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ [هود:٣٧].

ومعنى بوحينا أي: «بما أوحينا إليك من كيفية صنعها» وقال ابن كثير: «أي تعليمنا لك ما تصنعه»(١) أما في معرض امتنانه سبحانه وتعالى بنتاج الصناعة فلقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٨٠]

فامتنَّ سبحانه بما علمه لنبيه داود من صناعة الدروع الواقية في الحروب من الطعن والضرب والرمي وعد ذلك من نعمائه على الخلق و قَالَ تَعَالَىٰ في سورة النحل: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴾ [النحل:٨١].

فعدَّ سبحانه وتعالى استخدام ما أنتجته الصناعة من نعمائه وجوده راجعًا إلى تعليم منه واستخدام البشرية له في شؤون حياتها من تمام نعمته عليهم التي ينبغي لهم إذا ذكروها وتلبسوا بها أن يزدادوا انقيادًا للخالق المنعم الذي ألهمهم إياها ويسلموا له، ولقد بين الله سبحانه وتعالى في موضع آخر من كتابه أنه هو الذي علم داود تلك الصناعة حتى في دقائق من إحكامها وإتقانها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [سبأ:١١].

قال قتادة: «وهو أول مَنْ عملها أي الدروع من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح»(٢) أما السرد، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «هو حلق الحديد»(٣) قال سيبويه:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٦٠).

(٢) راجع «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٣٥).

(٣) المرجع السابق.

«معن سرد الدروع إحكامها وأن يكون نظام حلقها ولاء غير مختلف..»[١]، قال ابن كثير: «هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع»[٢].

ولنا في هذا البحث أن نستعرض منتجات الصناعة في القرآن التي اقترنت بتمكين دعوة الحق اقترانا ظاهرًا، وهذا بيانها:

**١- سفينة نوح -على نبينا وعليه الصلاة والسلام-:**

وهي أول اختراع من نوعه، والسفن إنما جاءت بعدها، وبالاستفادة من طريقة صنعها التي أوحى الله بها إلى نبيه قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس:٤١].

فالآية هنا تدل على أن سفينة نوح هي الأولى ولم يكن قبلها سفن وذلك لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي مثل سفينة نوح، فجعلها الأولى وجعل ما بعدها أقل منها لقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ويكفي دليلًا على متانة صناعتها أنها بوحي من الله وأنها وسعت من كل نوع من المخلوقات زوجين اثنين مما يدل على عظم حجمها ومتانة صنعها كما قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣].

قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢]

وهذه الآية تدل على براعة تصميمها، وشاهدنا في هذا أن الله سبحانه وتعالى بقدرته على كل شيء كان قادرًا على أن ينجي نوحًا ومَنْ معه وما يريد أن يستبقيه من مخلوقات الأرض من غير السفينة ودون الحاجة إلى صناعتها فهو قادر أن يحييهم بعد موتهم أو يبلغهم موضعًا من الأرض لا يغرقون فيه وحدهم دون غيرهم من المغرقين، أو غير ذلك من قدرته سبحانه التي لا تحد، ولكنه أمر نوحًا بصنع السفينة ليُلهم خلقه

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٤ / ٣١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٥٣٥).

تلك الصناعة، ويعلمهم كيف يستطيعون أن ينجوا من كوارث الأرض ويتوقوا منها عن طريق إعمال العقول واختراع الوسائل من صناعة وغيرها، ثم منَّ الله سبحانه وتعالى على خلقه فأبقى لهم من مثل تلك السفينة ما يركبون عليه ويمخرون البحار به، ولعل هنا بالذات لفتة إلى أهل الحق كيف أن لهم في وسائل الصناعة طريقًا للنجاة والخلوص بأنفسهم وبالتالي تمكينهم في الأرض.

**٢- سد ذي القرنين:**

من وسائل الصناعة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض التمكين والنجاة والامتناع من عبث المفسدين قال تعالى عن ذي القرنين ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٢-٩٣]

وهنا نرى كيف أن القرنين حال بين المفسدين العابثين وبين الأقوام التي كانت دون السدين «وهي سلسة الجبال» ببناء ذلك الردم العظيم، وهو سد بناه ذو القرنين لم يكن كغيره من سدود بني الإنسان التي تُبنى باللبن والحجارة ونحوه، وإنما كان سدًا مبنيًا بأرقى طرائق البناء وأقوى معادن الصناعة وأتقن وسائل التصميم، وإليك بيان هذا مجملًا فلقد أتى ذو القرنين على أولئك الأقوام المتخلفين الذين لا يكادون يفقهون قولًا، ولا يعلمون شيئًا من أحوال التحضر، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه إقامة سد ويعطونه أجرًا على ذلك، وطلبهم لإقامة سد كان وجيهًا، لأنه كان بينهم وبين يأجوج ومأجوج حواجز من شواهق الجبال الصم؛ تمتد بينهما على

شكل سلسلتين من الجبال، بينهما فجوة هي منفذ يأجوج ومأجوج في هجماتهم على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، وعند ذلك استعد ذو القرنين ببناء السد وسماه ردمًا أي أعظم مما طلبوه، وعمد إلى تلك الفجوة التي بين الصدفين وهما الجبلان العظيمان المتقابلان فملأ الفجوة بزبر الحديد أي قطَعهُ المقدرة مثل اللَّبِن حتى ساوى بين رؤوس الجبلين وبين ما في الفجوة من الحديد فجعلهم سواء، ثم أمر بالمياكير فنفخت الحديد بالنار حتى جعلت من قِطَع الحديد نارًا فأصبحت حمراء متوهجة فصبَّ عليها وهي في تلك الحال النحاس المذاب وهو القِطْر، فاستحكم البناء أيما استحكام وقوى كل قوة وأصبح غاية في الصلابة والملاسة قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾(1) [الكهف: ٩٧].

ولكى نعلم مدى ما وصل إليه ذو القرنين من العلم بطرائق الصناعة وخصائص المعادن، والاستفادة من ذلك، نرى العلم قد توصل في عصرنا الحاضر إلى أنَّ خير طريقة لتقوية الحديد هي إضافة نسبة من النحاس إليه، وأن ذلك يزيد من مقاومة الحديد وصلابته.

ولا أدل على قوة صناعية سد ذي القرنين وعلى ارتقاء علم الصناعة والعمران لديه من بقاء ذلك السد وعدم تغيره رغم تعاقب العصور والدهور حتى جاء رسول الله ﷺ والسد لا زال قائمًا وحتى يومنا هذا وحتى يأذن الله بقرب يوم القيامة، وخروج يأجوج ومأجوج ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨]

وهنا نرى كيف كان «السد» الذي هو من منتجات الصناعة الفائقة رحمة من رحمات الله سبحانه للناس ليتمكنوا من العيش آمنين، في عزلة من عبث المفسدين من يأجوج ومأجوج.

(١) راجع «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٠) و «مباحث في التفسير الموضوعي» [٣٠٧].

### ٣- الثورة الصناعية في مملكة سليمان- على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

دولة نبي الله سليمان دولة ذات تمكين عظيم، بل لعلها أعظم دولة وجدت على ظهر الأرض من حيثُ ما مكَّن الله لها ولملكها النبي الصالح الشاكر على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ورغم كل ذلك ورغم تسخير الجن والطير لم تكن في غنىً عن منتجات الصناعة ومزاولتها، بل إن نصوص القرآن لتُصور لنا ثورة صناعية دائبة مستمرة حية في تلك الدولة، حتى مات ملكها وهو واقف يشرف على تلك الأعمال الدائبة[١] قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٣-١٤].

ومما يُوضح ويصور تلك الثورة الصناعية في مملكة سليمان خلاف واقعة موته مجيء التعبير عن عمل الجن في منتجات الصناعة بالفعل المضارع ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ الآية فالتعبير بالمضارعة يفيد الدوام والاستمرار والتجدد.

وكذلك مما يُفيد ذلك قوله تعالى في الآية قبل آية ذكر أعمال الجن: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [سبأ: ١٢]الآية. قال الواحدي في تفسير الآية: «قال المفسرون: أُجريت له عين الصفر أي: النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أُعطي سليمان»[٢].

---

(١) راجع تفسير ابن سعدي «تيسير الكريم الرحمن» (٦ / ٢٦٨).

(٢) «فتح القدير» (٤ / ٣١٦).

فإعطاء الله لنبيه سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام النحاس بهذه الكمية والكيفية يدل على أن هناك استعمالات كثيرة له وهو المعدن العريق في منتجات الصناعة ومن أهم معادنها الذي تقوم عليه، ولذلك جاء التعبير بعمل الجن في صنائع الصناعة لسليمان عقيب ذكره تعالى لإسالة عين النحاس لسليمان، ولو لم يكن هناك إعمال لهذا المعدن في استخدام وصناعات لما كان هناك فائدة وطائل من إعطاء سليمان كل هذه الكمية منه، وبيانه سبحانه أنها من نعمائه وعطاياه التي أعطى سليمان وامتن بها عليه.

كل هذا يشهد بأن الاهتمام بالصناعة هو شأن الدولة المُمَكَّن لها المؤمنة المجاهدة لإعلاء كلمة الله، وأنَّ ذلك مظهر من مظاهر تمكينها، ومن نعم الله التي يتوجب شكرها وردها إليه سبحانه.

وبعد هذا الاستعراض لمنتجات الصناعة في القرآن الكريم ودورها في تمكين الله بها لدعوة الحق وجعلها من مظاهرها حال تمكينها نخلص إلى أن أوائل المخترعات من السفينة والدروع كانت على يد أنبياء بتعليم من الله حتى في دقائق صنعها وكيفيات تصميمها وللمتأمل في كتاب الله أن يذهب به العجب كل مذهب وهو يرى حال المسلمين في الصناعة اليوم، ويرى كتاب الله المنزل عليهم ولهم قد ذكرت فيه منتجات صناعية في أكثر من عشرة مواضع، وفي كل موضع من تلك المواضع يمتن سبحانه وتعالى عليهم، ويستحثهم للشكر عليها، أو يُبين لهم أن تلك الصنائع كانت وسائل نجاة لأمم وامتناع لآخرين من أعدائهم ووقاية من بأسهم، ويكفي للعلم بمدى حض القرآن على الصناعة وتشجيعه عليها أن سورة كاملة فيه جاءت باسم المعدن الأساسي للصناعة وهو الحديد وبين الله سبحانه وتعالى فيها أنه لم ينزله سبحانه إلا لشيء واحد وهو ليعلم مَنْ ينصر به دينه ويُوظفه في صناعات ينصر بها الحق ويُجاهد بها الكفر.

وعند التأمل في القرآن الكريم والاهتمام بالصناعة فيه لتمكين دعوة الحق، نجد أن نتاج الصناعة في القرآن على قسمين، ونجد القرآن قد عرض كل قسم من ذلك النتاج عرضًا خاصًا:

***القسم الأول:*** - كل ما تنتجه الصناعة من عتاد وآلات الحرب من سلاح أمثال السيوف والحراب والسنان والنصال والدروع وغير ذلك، وقد جاء القرآن الكريم بذكر تلك المنتجات في كلمات تدل عليها من «قوة» أو «بأس شديد» ولم تذكر بأسمائها تفصيلًا، ولكن القرآن أوردها في سياق تلك الكلمات ذات الدلالة الواضحة عليها وعرضها آمرًا بها موجبًا على المسلمين إعدادها بكل ما أمكن قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولقد ثبت كما سبق ذكره عن النبي ﷺ أنه فسر القوة بالرمي، وإعداد الرمي إنما يكون قبل ذلك بإعداد آلته من السهم والقسي، ولهذا جاء في السنة عظم ثواب صناعة السهم والإمداد به فضلًا عن رمايته، بل إن صانعه لا يقل أجرًا عن الرامي به في سبيل الله إذا احتسب نيته، بل إن صناعة سهم واحد إذا احتسب النية كفيلة بأن تكون سببًا مباشرًا في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به...**»[1] الحديث. رواه أبو داود والنسائي والترمذي، **وفي هذا الحديث:** نرى عظمة الصناعة الحربية في الإسلام، وكيف أن سهمًا واحدًا أدخل ثلاثة الجنة، مما يدفع بالمسلمين لو عقلوا هذا الحديث أن يحترفوا صناعات الحرب، ويجعلوها مهن الحياة وخير حرفة لكسب العيش، ونيل الدرجات في الجنة، الأمر الذي لا يكادون يجدونه في حرفة أخرى ألبتة، وما ورد هنا في شأن الرمي ينسحب كذلك على سائر آلات الحرب مما يتقوى به فيها للجهاد

---

(١) «سنن أبي داود»، في الجهاد في الرمي (٣/ ١٣).

في سبيل الله، مثل السيف والرمح وغيره من وسائل وصناعات الحرب الحديثة كذلك وتقنية التسلح في هذا العصر الحاضر.

وفي هذا القسم قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهنا يُبيِّن سبحانه وتعالى أن «الحديد» معدن الصناعة الأول أنزله سبحانه وتعالى، وعطف بإنزاله سبحانه على إنزال الكتاب والميزان على الرسل، ويُبين سبحانه أنه إنما أنزله ليعلم مَنْ ينصره به ويوظف ما يصنع منه نصرة دينه والجهاد في سبيله. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «فيه بأس شديد: يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها»[1].

ومن هنا نصل إلى أن القرآن الكريم ذكر في آياته التقوى للحرب وللجهاد في سبيل الله، ورتب على الحديد نصرة ينصره بها أهل الإيمان به والجهاد في سبيله، وأن القرآن عنى بذلك منتجات الصناعة كالسلاح ونحوه فإنَّ الحديد لا يمكن أن ينصر به أحدٌ أحدًا وهو خام، وأنَّ الله سبحانه وتعالى أمر بالإعداد وأمر كذلك بنصرته في موضع آخر فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] الآية.

وفي آية الحديد ربط إنزال الحديد بنصرته فتوجب بذلك نصرته سبحانه وتعالى بالاهتمام بصناعة آلات الحرب وإعدادها والإمداد بها، فهي واجبة على المسلمين متى تركوها أثموا جميعًا[2]، ودلالة نصوص القرآن ظاهرة واضحة في الأمر بها من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(١) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٣٣٧).

(٢) فهي فرض كفاية، راجع «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٨/ ٨٠).

ومن ذلك ما سبق إيضاحه بشأن نصرته سبحانه بالاهتمام بصناعات الحرب وتوجب ذلك.

***القسم الثاني:-*** ما ذكره سبحانه وتعالى في كتابه من منتجات الصناعة مثل: سفينة نوح والدروع السابغات وسد ذي القرنين وما ذكره سبحانه وتعالى لسليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام من ذلك، ولقد عرض القرآن هذا القسم عرضًا يختلف عما في القسم الأول فلقد سمى تلك الصناعات بأعيانها ولكنه لم يأمر بها أو لم يوجه تجاهها أمرًا للمؤمنين بإعدادها أو نحوه كما سبق في القسم الأول، بل جعل منها ما هو آية وموضع عبرة لهم وبين سبحانه أن طريق النجاة كان بواسطتها مثل سفينة نوح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٣-١٥].

وامتنَّ سبحانه وتعالى على بني الإنسان كذلك بصناعة السفينة والدروع وبيَّن أنها من نعمائه واستحثهم لشكر تمتعهم بها، وجعل السد من رحمته.

وبيَّن سبحانه موارد نفعها ودورها في تمكين أهل الحق فبصناعة السفينة كانت نجاة المؤمنين والخليقة في الأرض، وبسد ذي القرنين كان تمكين رعايا ذي القرنين من العيش آمنين هانئين ونحو ذلك، وفي هذا عبرة لأهل الإيمان أن يعتنوا بالمخترعات، ويعرفوا قيمتها، وأنها من أسباب رحمته وسوابغ نعمته ووسائل النجاة من الكوارث والوصول إلى التمكين في الأرض، وعلى أهل الحق أن يأخذوا في الحسبان ما ورد في القرآن بخصوص هذا الشأن، وأن يسعوا إلى الصناعة لتمكين دعوة الحق ونصرة

الدين، معتبرين ومتأسين بهذه الوقائع التي دارت أدوارها على تلك الصنائع، حتى تحقق لأهل الحق التمكين ونُصِرَ بها الدين(١).

## الحذر والحيطة

**واعلم علمني الله وإياك:** أن من ثمرات الاعتقاد بحقيقة المؤامرة أخذ الحذر والحيطة وهذا خلافًا لما يقوله الذين يزعمون أن لا مؤامرة ويقولون: إن فكر المؤامرة سبب من أسباب تخلف العرب والمسلمين، فإلى هؤلاء أوجه هذا السؤال لو أنك تسير في طريق وجاءك خبر أن في منعطف هذا الطريق عدو يريد قتلك أو سلب مالك ماذا أنت فاعل تجاه هذا الخبر وذلك العدو؟

أكنت تتغابى وتتغافل عن ذلك العدو ولا تأخذ الحذر منه أم أنك ستأخذ العدة له وتكون على أتم استعداد لمهاجمته قبل أن يُهاجمك؟ إن إجابة العقلاء على ذلك السؤال تكون بالفعل قبل القول وأخذ الحذر والحيطة من ذلك العدو المتربص بهم، فما بالك إذا كان الذي أخبر بذلك العليم الخبير جلَّ جلاله والبشير النذير ﷺ كما أوضحت في أسباب كتابة هذا الكتاب، والله تعالى أمرنا أن نأخذ الحذر والحيطة من اليهود والنصارى ومن شابههم فقال في محكم التنزيل وهو اصدق القائلين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٧١-٧٣].

يقول العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يُستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب،

---

(١) انظر كتاب «عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين» لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري.

وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله ولهذا قال: ﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ ﴾ أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم ﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠] ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ أي: أيها المؤمنون ﴿ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفًا وخورًا وجبنًا، هذا الصحيح وقيل معناه: ليبطئ غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين **أحدهما**- قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾والخطاب للمؤمنين.

**والثاني**- قوله في آخر الآية: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضًا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد، وضعفاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤].

ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال:﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ [النساء:٧٢] أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم. قال ذلك المتخلف ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٢] رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدرِ أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد فإنه وإن استراح قليلًا فإنه يعقبه تعقب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين ثم قال: ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[النساء:٧٣] أي: نصر وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٧٣] أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين ويألمون بفقدها، ويسعون جميعًا في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة(١)

ويقول الشيخ سيد طنطاوي والمعنى: استعدوا أيها المؤمنون لأعدائكم، وكونوا على يقظة منهم، وكونوا متأهبين للقائهم دائمًا بالإيمان القوى، وبالسلاح الذي يفل سلاحهم هذا، وللأستاذ الإمام محمد عبده كلام حسن في هذا المعنى، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ملخصه: «الحذر: الاحتراس والاستعداد لاتقاء شر العدو، وذلك بأن نعرف حال العدو ومبلغ استعداده وقوته ومعرفة أرضه وبلاده، وفي أمثال العرب «قتلت أرض جاهلها». ويدخل في الحذر والاستعداد معرفة الأسلحة وكيفية استعمالها فكل ذلك وغيره يدخل تحت الأمر بأخذ الحذر» وقد كان النبي وأصحابه عارفين بأرض عدوهم، وكان للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواسيس يأتونه بأخبار مكة، ولما أخبروه بنقض قريش للعهد استعد لفتحها، وقال أبو بكر لخالد يوم حرب اليمامة: «حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح». وهذه كلمة جليلة فالقول وعمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، كل ذلك دال على أن الاستعداد يختلف حال العدو وقوته.

فأنت ترى أن هذه الجملة الكريمة ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾دعوة للمؤمنين في كل زمان ومكان إلى حسن الاستعداد لمجابهة أعدائهم بشتى الأساليب وبمختلف الوسائل التي تجعل الأمة الإسلامية يرهبها أعداؤها سواء أكانوا في داخلها أم في خارجه وقوله ﴿ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ تفريع على أخذ الحذر؛ لأنهم إذا

(١) «تفسير السعدي» (ج١ / ص ١٨٦).

أخذوا حذرهم، عرفوا كيف يتخيرون أسلوب القتال المناسب لحال أعدائهم وقوله ﴿ فَٱنفِرُواْ ﴾من النفر وهو الخروج إلى عمل من الأعمال بسرعة. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢].

والمراد بقوله ﴿ فَٱنفِرُواْ ﴾ هنا: أي اخرجوا إلى قتال أعدائكم بهمة ونشاط ويقال: نفر القوم ينفرون نفرًا ونفيرًا إذا نهضوا لقتال عدوهم، واستنفر الإمام الناس إذا حضهم على جهاد أعدائهم ومنه قوله ﷺ: «**وإذا استنفرتم فانفروا**» والنفير. اسم للقوم ينفرون.

وقوله ﴿ ثُبَاتٍ ﴾جمع ثبة وهي الجماعة والعصبة من الفرسان. مأخوذة من ثبا يثبوا أي: اجتمع. والمعنى. عليكم أيها المؤمنون أن تكونوا دائمًا على استعداد للقاء أعدائكم، ولا تغفلوا عن كيدهم. فإذا ما حان الوقت لقتالهم فأخرجوا إليهم مسرعين جماعة في إثر جماعة؛ أو فأخرجوا إليهم مجتمعين في جيش واحد، فإن قتالكم لأعداكم أحيانًا يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة، وأحيانًا يتطلب خروجكم مجتمعين، فاسلكوا في قتالكم لأعدائكم الطريقة المناسبة لدحرهم والتغلب عليهم.

وقوله ﴿ ثُبَاتٍ ﴾منصوب على الحال من الضمير في قوله ﴿ فَٱنفِرُواْ ﴾وكذلك قوله ﴿ جَمِيعًا ﴾ أي انفروا متفرقين أو انفروا مجتمعين أتى، ليكن نفوركم على حسب ما تقتضيه طبيعة المعركة(١)

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ

---

(١) «الوسيط» لسيد طنطاوي (ج١ / ص ٩٥٥).

طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠١-١٠٢].

يقول الشيخ القطان: إذا كنت أيها الرسول في جماعتك وقامت صلاة الجماعة فلا تنسوا الحذر من الأعداء دع طائفة منهم تصلى معك فيما تقف الطائفةُ الأخرى قبالة العدو يحرسون إخوانهم المصلّين. وعلى المصلّين أن يكونوا يقظين ويحملوا أسلحتهم ولا يتركوها وقت الصلاة، يفعلون ذلك استعدادًا لمواجهة وحيطة من الغدر.

﴿ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾

إذا سجدوا المصلّون معك فليكنْ الّذين يحرسونكم من خلفكم، لأن الساجد أحوجُ ما يكون للحراسة حين السجود. فإذا انقضت الركعة الأولى تقوم الجماعة التي صلّت وتقف مكان الجماعة الحارسة، وعند ذلك تأتي الجماعة الأخيرة فتصلي معك ركعة كذلك. وهنا يكون الإمام قد أتم صلاته فيسلّم وعندئذ تأتي الطائفة الأولى فتصلّي الركعة الثانية وتسلّم، بينما تحرسها الجماعة الثانية، ثم تجيء الجماعة الثانية فتصلّي الركعة الثانية وتسلّم. بذلك يكون الجميع قد صلّوا بإمامة الرسول. وهكذا يفعل كل إمام وقائد عند الخطر واحذروا أيها المؤمنون فإن أعداءكم يتمنّون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعكم أثناء صلاتكم، فيحملوا عليكم حملة واحدة علّهم يصيبون منكم غرّة فيقتُلون وينهبون

ولا إثم عليكم في وضع أسلحتكم إذا أصابكم أذى من مطرٍ أو مرض من جراح، لكن عليكم في جميع الأحوال ألا تغفلوا. إنَّ عدوّكم لا يغفل عنكم ولا يرحمكم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾بما هداكم إليه من أسباب النصر، بأخذ الأهبة والحذر والاعتصام بالصبر والصلاة، وقد قال بالصلاة على الصفة أوردناها عن عدد كبير من فقهاء الصحابة منهم: عليٌّ، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري. ومن فقهاء الأمصار: مالك، والشافعي وغيرهما. وفي كتب الفقه خلاف كبير في صفة هذه الصلاة لا مجال لذكره هنا(١)

ولنأخذ مثالًا من السيرة المطهرة على الحذر والحيطة من العدو فها هو رسول الله ﷺ في حادث الهجرة يأخذ بالأسباب، ولا يتواكل لأنَّ الكون مبني على سنن ونواميس لابد لمن أراد التمكين أن يأخذ بها، فتعالى أخي لنشاهد هذا المشهد الرائع من سيرة الرسول.

### أولًا- التوقيت المناسب للخروج:

غادر رسول الله ﷺ بيته في ليلة سبع وعشرين من شهر صفر، وأتى دار رفيقه أبي بكر رضي الله عنه، ثم غادراها من باب خلفي، ليخرجا من مكة على عجلٍ، وقبل أن يطلع الفجر وهذا مما يُشير إلى التخطيط الدقيق واختيار الوقت المناسب.. فالليل كما هو معلوم ستار آمن، يمكن التحرك فيه بكثير من الاطمئنان، مما يُقلل من احتمالات رؤيتهما. هذا إلى جانب أن قيادة قريش كانت في هذا الوقت متجمعة حول بيت رسول الله ﷺ معتقدة أن النبي ﷺ بداخله، فكل تفكيرها وتدبيرها، كان مركزًا على هذا المكان، دون سواه، مما سهل مهمة الخروج لركب الهجرة في مثل هذا الوقت دون أن تعترضه عيون قريش، التي باتت ترقب سيدنا عليًا رضي الله عنه، ظنًا منها أنه النبي ﷺ .

---

(١) «تفسير القطان» (ج١ / ص ٣٣٣).

وكون هذا التحرك تم قبل الفجر، ربما كان على تقدير أن قريشًا لن تكشف حقيقة الأمر إلا بعد طلوع الفجر، بعد قيام عليّ رضي الله عنه عن فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما حدث فعلًا. يقول ابن اسحاق: «فلم يبرحوا حتى أصبحوا، فقام عليٌّ رضي الله عنه عن الفراش» وبالتالى تكون الفرصة قد فاتت على قريش، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه قد وصلا إلى الغار بسلام.

أما خروجهم من الباب الخلفي، فهو من باب الاحتياط إذ هناك احتمال أن يكون أبي بكر رضي الله عنه مراقبًا، وهو احتمال كبير للعلاقة الحميمة التي كانت تربط أبا بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت المراقبة قائمة من بيت مجاور أو من مكان قريب، فستكون لباب البيت بالذات، يُرصد من خلاله الداخلون والخارجون.. وفي الخروج من مخرج سري، بعيد عن المراقبة، مراعاة للمحافظة الدائمة على السرية، ووضع الاحتمالات الكثيرة احتياطًا لتخطيط العدو ومراقبته

### ثانيًا- الخروج إلى الغار سيرًا على الأقدام:

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر من بيت الصديق سيرًا على الأقدام، حتى دخلا الغار، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حمله على كاهله، وجعل يشتد به، حتى أتى به الغار فأنزله وفي ذلك اعتبارات أمنية ظاهرة، فسيرهم على الأقدام يجعل أثرهم أقل وضوحًا مما لو كانا راكبيْن، إضافة إلى أن الركوب على الدواب في مثل هذا الوقت من الليل ملفت للنظر، وربما تنبهت قيادة قريش للأمر، فتفسد الخطة، كما أن حركة الرواحل في الغالب يصدر عنها صوت، مما يجعل الركب عرضة لإثارة فضول قريش فتسأل الركب، أو تستوقفه لتستوضح أمره، بعكس السير على الأقدام فلا يحدث صوتًا، وبخاصة إذا كان السير على أطراف الأصابع، كما كان يسير الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا السير يزيد من فرص نجاح المهمة.

**ثالثًا- التمويه في الخروج إلى الغار:**

يقع غار «ثور» جنوبي مكة المكرمة، بينما يقع الطريق المؤدي إلى المدينة شمال مكة المكرمة، وهنا تبدو دقة التخطيط، والاحتياط الأمني. قال المباركفوري: «ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشًا ستجدّ في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالًا، فقد سلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهو الطريق الواقع جنوبي مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبلًا يعرف بجبل ثور».

**رابعًا- التجسس ورصد تحركات قيادة قريش:**

كلما كانتْ القيادة أعلم بواقع العدو، وأدرى بأسراره، ولها في صفوفه من ينقل لها تخطيطهم، كلما كان ذلك أنجح لها في تنفيذ خططها ومخططاتها «لذا أمر سيدنا أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى، بما يكون في ذلك اليوم من الخبر» وقد قام عبد الله بهذا الدور خير قيام، يقول ابن حبان: «يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها، فلا يسمع أمرًا يُكاد به، إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام».

تتضح من النص عدة أمور لها أهميتها هنا: الصفات التي يمتاز بها عبد الله، فهو ثقف، أي حاذق فَطِن، ولقن، أي سريع الفهم، وهذه من السمات المطلوب توفرها فيمَن يقوم بمثل هذه المهمة فالذكاء يساعده على حسن التصرف حيال المواقف الحرجة، التي قد تصادفه إبان القيام بمهمته،كما يساعده في استخدام الوسيلة المثلى في الحصول على المعلومات دون زيادة أو نقص، مما يجعل المعلومة التي يأتي بها تمتاز بقدر كبير من الصحة. ذهابه إليهم ليلًا سرًا، وعودته عند السحر، يبعده عن الخطر مراقبة قيادة قريش، لأنَّ الظلام كما هو معلوم ساتر مناسب لمن يقوم بمثل هذه المهمة الحساسة، فدخلوا

مكة سحرًا، يبعد عنه شبهة الاتصال بالنبي ﷺ، فتصبح وكأنه بائت بمكة لا بالغار، وهذا قمة في الحيطة والحذر ودقة التخطيط، والمعلومات التي كان يأتي بها تجعل الرسول ﷺ وصاحبه على دراية تامة بما تفعله وستفعله قريش، الأمر الذي يجعل تحرك الركب من الغار مبنيًا على الحقائق الصحيحة لا على الظن والحدس.

**خامسًا- إعفاء الأثر:**

لابد أن مجيء وذهاب عبد الله بن أبي بكر، سيخلف وراءه آثار أقدامه، الأمر الذي ربما قاد قريشًا إلى مكان ركب الهجرة، وبخاصة أن أسماء كانت هي الأخرى تأتي يوميًا إلى الغار لتحضير الطعام وحتى يستبعد هذا الاحتمال كان عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يتبع أثرهما بالغنم كي يعفى الأثر ونلاحظ أن إزالة الأثر عن طريق الغنم تُعد أنسب وسيلة، لأن آثار الغنم في تلك الجبال، أمر مألوف لقريش، فلا يُثير شكًا ولا ريبة.

**سادسًا- الإمداد بالتموين في الغار:**

إنَّ الإقامة في الغاز ثلاثة أيام، تحتاج لزاد معد وجاهز، لأنَّ أي محاولة لإشعال نار لإعداد الطعام تعتبر قرينة قوية، ربما قادت قريش إلى الغار، فالنار ينبعث منها الدخان نهارًا، والضوء ليلًا، وهذا يشكل خطورة كبيرة، وبخاصة في ذلك الزمان الذي يمتاز فيه العرب بدقة الملاحظة، لذا نجد أن طعامها كان يأتيهما معدًا جاهزًا من بيت أبي بكر الصديق، تحضره أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها يقول ابن إسحاق: «وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما». كما أن عامر بن فُهَيْرَة كان يحلب لهما اللبن من غنم أبي بكر رضي الله عنه ...تقول عائشة: «ويرعى عليهما عامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر مِنْحَةً من غنمٍ، فيُريحها عليهما، حين تَذْهَبُ ساعة من العِشَاءِ، فيبيتَانِ في رِسْلٍ وهو لبنُ مِنْحَتِهِما وَرَضِيفِهِما».

**سابعًا- الإقامة في الغار ثلاثة أيام:**

قال ابن الأثير: «فأقاما في الغار ثلاثًا» «وهذا تصرف أمني اقتضته ظروف الزمان، فالخروج إلى أي مكان في الأيام الأولى يجعلهما عرضة في قبضة العدو، كما أن المدة الزمنية هذه، ربما كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعلومات المقدمة من عبد الله بن أبي بكر، التي تُشير إلى خفة الطلب عليهما بعد هذه الأيام الثلاثة، كما أن الاستمرار أكثر من ذلك قد يلفت النظر من قِبَل قيادة قريش، حين يتكرر المرور عليهما والذهاب إليهما، من قِبَل أسماء وعبد الله وعامر بن فهيرة أضف إلى ذلك أن هذه المدة تعد كافية لتدرك قريش أن محمدًا ﷺ قد أفلت منهم، وأنها كافية لابتعاد عنهم مسافة تمكنه من الوصول إلى مأمن، أو الالتحاق بقبيلة أخرى، فيدب اليأس في نفوسهم، ويتراخون عن مطاردته، وبالتالي تسنح الفرصة للإفلات منهم».

**١- الحذر أثناء السير على طريق الهجرة:**

صاحب السير على طريق الهجرة، العديدُ من تدابير الحذر والحيطة، من ذلك:

**أولًا- التمويه في التحرك من الغار:**

أول ما سلك بهم عبد الله بن أريقط، بعد الخروج من الغار، أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، اتجه شمالًا على مقربة من شاطىء البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يكن يسلكه أحدًا إلا نادرًا وما ذلك إلا إمعانًا في التمويه، ومزيدًا من الحيطة والحذر.

**ثانيًا- السرعة في السير عقب الخروج من الغار:**

الظروف التي تم فيها التحرك من الغار، كانت تتطلب الإسراع في السير، وقطع المسافة بين مكة والمدينة في أقصر زمن ممكن، فعيون قريش منتشرة، والمطاردة لم تنته بعد، لذا أسرع النبي ﷺ عقب خروجه من الغار، واستحث رواحلهم

لقطع أكبر مسافة ممكنة في أقل زمن ممكن... روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «أسرينا ليلتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عندها».

فالسير المتواصل ليوم وليلة، يُباعد بين ركب الهجرة ومكة، مما يزيد من فرص نجاح الخطة، كما أنَّ الليل يعد من أنسب الأوقات للسفر في الصحراء، إضافة إلى كونه ساترًا يخفى ركب الهجرة المبارك.

**ثالثًا- حادثة سراقة وتدخل العناية الإلهية:**

بعد كل التحوطات والتخطيط الدقيق المحكم، تمكنت قريش من تلقي معلومة تفيد أن ركب الهجرة يجد في السير تجاه المدينة بطريقة الساحل المهجور. قال سراقة: «فبينما أنا جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مُدلِج، أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا، ونحن جلوس، فقال: يا سراق! إنِّي رأيتُ آنفًا أَسْوِدَةً بالساحل، أُرَاهاَ محمدًا وأصحابه. قال سُراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلتُ له: أنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا، انْلَطَقُوا بأعْيُننا، ثم لبثتُ في المجلس ساعةً، ثم قمتُ فدخلتُ جاريتي أن تَخْرُجَ بفرسي وهي مِن وراءِ أَكَمةٍ فَتَحْبِسَهَا عليّ، وأخذتُ رُمْحي فخرجتُ به من ظهر البيت، فَحَطَطْتُ بزُجِّهِ الأرضَ، وخفضتُ عَالِيَهُ، حتى أتيتُ فرسي فرَكبتُها، فرفعتُها تُقَرِّبُ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي فخررتُ عنها، فقمتُ فأهويت يدي إلى كِنانتي فاستخرجتُ منها الأزلام، فاستقسمتُ بها أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي وعصيت الأزلام تُقَرِّبُ بي حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتُها فنهضتْ، فلم تَكَدْ تُخْرِجُ يديها، فلما استوت قائمةً إذ لأثر يديها غُبار ساطع في السماء مِثْلُ الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكرهُ، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس

عنهم، أن سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الديةَ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني، إلا أن قال: «أَخْفِ عَنَّا»، فسألتُه أن يكتبَ أمن، فأمر عامر بن فُهَيْرة، فكتب في رُقعةٍ من أَديم، ثم مضى رسول الله ﷺ».

***وهنا تبرز عدة جوانب، منها:***

الحس الأمني لسراقة، الذي ظهر من خلال رده على الرجل، موهمًا إياه أن هذا الركب ليس هو محمدًا وأصحابه، إنما هم فلان وفلان، وبالتالي فوت الفرصة على الرجل صاحب الخبر وعلى الحاضرين. وزيادة في إحكام خطته لم يذهب سراقة من فوره، وإنما مكث ساعة في المجلس حتى لا يُثير شك الحضور.. ولم يكتفِ بذلك، بل زاد في الاحتياط الأمني، حيث خرج من الباب الخلفي لبيته، وأمر بحبس فرسه على مسافة من بيته، حتى لا يراه أحد وهو يركب الفرس أمام بيته، فيفسد عليه خطته، وبالتالي قد يخسر الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمد ﷺ وصاحبه، حتى وصل الغار.. وشخص بهذه المواصفات، كان يمكن أن يُشكل خطورة كبيرة على ركب الهجرة المبارك، خاصة وأنه حاول استغلال تلك الصفات حتى كان قاب قوسين أو أدنى من اللحاق بركب النبوة، ولكن تدخلت العناية الإلهية، فحالت بينه وبين النيل من الركب المأمون.

كما تظهر أيضًا مدى حنكة وحكمة المصطفى ﷺ في استغلال عدوه كي يصبح عونًا له في صد الطلب عنهما، وذلك من قوله لسراقة: «أَخْفِ عَنَّا»، فرجع سراقة، فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ها هنا.. وكان أول النهار جاهدًا عليهما، وآخره حارسًا لهما[1].

---

(١) انظر كتاب «في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية» الدكتور/ إبراهيم علي محمد أحمد.

## الصبر والمصابرة

ومن الأمور التي ينبغي للأمة أن تتحلى بها تجاه فكر المؤامرة الصبر والمصابرة فالطريق وعر وليس مفروشًا بالورود ولا بالرياحين «فإن لطريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك محفوف بالفتن والأذى والابتلاء مفروش بالدماء والأشلاء يدوى في جنباته عويل المجرمين من الكفار والمشركين والمنافقين والحادقين الذين يملكون أحدث أبواق الدعاية ومع ذلك فنهاية الطريق، وإن طال تتألق كالأمل وتضيء كالشمس وتشرق كالفجر إمَّا عِزة وشهادة وإمَّا جنَّة وسعادة ذلكم هو طريق الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ طريق نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وطريق أتباعهم من العلماء المخلصين والدعاة الصادقين، ولو كان هذا الطريق سهلًا هينًا لينًا مفروشًا بالزهور والورود والرياحين خاليًا من العقبات والأشواك والصخور آمنًا من عويل المجرمين من المكذبين والمعارضين والمحاربين لو كان الطريق كذلك لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة ولاختلطت حينئذٍ دعوات الحق ودعاوى الباطل!!

وفي وقت تُشن فيه حملة شرسة ضاربة وحرب ضروس هَوْجَاء على الإسلام وأهله شاء الحكيم الخبير جلَّ وعلا أن يبزغ في الأفق نور يشرق وأمل يتجدد أضحى حقيقة كبيرة لا تنكر لا تنكر بل وأفزعت هذه الحقيقة المشرقة العالم أسره فها نحن نرى كوكبة كريمة وثلة مباركة من طلائع البعث الإسلامي المرتقب من شباب في ريعان الصبا وفتيات في عمر الورود كوكبة تنزلت بفضل الله في كل بقاع الدنيا كتنزل حبات الندى على الزهرة الظمأى أو كنسمات ربيع باردة معطرة بأنفاس الزهور تأتي هذه الكوكبة لتنضم إلى ركب الدعاة الكريم الموغل في القدم الضارب في شعاب الزمان من لدن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لتمضي على ذات الطريق مستقيمة الخُطى، ثابتة الأقدام تجتاز الصخور والحجارة والأشواك نعم، تسيل دماء وتتمزق هنا وهناك أشلاء ولكن الركب الكريم

والموكب المبارك في طريقه لا ينحنى ولا ينثنى ولا ينكص ولا يحيد لأنه على ثقة مطلقة بنهاية الطريق بانتصار الحق ومحق الباطل فالحق ظاهر خالد والباطل زاهق زائل، ولن تستطيع جميع الأفواه ولو اجتمعت أن تطفئ نور الله عَزَّ وَجَلَّ ولن يتمكن هذا الدخان الكثيف الأسود المتصاعد تباعًا من أوعية الغل والحقد والحسد المتأججة في قلوب أعدائنا أن يحجب نور الله جلَّ وعلا فهيهات هيهات أين نور السُّهى من شمس الضحى؟! وأين الثرى من كواكب الجوزاء؟!

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩].

ولكن لكي تستمر مسيرة هذا الركب الكريم على طول الطريق لابد له من دعاة مخلصين صادقين متجردين لقيادة هذا الركب الطيب بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم- وببصيرة نافذة، ووعى حاضر، وفطنة عميقة لكل المؤامرات الموتورة، وألوان الحرب المسعورة التي تشن في الليل والنهار لوقف هذا الركب الزاحف الممتد[(١)].

فالمولى سبحانه أمرنا أن نتجمل بالصبر عندما يكيد لنا الأعداء المؤامرات يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

يقول الإمام الطبري: «وأما قوله: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾، فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا، أيها المؤمنون، على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه: من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم

---

(١) من مقدمة كتاب «خواطر على طريق الدعوة» لشيخنا محمد حسان.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجبَ عليكم من حق وحق رسوله ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، أي: كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم(١).

**واعلم علمني الله وإياك:** أن من لوزام الإيمان ومن أثره الابتلاءات وخوض المحن والشداد وتكالب الأعداء على المؤمن من كل حدب وصوب يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣]

يقول العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمعنى: أن الناس لا يتركون دون فتنة: أي ابتلاء واختبار، لأجل قولهم: آمنًا، بل إذا قالوا فتنوا: أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء، حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله آمنًا في غير الصادق.

وهذا المعنى الذي دلت عليه الآية الكريمة جاء مبينًا في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾.

[محمد:٣١]

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

---

(١) «تفسير الطبري» (ج٧/ ص١٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[التوبة: ١٦]

إلى غير ذلك من الآيات، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله هنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [العنكبوت: ٣].

وقد بينت السنة الثابتة أن هذا الابتلاء المذكور في هذه الآية يبتلى به المؤمنون على قدر ما عندهم من الإيمان، كقوله ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل**»(١).

يقول سيد قطب رحمه الله: «إن الإيمان ليس كلمة تُقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه، وكذلك تصنع هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله الفتنة بالقلوب سبحانه ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

[العنكبوت: ٣]

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء؛ ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر؛ فيُحاسب الناس إذن على ما يقع من

(١) «أضواء البيان» (ج٦/ ص ٢٢٤).

عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله. فليسوا! بأعلم من الله بحقيقة قلبه

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين، إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة؛ وهي أمانة ثقيلة؛ وهي من أمر الله يضطلع بها الناس؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

**ومن الفتنة:** أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله؛ ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة؛ ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان.

وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى ربما كانت أمر وأدهى.

**هناك فتنة الأهل والأحباء:** الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعًا وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم؛ وينادونه باسم الحب والقرابة، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك. وقد أُشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير.

**وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين:** ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد،

وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يُحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئًا.

**وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة**، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقًا في تيار الضلالة؛ وهو وحده موحش غريب طريد

**وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام**. فتنة أن يجد المؤمن أممًا ودولًا غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان. ويجدها غنية قوية، وهي مشاقة لله وهنالك الفتنة الكبرى. أكبر من هذا كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة. وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس وفي ملابسات الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان.

فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى. وكان الابتلاء وأعنف.

ولم يثبتْ إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان.

وما بالله حاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة. ولكنه الإعداد الحقيقى لتحمل الأمانة. فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق؛ وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.

والنفس تصهرها الشدائد فتنفى عنها الخبث، وتستجيش كامن قوامها المذخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا؛ وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالًا بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن؛ وبما بذلوا لها من الصبر على المحن؛ وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته. ثم يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل؛ فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله التضحيات والآلام، وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدرة، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء.

جاء في «الصحيح»: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء**»(١).

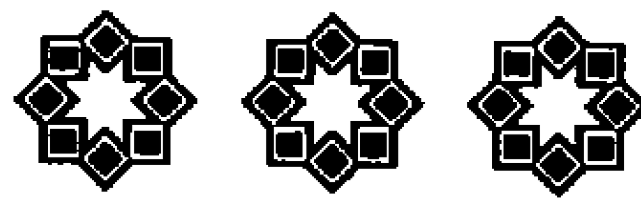
وأما الذين يفتنون المؤمنين، ويعلمون السيئات، فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين. مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف:

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والترمذي وصححه الألباني انظر «صحيح الترغيب والترهيب» (ج ٣/ ص ١٧٩).

فلا يحسبن مفسد أنه مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه، وفسد تقديره، واختل تصوره. فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين؛ هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد[(١)].

لذلك أمر النبي ﷺ خبابًا والمستضعفين من المسلمين بالصبر على الأذى فعن خباب رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردةً وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت: يا رسول الله! ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال: **«لقد كان من قبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله»** زاد بيان: **«والذئب على غنمه»**[(٢)].



(١) « في ظلال القرآن» (ج ٥ / ص ٤٥١ - ٤٥٠)

(٢) رواه البخاري (ح ٣٥٦٣).

# الخاتمة

الحمد لله الذي أرشدنا إلى كل خير، وحذَّرنا من كل شر ومكروه والحمد لله القائل: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: ٥٠-٥١].

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتُسرج بنور علمه الظلمات، الحمد لله الذي هدانا بنوره، وفتح علينا من بركاته رحمته؛ فيسّر لنا هذا البحث وكتابته، وأسبغ علينا من نعمة ظاهرة وباطنة.. وبعد فهاهي الكلمات الخيرة في هذا البحث ألخص فيها ما جاء في هذه الرسالة

**اعلم علمني الله وإياك:** أن الذين يُنكرون حقيقة المؤامرة إما أنهم لم يقرؤوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فلم يقفوا على حقيقة المؤامرة كما جاءت فيها، وإما أنهم باعوا ولائهم للمتآمرين فأصبح الولاء والبراء لغير الله ورسوله والمؤمنين، لأن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فأصبحوا أداة يحركها المتآمرون لتحقيق أهدافهم.

واعلم أن المؤامرة عقيدة يدين بها المسلم لربه عَزَّ وَجَلَّ فالآيات والأحاديث جاءت تؤيد عقيدة المؤامرة يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثُلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدًا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية فبينما**

**هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إنَّ المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشأم خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»**(١).

واعلم بأن الناظر في تاريخ المؤامرة يجد حقيقة ثابتة ألا وهي أن أهل الكفر لا يرضيهم إلا الكفر بالله والدخول معهم في باطلهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

واعلم أن فكر المؤامرة لا يعد عائقًا عند أهل الإيمان بل إنه يدفعهم إلى العمل والجد والاجتهاد في أخذ الحذر والحيطة تجاه ذلك العدو.

واعلم أنه يجب على الأمة أن تُواجه هذه المؤامرات بعدة أمور: **منها**: التمسك الكتاب والسنة، وإحياء عقيدة الولاء والبراء، **ومنها**: إعداد العدة، **ومنها**: أخذ الحذر والحيطة، **ومنها**: الصبر والمصابرة، فمتى حققت الأمة هذه المطالب فإنه لا يضرهم من خالفهم ولا من عادهم... «اللهم ياعلم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير»

نسألك أن تُذيقنا برد عفوك، وحلاوة رحمتك، يا أرحم الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين. اللهم اعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أشر النفوس، وأذهب عنا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم.

---

(١) «صحيح مسلم» (ج ١٤ / ص ٨٥).

اللهم طيبنا للقائك، وأهلنا لولائك وأدخلنا مع المرحومين من أوليائك، وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، وارزقنا مرافقة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

تأليف

**أبو همام / السيد مراد سلامة**

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

وكان الانتهاء من كتابته يوم الأحد ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٨هـ

# قائمة المراجع

**كتب التفسير:**

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود «محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي ت ٩٨٢هـ.».

٢- البحر المحيط للإمام بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت ٧٥٤هـ

٣- التحرير والتنوير للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ

٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي «أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ

٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي ت ٥٢٨هـ

٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ

٩- جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧٠هـ

١١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥هـ

١٢- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» للإمام فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ

١٣- في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب.

١٤- أضواء البيان / للشنقيطي.

١٥- التفسير الميسر لنخبة من العلماء.

١٦- معالم التنزيل «للبغوي».

١٨- أسباب النزول «للواحدي».

**كتب السنة:**

١٩- صحيح البخاري.

٢٠- صحيح مسلم.

٢١- مسند الإمام أحمد.

٢٢- سنن أبي داود.

٢٣- سنن ابن ماجه.

٢٤- سنن النسائي.

٢٥- سنن الترمذي ومستدرك الحاكم.

٢٦- سنن البيهقي.

٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

٢٨- المعجم الكبير للطبراني.

٢٩- المعجم الوسيط للطبراني.

٣٠- المعجم الصغير للطبراني.

٣١- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٢- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٤- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٥- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٦- ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٧- ضعيف صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٨- ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني.

٣٩- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني.

٤٠- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني.

٤١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة بدر الدين العيني.

٤٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعلامة بدر الدين العيني.

٤٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب.

٤٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا.

***العقيدة:***

٤٥- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد «للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب».

٤٦- نواقض الإسلام في «مجموعة التوحيد».

٤٧- «كشف الشبهات»، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٤٨- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد «للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب».

٤٩- الولاء والبراء، لمحمد بن سعيد القحطاني.

٥٠- الزهد لابن المبارك.

٥١- «رسالة الأمر بالمعروف»، خالد السبت.
٥٢- «المحلي»، لابن حزم: تحقيق حسن زيدان.
٥٣- «الإيمان»، لابن تيمية.
٥٤- « أحكام أهل الذمة»، لابن القيم.
٥٥- «فتاوى ابن تيمية».
٥٦- «الاستقامة»، لابن تيمية.
٥٧- «مجموعة التوحيد»: ط. دار الفكر.
٥٨- «الإيمان. حقيقته. أركانه. نواقضه» للدكتور محمد نعيم ياسين.
٥٩- «تحفة الإخوان»، للشيخ حمود التويجري.
٦٠- «الرسائل المفيدة»، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.
٦١- «التطورات والثبات في حياة البشرية»، للأستاذ/ محمد قطب.
٦٢- منهاج السنة، لابن تيمية.
٦٣- الغيبة، للطوسي.
٦٤- تهذيب الأحكام، للطوسي.
٦٥- السرائر، لابن إدريس.
٦٦- وسائل الشيعة، للحر العاملي.
٦٧- الوافي، للفيض الكاشاني.
٦٨- بحار الأنوار، للمجلسي.
٦٩- حقيقة الشيعة، لعبد الله الموصلي.
٧٠- التعادل والترجيح، للهالك الخميني.
٧١- موقف الشيعة من أهل السنة، للشيخ محمد مال الله رحمه الله.
٧٢- تفسير الصافي، للفيض الكاشاني.

٧٣- تفسير العياشي.

٧٤- بروتوكولات آيات قُـم حول الحرمين المقدسين، تأليف الدكتور عبد الله الغفاري.

٧٥- الشيعة والتشيع، لإحسان ظهير.

**كتب التاريخ:**

٧٦- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير.

٧٧- البداية والنهاية، لابن كثير.

٧٨- سيرة ابن هشام.

٧٩- تاريخ الإسلام، للذهبي.

٨٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد.

٨١- تاريخ الطبري، للإمام الطبري.

٨٢- تاريخ ابن عساكر، للإمام ابن عساكر.

٨٣- ابن سبأ حقيقة لا خيال، لسعد خليل مهدي.

٨٤- استشهاد عثمان ووقعة الجمل، لخالد الغيث.

٨٥- تاريخ خليفة بن الخياط، لابن الخياط.

٨٦- التاريخ الكبير، للبخاري.

٨٧- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

٨٨- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

٨٩- الكامل، لابن عدي.

٩٠- الاستيعاب، لابن عبد البر.

٩١- لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الائمة الأطهار.

٩٢- أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيرته، للصلابي.

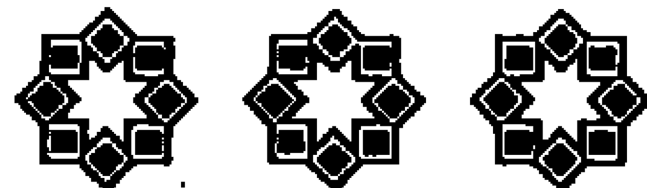
٩٣- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، لعلى الصلابي.
٩٤- سيرة الشهداء دروس وعبر، لعبد الحميد السجياني.
٩٥- مؤامرة على الإسلام، لسفر الحوالي.
٩٦- المرتضى، للندوي.
٩٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن.
٩٨- ذيل مرآة الزمان، اليونيني.
٩٩- بدائع الزهور، لابن إياس.
١٠٠- الإحاطة في تاريخ غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب.
١٠١- اليهودية والماسونية، عبد الرحمن الدوسري.
١٠٢- اليهود والدولة العثمانية، لأحمد نوري النعيمي.
١٠٣- العثمانيون في التاريخ والحضارة، لمحمد حرب.
١٠٤- السلطان عبد الحميد الثاني، لمحمد حرب.
١٠٥- صحوة الجل المريض، د/ موفق بني مرحة.
١٠٦- العلمانية، لسفر الحوالي.
١٠٧- الاتجاهات الوطنية، لمحمد حسين.
١٠٨- حاضر العالم الإسلامي.
١٠٩- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، علي محمد الصلابي.
١١٠- المسألة الشرقية، لمحمد ثابت الشلذي.
١١١- معركة المصير.
١١٢- شذرات البلاتين.
١١٣- عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين، لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري.
١١٤- في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، الدكتور/ إبراهيم علي محمد أحمد.

١١٥- خواطر على طريق الدعوة، لشيخنا/ محمد حسان.
١١٦- مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم د. محمد حرب، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
١١٧- يهود الدونمة، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف د. أحمد نوري النعيمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١١٨- «الحروب الصليبية كما رآها العرب» أمين معلوف نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، دمشق، ١٩٨٩م.
١١٩- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، عبد الحليم عويس.
١٢٠- «تاريخ العصر الأيوبي»، أمينة بيطار.
١٢١- «الحروب الصليبية ، أسبابها، حملاتها، نتائجها» سيد على الحريري تحقيق وتقديم محمد سبارو.
١٢٢- «الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي»، عبد المنعم ماجد.
١٢٣- «تاريخ مدينة القدس»، معين أحمد محمود.
١٢٤- جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، د. نبيل عبد الحي رضوان.
١٢٥- الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز سليمان نوار.
١٢٦- الإسلام في آسيا، د. محمد نصر مهنا.
١٢٧- الأعلام، للزركشي.
١٢٨- الخطط والآثار، المقريزي.
١٢٩- السلوك لمعرفة دولة الملوك، المقريزي.
١٣٠- نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد، د. أنس أحمد كرزون.
١٣١- الجهاد ضد الصليبيين، مسفر الغامدي.
١٣٢- زبدة الحلب، ابن العديم.
١٣٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني.

١٣٤- فتح العثمانيين عدن، محمد عبد اللطيف البحراوي.
١٣٥- قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، د. زكريا سليمان بيومي.
١٣٦- الإسلام في آسيا، د. محمد نصر مهنا.
١٣٧- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى.
١٣٨- ترتيب المدارك، للقاضي عياض.
١٣٩- طبقات الشافعية، للسبكي.
١٤٠- دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم.

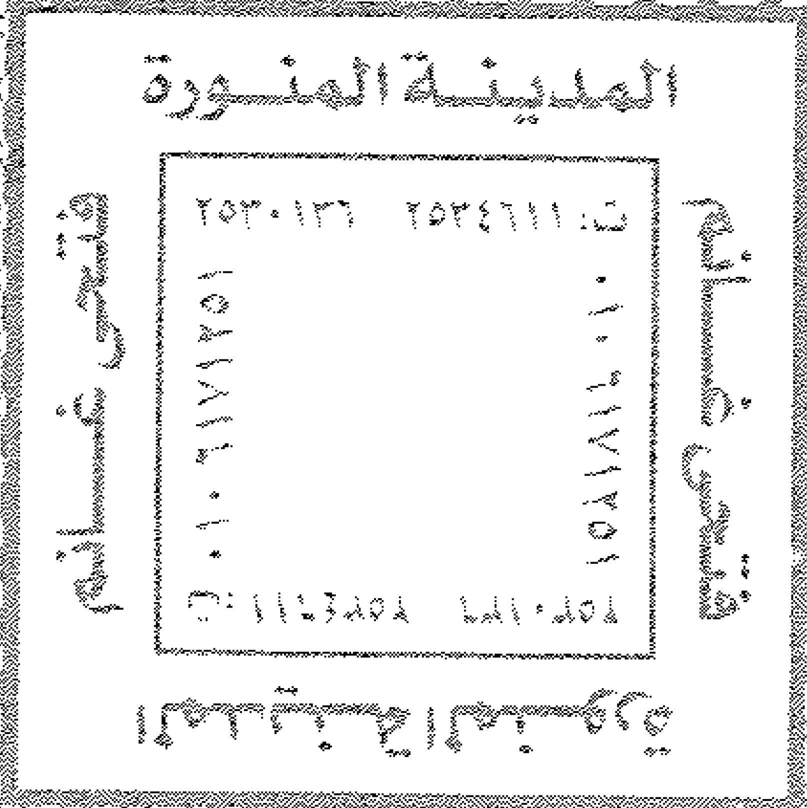
**مواقع على الإنترنت:**

١٤١- موقع التاريخ.
١٤٢- موقع صيد الفوائد.
١٤٣- موقع ومنتدى شبكة مجلس العرب.
١٤٤- موقع شبكة الشفا الإسلامية.
١٤٥- مجلة الوعي الإسلامي.
١٤٦- مجلة الطليعة القاهرية.



# قائمة المحتويات

تم بحمد الله



# فكر المؤامرة

## عقيدة وحقيقة لا خيال









الدار العالمية للنشر والتوزيع
٣٣ شارع الصالحي - محطة مصر - الأسكندرية
تليفاكس : 3907305 203+ محمول : 0105406403 2+
alamia_misr@hotmail.com